جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

شعبة الأدب والنقد

بحث بعنوان :

الكتابة الأدبية بين عبد الحميد الكاتب وابن المقفع

دراسة أدبية موازنة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة :

زبيدة محمد الحسن عثمان العاص

إشراف :

أ.د. عبد الله بريمة فضل

1430هـ - 2009م

قال تعالى:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {5})

صدق الله العظيم

(سورة العلق ، آية 1-5)

إهـــداء

إلى روح والدي العزيز
وإلى والدتي أطال الله عمرها.
وجعلها ذخراً وسنداً وقنديلاً يضيء حياتنا
وإلى إخواني وأخواتي الأعزاء على قلبي الذين لولاهم لما رأى
هذا البحث النور وخرج الي حيز الوجود . أسأل الله أن يوفقني على
جزائهم خير الجزاء . وإلي كل أفراد أسرتى الكريمة .
وإلى شريك حياتي وكل من مدَّ إليَّ يد العون في كتابة هذا البحث.

الباحثة

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، ونصل بمدده ورعايته الي أعلى الدرجات ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق والهادي الي صراطك المستقيم وعلي آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم – اتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من شملني بعطفه وبره ، وأسدى إلى معروفاً أو مدّ إليّ يد العون فتقبلتها شاكرة ، وأخص بالشكر أستاذي الجليل بروفيسر عبدالله بريمة فضل ، والذي تفضل عليّ بأشرافه على البحث ، فسعدت بصحبته على طريق العلم والمعرفة معلماً ومرشداً.

وكذلك الأستاذ الدكتور بله عبد الله مدني بما قدم لي من نصائح علمية ، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى جامعة القرآن الكريم لما أتاحت لي من فرصة علمية وما قام به موظفوها والقائمون على أمر المكتبة لما قاموا به ويقومون به من خدمات لطلاب العلم عامة والدراسات العليا على وجه الخصوص ، وكذلك أتقدم بالشكر لمكتبة جامعة أم درمان الإسلامية المركزية لما قدمته لي من عون ومساعدات .

الباحثة

المقدمة

الحمد لله الذي وهب لنا العقول والأذهان ومنحنا فصاحة اللسان وألهمنا التبيان ، وحضنا على التحلي بالحلى الأدبية والتخلق بالمكارم العلية ونهانا عن الأخلاق الدنيئة وأنعم علينا بالبلاغة والبيان.

وجدت اللغة العربية منذ صدر الإسلام اهتماماً بالغاً من علماء اللغة العربية ، وذلك لما فيها من بيان وبلاغة وفصاحة ومقدرة على حمل آيات الله للعالمين. وعلم الأدب هو علم صناعي تعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله، وموضوعهُ الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحتهُ وبلاغتهُ و غايتهُ الإجادة في فنَّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب، وتهذيب العقل وتذكية الجنات. وفائدتهُ أنه يعَصِم صاحِبَهُ من زلة الجهل وأنه يروض الأخلاق ويلين الطبائع ، وأنه يعين على المروءة ، وينهَض بالهمم إلى طلب المعالي ، والأمور الشريفة. وهذه الصفات يجب أن يتحلى بها كل مسلم . وكذلك تجد أن العقل في حاجة إلى الأدب ، عاقل بلا أدب شجاع بلا سلاح – العقل والأدب كالروح والجسد بغير روح صورة والروح بغير جسد ريح. وقيل: العقل بغير أدب كأرض طيبة خربة ، وأن العقل يحتاج إلى مادة الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام. وهذا مايدعوا له ابن المقفع وعبدالحميد الكاتب في نثرهما أو كتابتهما الأدبية موضوع البحث: والمراد من الكتابة الأدبية أو الفنية التي لاتصدر عن السليقة ، لا يقصد فيها صاحبها إلا مجرد الإفهام ، وإنما أردت الكتابة التي تَروَّى صاحبها في تجويد المعنى، وتأني في اختيار اللفظ قبل إبرازها ، لتخرج مُحَبَّرةً مجوَّدة ، لأنه لا يقصد منها الإفهام وحده، وإنما يقصد أيضاً إثارة اللذَّة عند القاريء والإحساس بالجمال. وأحب أن أقول إن الأناقة في الكتابة لا تلتزم الصنعة ، وإنما قد يخرج القول المرتجل التلقائي جميلاً أنيقاً دون تروّ أو تعَّمل مثله في ذلك مثل الحسناء يغنيها جمالُها عن الحلى والزينة. أما الكتابة الفنية التي أقصدها فهي مثل الحسناء التي تشعر بهذا الحسن والجمال وتحب أن تلفت إليه الأنظار، فتبرز أجمل مواطنه، وتعالج نقائصه وأخطاءه أو هفواته.

أسباب اختيار الموضوع:

فإن الاختيار– دائماً – يكون صعباً بين التردد والاقبال على الشيء والحمد لله. وفقت في إختيار موضوع الكتابة الأدبية بين عبدالحميد الكاتب وابن المقفع دراسة أدبية موازنة) وذلك محاولة مني لإبراز النثر الإسلامي وأعلامه المتمثل في أدب عبدالحميد الكاتب وترسله وابن المقفع وبلاغته وحكمته وذلك مساهمة منى في نشره وتسهيل دراسته التي تهدي إلى القراءة الرفيعة الراقية وملاحظة الظواهر الجمالية وتلمس مواطن الإبداع. ويمكن ما سبق في الآتي :

1– مكانة نثرهما في العربية وشهرتهما بين الكتاب.

2– الحركة النقدية التي قامت حول إبداع كل منهما ومذهبه.

3– إبراز قدرة كل منهما الفذة مع استخدامهما اللغة وتوظيفهما للتعبير عن مشاعرها وحكمتهما.

4– جانب الإغراء أو الترغيب للكشف عن حقيقة الفيض الإلهي، والسحر البياني الذي ملأ به الدنيا وشغلا به الناس منذ العصر الأموي والعباس إلى يومنا هذا.

5– إختلاف وجهات النظر حولهما وتضاربهما في تكوين إبداعهما الفني حيث أشاد بهما بعضُ الأدباء وتحامل عليهما آخرون.

أهمية البحث:

1/ الكشف عن خصائص ومميزات وشخصية كل منهما، فمعروف أنهما يتمتعان بمنزلة فنية رفيعة جعلتهما غرضاً للدراسة وهدفاً للبحث.

2/ الكشف عن كوامن الإبداع في لغتيهما النثرية المتميزة ببعض الظواهر والأغراض الفنية واللغوية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التطوير والتجديد في مجال الدراسات الأدبية والنقدية وذلك بتقديم بحث يحاول أن يربط بين القديم والحديث والاستفادة من الدراسات السابقة في موضوع البحث.

1/ يهدِفُ البحثُ إلى دراسة أدبية معمقة للنصوص التي كتبها عبدالحميد وابن المقفع محاولة لإضفاء الجديد والمفيد للنقد الأدبي ، والإحاطة بكل جوانب البحث بالدراسة الموضوعية الهادفة.

2/ إقامة موازنة بينهما بغرض التعرف على الخصائص الفنية والأدبية لكل منهما لا بغرض تفضيل أحدهما على الآخر ولكن محاولة متواضعة مني بغية الوصول إلى نتيجة مرضية.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في دراسة منهج الكاتبين دراسة أدبية موازنة وذلك من خلال حياتهما ونشأتهما وثقافتهما وبيئتهما . والوصول إلى نتيجة هل هما كاتبان أم هناك قول آخر.

وكذلك هل هناك أشخاص كتبوا أو تناولوا هذا الموضوع من قبلي بهذا العنوان أم لا. وإذا تناولوه هل زادوا فيه أم نقصوا ، وعلى حسب إطلاعي لم أجد من تناول هذا الموضوع بهذا العنوان ، ولذلك أتمنى أن أوفق في تصنيف هذا البحث حسب الخطة التي وضعتها لتساعِدَنِي في إبراز هذا الأدب من الناحية الفنية وأتمنى أن يكون إضافة حقيقية إلى التراث الأدبي العربي العظيم.

الدراسات السابقة:

لم تجد الباحثة دراسة بعينها تخص هذا الموضوع وإن وجدت دراسات تناولت الموضوع ولكن بطريقة مختلفة عن هذه الدراسة. وهذه الدراسات رجعت إليها الباحثة في بحثها. ومن ذلك رسالة دكتوراه في كليلة ودمنه دراسة تحليلية نقدية إعداد الطالب/ مجدي عبدالمعروف حسين من جامعة أم درمان الإسلامية إشراف الدكتور: بابكر الجزولي عثمان سنة 1999م.

حدود البحث:

يتناول البحث الخصائص الفنية للكتابة الأدبية ثم الموازنة بين الخصائص و الأغراض. والتعرف على أشهر من كتب في هذا المجال وموضِعهِما في الهرم الأدبي.

منهج البحث:

المنهج الذي اتبعته هو المنهج الوصفي التحليلي النقدي أو المتكامل وهو كل منهج يمكن أن يلقى ضوءاً على جانب من جوانب الرسالة.

هيكل البحث:

يتكون هيكل البحث من ثلاثة فصول ، وقسمت الفصول إلى مباحث والمباحث إلى مطالب وهي على النحو التالي.

الفصل الأول: عصر وحياة الكاتبين

المبحث الأول: عصرهما

المطلب الأول: الحياة السياسية في العصر الأموي والعصر العباسي

المطلب الثاني: الحياة الإجتماعية في العصر الأموي والعصر العباسي

المطلب الثالث: الحياة الثقافية والفكرية في العصر الأموي والعصر العباسي الأول.

المبحث الثاني: عبدالحميد الكاتب

المطلب الأول: ترجمة عبدالحميد

المطلب الثاني: شخصية عبدالحميد وأخلاقُهُ.

المطلب الثالث: ثقافتُهُ

المبحث الثالث:

المطلب الأول: ترسل عبدالحميد

المطلب الثاني: الترسل الفني عند عبدالحميد

المبحث الرابع: عبدالله بن المقفع

المطلب الأول: ترجمة ابن المقفع
المطلب الثاني : صفاتُهُ وأخلاقُهُ
المطلب الثالث: زندقتُهُ
المطلب الرابع: شعوبيتُهُ
المطلب الخامس: ابن المقفع المصلح الإجتماعي
المطلب السادس : آثار ابن المقفع
الفصل الثاني: الكتابة الأدبية
المبحث الأول: مفهوم الكتابة الأدبية
المطلب الأول: تعريف الكتابة الأدبية
المطلب الثاني: نشأة الكتابة وغايتها
المطلب الثالث: أهمية الكتابة وآدابها
المطلب الرابع: أنواع الكتابة
المبحث الثاني: تاريخ الكتابة
المبحث الثالث: الكتابة عبر العصور
المطلب الأول: الكتابة الأدبية في العصر الجاهلي
المطلب الثاني: الكتابة الأدبية في صدر الإسلام
المطلب الثالث: الكتابة الأدبية في العصر الأموي
المطلب الرابع: رسائل عبدالحميد الكاتب
الفصل الثالث : الموازنة بين الكاتبين
المبحث الأول: الموازنة الأدبية
المطلب الأول: تاريخ الموازنة الأدبية
المطلب الثاني: الموازنة عند القدماء والمحدثين
المطلب الثالث : الأصول اللازمة لعقد الموازنات الأدبية
المطلب الرابع: أنواع الموازنات الأدبية

المطلب الخامس : معايير الموازنة عند القدماء والمحدثين

المبحث الثاني: المميزات الفنية عند عبدالحميد وابن المقفع

المطلب الأول: أسلوب عبدالحميد

المطلب الثاني:أسلوب ابن المقفع

المطلب الثالث: الإيجاز عند عبدالحميد

المطلب الرابع: الإيجاز عند ابن المقفع

المبحث الثالث:

المطلب الأول: اللغة عند عبدالحميد

المطلب الثاني: اللغة عند ابن المقفع

المطلب الثالث: التصوير أو التشبيه في أسلوب عبدالحميد

المطلب الرابع: التصوير أو التشبيه في أسلوب ابن المقفع

المبحث الرابع: الموازنة بين عبدالحميد وابن المقفع

الخاتمة: وتشتمل على التلخيص والنتائج والتوصيات والفهارس .

وقد تم عمل فهرس للآيات القرآنية مرتبة حسب ترتيبها في المصحف الشريف ، وكذلك فهرس لقائمة المصادر والمراجع مرتبة هجائياً ثم فهرس الأبيات الشعرية وفهرس للحكم والأمثال ، وفهرس للأعلام حيث يتم ذكر العلم في مواضعه المختلفة في البحث . وأخيراً يتم عمل فهارس للموضوعات تعين القارئ على الوصول إلى تفاصيل البحث .

وأخيراً أقبل العمل مع قلته ، والجهد مع ضآلته ، والسعى مع شوائبه ، عز جاهك وجل ثناءك ولا إله إلا أنت .

تمهيد

الموالي في عصر بني أمية

هم في الأصل الذين صاروا سَبْياً للعرب، ففرقوهم في المحاربين يتولون أمرهم فيسترقونهم ، وينسب المولى إلي أسيادهم الذين ملكوا رقه، فيعيش مستظلاً بظلهم، وتنشأ ذريته على ذلك الولاء.

ولقد اقتضت سياسة بني أمية الغض من شأن من ليس عربياً فاضطهدوا هؤلاء ولم يكن جميع الموالي من طبقة واحده ولا أمة واحده ، بل كان منهم من الفرس والروم ، ومنهم من ينتهي نسبه إلي ملوك الدولتين والأشراف فيهما، كما كان منهم الحبش والسودان والترك والبربر، وكل من فتح العرب بلادهم. لذلك كان أثر هؤلاء الموالي عظيماً، فأفادوا الأمة العربية بما حملوا معهم من نظام ودربة وذكاء وعلم وصناعة، ولو أن بني أمية أفسحوا المجال لهؤلاء الموالي، واطمأنوا إليهم، ولم يقصوهم من أعمال الدولة لعجلوا للأمة العربية بما كان في العصر العباسي الذي كانت سياسة خلفائه تقتضي بالاطمئنان إلي هؤلاء والافضاء إليهم بتدبير شؤون الدولة.

لقد كان من أثر اضطهاد الأمويين للموالي أن أقبل هؤلاء على العلم، يحصلونه، واللغة العربية يحذقونها ليجعلوا ذلك زلفى إلي اسيادهم، ولينالوا به نصيباً من عطفهم، وليستروا به مسبة الرقِّ وعارِه، فكان منهم أئمة الدين ومصابيح الهدى، وأعلام اللغة على حين شغل العرب بالرياسة وتدبير الملك وولاية الامصار والدفاع عن الملك، أو القيام بمناهضته.

ولقد كان عبد الحميد بن يحيي وابن المقفع أحد هؤلاء الموالي الذين أفادوا العربية بذكائهم الموروث وجدهم الذي طلبوا به المنزلة في العرب والجاه عندهم.[1] فقد أنفسح المجال لهؤلاء الموالي بحكم ثقافتهم وخبرتهم بشؤون الملك وتدبيره، أن يكونوا أقدر الناس على إنشاء الرسائل وتدبيجها وتنظيم الدواوين وإدارتها، هذا ولم يكن لأصولهم الأعجمية أن

([1]) الأدب العربي وتاريخه في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية ، تأليف الأستاذ محمود مصطفى ، ج1 ، ط2 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1937م، ص 228– 229.

تمنعهم من تسنم هذه المناصب والخلفاء في مسيس الحاجة إليهم، وكان على ديوان الرسائل أيام هشام والوليد سالم الكاتب مولي هشام، وكان على ديوان الخاتم في عهد يزيد بن الوليد عمرو بن عثمان الحارث مولى بني جمح. وآخر من كتب للأمويين عبد الحميد الكاتب الذي كتب لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. وآخر من كتب للأمويين كذلك ابن المقفع الذي كتب ليزيد بن عمر بن هبيرة وأخيه داؤود[1] .

ومن هذا يتضح لنا أن الكتابة في هذا العصر قامت على أكتاف الموالي ولإلمامهم باللغات الأجنبية المختلفة.

أثر الموالي في تطور الكتابة:

العصر العباسي هو عصر الكتابة الفنية، فقد بلغت فيه منزلة رفيعة لم تبلغها من قبل وكان للموالي أكبر الفضل في ذلك، فهم الذين أفرغوا عليها من نفسهم، ونفخوا فيها من روحهم حتى بلغت هذه المرتبة.

وإن نظرة واحدة إلي رسائل العهدين: الأموي والعباسي لرأينا إلي أي حد كانت هذه النهضة، إن مدرسة عبد الحميد – تلميذ سالم – كانت نقطة البدء في هذا التطور الواضح. ويقول أبو هلال العسكري:(كأن عبد الحميد الكاتب أستخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوله إلي اللسان العربي)[2].

وفي هذا العصر بلغ الاختلاط أشده وتمت عملية المزج بين العقليتين السامية والآرية[3]وكانوا حلقة الوصل بين اللغتين فقد كانوا ملتقي الثقافتين في هذا العصر الذي تنسموا فيه نسيم الحرية وتسنموا فيه أرفع المناصب مما جعلهم من ائمة النهضة الأدبية[4].

([1]) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي: د. محمد نبيه حجاب ، ط1 ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1961م ، ص 129 وما بعدها.

([2]) كتاب الصناعتين: لابي هلال العسكري ، ص 21.

([3]) الآرية: الأوربية – السامية: العرب بابل وأشور – الفينيقيون والاسرائليون .

([4]) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي: د. محمد نبيه حجاب ، ص368– 369.

الفصل الأول

عصر وحياة الكاتبين

المبحث الأول

عصرهما

المطلب الأول:

الحياة السياسية في العصر الأموي والعصر العباسي

إن الخلافة لابتداء الأمر كانت جارية على ما أُلف من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من خشونة العيش والقرب من الناس وإطراح الخيلاء، وأحوال الملوك مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم، وجيء إليهم بالأموال التي لم يفز عظماء الملوك بجزء من أجزائها، ناهيك أنهم فتحوا عدة ممالك من المشرق والمغرب حتى ذكر عظماء الملوك عند بعض أهل السلف فقال :(إنما الملك الذي يأكل الشعير ويَعُسُّ على رجليه بالليل ماشياً وقد فتحت له مشارق الأرض ومغاربها) يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولم يزل الأمر على ذلك إلي أن سلّم الحسن رضي الله عنه الأمر لمعاوية، وإلي ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم! '' الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك''فكان آخر الثلاثين خلافة الحسن فلما سلَّم الحسن رضي الله عنه لمعاوية بعد وقوع الاختلاف وتباين الاراء اقتضى الحال في زمانه إقامة شعار الملك وهو اللون الأخضر الذي اتخذه بني أمية شعاراً لهم[1].

وقد غير انتقال الخلافة إلي معاوية بن أبي سفيان نظام الشورى الذي كان أساس انتخاب الخلفاء الراشدين، وتحولت الخلافة إلي ملك آل صاحبه بقوة السيف و السياسة والمكائد. ولما ولى معاوية ابنه يزيد ظهر نظام التوريث وانتقلت الدولة من ذلك النظام إلي نظام سار عليه الأمويين في حكم الدولة الإسلامية، وبذلك أصبحت الخلافة الأموية اقرب إلي السياسة منها إلي الدين، واستحالت بذلك إلي ملك، وغدا نظام الخلافة أشبه بالنظام الملكي أو القيصري، نسبة لتأثر معاوية بنظام الدولتين

([1]) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: للقلقشندي ، ج3 ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة – مطابع كوستا تسوماس وشركاؤه سنة 1914م ، ص 266– 270.

البيزنطية والساسانية. وسار في تحقيق هذه السياسة بمنتهى المهارة، فأوحى إلي عماله على الأمصار أن يمهدوا السبيل لأخذ البيعة لابنه يزيد. وأصبح الخليفة الأموي يعين ولي عهده ويأخذ البيعة له من وجوه الناس وكبار القواد في حضرته، وأصبح الانتخاب شرعاً على أي حال. وهذا النظام أدي إلي ظهور العداوة والبغضاء بين أفراد البيت الأموي وتعدى ذلك إلي القواد والعمال، مما ساعد على سقوط الدولة الأموية. وكان النظام الإداري في صدر الإسلام وفي عهد بني أمية نظاماً أولياً فلم يتبع توزيع الاعمال على الإدارات المختلفة، واختصاص كل إدارة بأعمال معينة كما فعل العباسيون من بعد[1].

الحياة السياسية في العصر العباسي الأول:

أشتدت الدعوة العباسية أواخر الدولة الأموية بعد تخطيط دام أكثر من ربع قرن وتنفيذ دقيق. فتمت للعباسين الخلافة ببيعة المسلمين لأبي العباس بالكوفة سنة 132هـ واعتمدت الدولة العباسية على الإسلام في سياستها وقد شهد هذا العصر عظمة الخلافة العباسية، وامتدت في ظلال سلطانهم العظيم، وكان عهد استقرار وازدهار، فقد ثبتت قواعد الدولة على يد المنصور وامتد نفوذها في كل مكان في أيام المهدي وتألقت حضارتها وعظمت هيبتها في زمن الرشيد والمأمون، وتوالت انتصاراتها العسكرية في خلافة المعتصم، وظلت في قوة وازدهار في عصر الواثق والمتوكل.

في ظل هؤلاء الخلفاء كان النفوذ السياسي للعنصر الفارسي الذي ساعد على قيام الدولة ونشر دعوتها وكانت الأمور بأيدي الوزراء والقواد الفرس وإن كان للخليفة العباسي الرأي الأعلى والسلطان الكامل والكلمة النافذة والرأي القاطع، وربما أوجس في نفسه خيفة من معاونيه من الفرس، فبطش بهم كما فعل المنصور بأبي مسلم

([1]) تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي: د. حسن إبراهيم ،ج1 ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص437- 438- 443.

وكما فعل الرشيد بالبرامكة والمأمون بالفضل بن سهل.[1] وإذا كانت دولة بني أمية عربية إعرابية فأن دولة بني العباس أصبحت أعجمية خراسانية.[2] فقد كان للفرس في هذا العهد نفوذ كبير، فهم أكثر من تولى الأعمال للمنصور وأتخذ الخلفاء في ذلك سُنة. وفي عهد الرشيد زاد نفوذ الفرس بفضل البرامكة وكان منصب الوزارة وغيرها وقفاً عليهم وظل نفوذهم في ازدياد بتوالي السنين. فأصبح الخلفاء يعتمدون عليهم في كل شيء فهم الذين نسقوا الدواوين، ووضعوا أسس الكتابة الفنية والحرب ونظم الحكم، وفي العصر العباسي بلغت الكتابة منزلة رفيعة لم تبلغها من قبل. وإن نظرة واحدة إلي رسائل العهدين الأموي والعباسي لرأينا إلي أي حد كانت هذه النهضة، كما رأينا في يسر وسهولة أن مدرسة عبد الحميد وابن المقفع كانت البدء في هذا التطور الواضح.

وقد تميز هذا العصر بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة ولكن ضعفت الخلافة وضاعت هيبتها في عصر المتوكل والمنتصر والمعتز وذلك بسبب نفوذ الأتراك، الذين بلغ عددهم مبلغاً كبيراً في ظلال حكمهم.

([1]) تاريخ الادب العربي في العصر العباسي: د. شوقي ضيف ، ص 3.

([2]) البيان والتبيين: للجاحظ ، ج2 ، ص 201.

المطلب الثاني:

الحياة الاجتماعية في العصر الأموي والعصر العباسي:

يقصد بالحالة الاجتماعية في بلد من البلاد ذكر طبقات المجتمع في هذا البلد من حيث الجنس والدين وعلاقة كل منهما بالآخر. كان الخلفاء الراشدون والأمويون من بعدهم يعتمدون على العنصر العربي في إدارة شئون الدولة التي أمتدت فتوحها من أسوار بلاد الصين شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً. وقد تعصب الأمويون للعرب ونظروا إلي الموالي نظر السيد للمسود مما أثار روح القومية في نفوس هؤلاء الموالي فثاروا على الحكم الأموي وانضموا إلي الخارجين على بني أمية وفي غيرها من الثورات التي كانت ترمى الي القضاء على بني أمية[1].

هذا إلي أن العنصر العربي نفسه لم يكن متحد الكلمة بسبب اشتعال العصبية القبلية التي حاول الإسلام القضاء عليها. ثم إن المنافسة في طلب الخلافة قسمت العرب شيعاً فكرية دينية في ظاهرها سياسية في حقيقتها ومنها أهل السنة: وهم يرون أن الخلافة تكون باختيار أهل الحل والعقد (وجهاء القوم وساداتهم)، وأن قريش أحق بها[2].

والشيعة وهم أنصار العلويين، يعتقدون أن الخلافة تكون بالنص والتعيين في أبناء علي بن أبي طالب؛ لأن علياً ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته ؛ فالخلافة إذن للطالبيين من بني هاشم، والخوارج وهم يعتقدون أن الخلافة أمر دنيوي لتصريف أمور الناس. فإذا أتفق الناس على تصريف أمورهم لم يبق ثمت حاجة إلي الخليفة. وللناس أن يولوا على أنفسهم من شاءوا. والمَرْجِئة وهم أمويون، قالوا إننا نطيع الخليفة ولو كان فاسقاً ونرجئ أمره إلي الله، فالله هو الذي يتولى حسابه.

واتسعت الحضارة العربية أيام الأمويين، إذ بنى الأمويون المدن والمساجد والقصور

([1]) تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي: د. حسن إبراهيم ، ج1 ، ص529.

([2]) تاريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ ، ج1 ، ط7 ، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت 1997م، ص 353.

وتدفقت الأموال من جميع أنحاء الامبراطورية إلي الشام ودمشق خاصة فكثر الترف وخصوصاً بين أمراء البيت المالك ورجال الدولة، ثم عمّ الرخاء سائر البلاد فعمَّ التأنق في المطعم والملبس والمسكن وقامت مجالس اللهو والغناء، ولعب النرد والشطرنج، والصيد ومجالس الخمر. ثم كثرت الجواري، وتطور الغناء في تلك المجالس والمواسم تطوراً بارزاً لما دخله من الفن الفارسي والفن الرومي[1].

الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول:

نعلم أن الحياة الاجتماعية تتركز على الحالة الإقتصادية للدولة رقياً وضعفاً وقد كانت الحياة الاقتصادية في هذا العصر شديدة الفوضى والاضطراب، وذلك أن الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي، ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة ومن أتصل بهم من الفنانين والعلماء والمثقفين،كانوا يتمتعون بالبذخ والترف. وعلى الجانب الآخر طبقات قُتترِ عليها في الرزق، تجرعت غصص البؤس والشقاء الأليم، وكانت الأموال التي تتدافع إلي الجيوب والخزائن تدفع في الحياة من فرش ورياش، وثياب وعطور وحرائر وجوار يرفلن في الحرير، ويختلن في الحلي والجواهر. وكثر الرقيق في هذا العصر كثرة مفرطة، وكانوا من أجناس وثقافات وديانات وحضارات مختلفة، فأثر ذلك تأثيراً واسعاً في المجتمع وامتدت الآثار إلي قصر الخلافة. حتى أصبح الخليفة العباسي ملكاً ساسانياً يحكم حكماً مطلقاً. مما كان له أسوأ الأثر في خضوع الناس للظلم والفساد.

وإذا نظرنا إلي الحياة الاجتماعية، فإن ابن المقفَّع، قد عاش عصر إنتقال، وشهد الدولتين الأموية والعباسية. وإذا عقدنا مقارنة بين الحياة الأموية والحياة العباسية، فنرى أن الحياة الأموية أقل تكلفاً وأكثر سذاجة، وأدل على الذوق العربي البدوي البسيط. ونرى أن أكبر ظاهرة في الحياة الأموية، هي سيطرة العنصر العربي في العصر الأموي، وصبغته بهذه الصبغة، والتي جعلته إذا أراد الترف والنعيم، وتخير من ترف الأمم الأخرى ونعيمها، لم يأخذه كما هو بحذافيره بل يعدل فيه

([1]) تاريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ ، ج1 ، 353– 354.

حسب ذوقه وميوله ويجعله شيئاً عربياً لا فارسياً ولا روميا صِرفاً.رأوا الموائد الفارسية، وأدخل الخلفاء والأمراء على موائدهم شيئاً من التحسين، ولكن لم يكن العربي البدوي إذا دخل على معاوية أو عبد الملك، يشعر بأنه في جو آخر بعيداً كل البعد عما يعرفه، أما العباسيون فنرى أنه لم يكن شأنهم كذلك. فلئن كان الأمويون ينقلون إليهم بعض العادات مع صبغها بصبغتهم، فالعباسيون كانوا هم الذين ينتقلون بحذافيرهم إلي العادات والتقاليد الجديدة[1].

نلاحظ أن العباسيين ، قد عوّلوا كثيراً على الفرس ، بل أنهم افتتنوا بالحياة الفارسية في جميع مظاهرها.

أما إذا تحدثنا عن الأدب في العصر العباسي الأول، فنرى أن الأمويين قبلهم كانت نزعتهم نزعة عربية جاهلية، لا تميل إلي الفلسفة، بل كان يؤثر عليها الشعر الجيد والخطبة البليغة، فأجاد بعض الخلفاء نظم الشعر، كيزيد بن معاوية، حتى قالوا:(بدأ الشعر بملك وختم بملك) [2] يعنون امرءا القيس ويزيد بن معاوية.

أما في العصر العباسي، فقد ظهر كثير من الشعراء الذين نهجوا بالشعر مناهج جديدة في المعاني والموضوعات والأساليب، حتى فاقوا في كل ذلك كل من سبقهم من الشعراء الإسلاميين والمخضرمين والجاهليين[3].

على أن مناصرة الفرس للعباسيين[4] لم تكن وحدها كل ما للفرس في هذا العصر بل أن علومهم وحضارتهم ساهمت كذلك في إرساء دعائم الدولة العباسية الأدبية والثقافية، كما أضاف الفرس علوماً جديدة مصدرها انتحالهم للإسلام، وخضوعهم

([1]) ضحى الإسلام: د. أحمد أمين ، ج1 ، ط10 ، مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1993م ، ص101.

([2]) تاريخ الإسلام السياسي: د. حسن إبراهيم ، ج2 ، ط7 ، 1964م ، ص 339.

([3]) تاريخ الإسلامي السياسي: د . حسن إبراهيم ، ج2 ، ص 340.

([4]) يبدو أن خلفاء هذه الدولة ظلوا على وفاء للفرس بمدة تقرب من قرن من الزمان ، مما مكن الفرس من السيطرة على جميع شؤون الدولة طيلة هذه المدة ، وتتضاءلت بذلك أهمية العرب، وانصرف الخلفاء عنهم إلى أنصارهم من الفرس ، أولئك الذين ساعدوهم على قيام دولتهم. راجع التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: د. عثمان موافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، ص 23.

لدولة العرب. فنبغ فيهم الرواة والقراء والمؤولون، وأصحاب الأخبار، واللغويون، وأصحاب معاني الأشعار، وإنما كان همَّ الناشئ منهم أن يجدّ في إتقان ما أورثه أسلافهم من العلم، وتحصيل ما أفاده عصره من المعرفة، ليكون ذا فضيلة تقربه من أهل الملك وذوي السلطان، وترفع شأنه عند أولئك العرب الأميين الذين كانوا لآبائه أتباعاً، فأصبحوا اليوم ملوكاً، وهذا ما دعا ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب أن يصقلا هذه التجربة ويخوضا غمارها، ليبُذا أقرانهم وأهل زمانهم.

المطلب الثالث:

الحياة الثقافية والفكرية في العصر الأموي والعصر العباسي الأول:

لم يقتصر التطور في البيئة العربية على جانب واحد من الحياة الاجتماعية فقد تطورت تلك الحياة في جوانب أخرى: لقد كان للغة والنحو والأدب والفقه والطب ولعلم الكلام (وهو الدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية) نصيب من ذلك التطور الكبير. كذلك اتسعت الحياة السياسية في جانبها النظري في تخريج الآراء في صحة الخلافة وشروط الحكم وفي جانبها العملي من قيام الأحزاب، والنزاع في سبيل نصرة مباديء تلك الأحزاب، إمّا في مجالس العلم بالجدال أو ميادين الحرب بالقتال. ولقد سبقت الإشارة إلي أهل السنة وإلي الشيعة والخوارج والمرجئة. ولابدّ هنا من الإشارة إلى حركة الاعتزال التي اتسعت في العصر الأموي اتساعاً كبيراً فوقف فيها المعتزلة يجعلون العقل حكماً في أمور الدين تأثراً بالفلسفة التي كانت قد بدأت تتسرب إلي البيئة العربية تسرباً شخصياً. ثم هب العلماء من أهل السنة والجماعة– غير الشيعة والخوارج من المسلمين– يجعلون العقل قاصراً عن الحكم في أمور الدين ويردون الحكم في تلك الأمور إلي الوحي وحده وإلي ما جاءت به الأخبار الدينية[1].

أما الأدب في عصر بني أمية، فلم يشهد انقلاباً في المفاهيم الاجتماعية والسياسية بقدر انقلاب مفاهيم الأدب الجاهلي بمجي الإسلام، لأن عصر بني أمية يعتبر امتداداً لعصر صدر الإسلام وعموماً الأدب ليس شارة يسهل على الإنسان

([1]) تاريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، ص 355– 356.

تغييرها بسقوط دولة وقيام أخرى، وليس من السهل أن يخلع ثوب ماضيه ويلبس ثوب حاضره استجابة لانقلاب المفاهيم فجاءت دولةبني أمية والمفاهيم الإسلامية التي تتحكم في المعاني والألفاظ والعواطف والأفكار، وهي نفسها لم تتغير إلا أن اختلاف العاطفة والموضوع، اقتضى انتقال العرب إلي حياة روحية جديدة، وتشابه في الصورة والمنهج، لأن المؤثرات البيئية التي استهدفها النثر الجاهلي، لم تتغير كثيراً عند منبثق الدعوة الإسلامية، إلا أن الصراع الحزبي والفرق التي نشبت في دولة بني أمية، لهي من أهم الظواهر التي أغنت نثر هذه الفترة، لاسيما الحزب الأموي الذي تفرد بالسلطة والجاه[1].

ومن أهم الفنون الأدبية التي شهدت تطوراً في الحياة النثرية لدولة بني أمية الرسائل أو الكتابة الفنية أو الأدبية، موضوع الدراسة. وستظل الدراسة محاولة واجتهاد لإضاءة جوانب غامضة لبلوغ الحقيقة.

الحياة الثقافية والفكرية في العصر العباسي الأول:

وقد كُفلت الحرية العقلية في هذا المجتمع إلي أبعد غاية ممكنة بحيث كان كل رأي يعرض للمناقشة العقلية الخالصة حتى أراء الزنادقة . ومما لا شك فيه أن المجتمع كان يرتبط حينئذ بالإسلام ارتباطاً وثيقاً في جميع شؤونه الروحية والاجتماعية، وأصبح سلطان العقل هو الباعث الحقيقي لرقى الحياة العقلية في هذا العصر، وليس من شك في أن ذلك كان ثمرة ازدهار الحركة العلمية في العصر فقد تغلغلت المعرفة والثقافة في جميع الأوساط حتى في أوساط العامة، وأصبحت غذاء لجميع العقول والقلوب، وبرزت صفوة من العلماء والأدباء استطاعت أن تسبغ كل ما نقل إلي العربية من ثقافات متباينة وأن تضيف إليها من عقولها وقلوبها مما دعم حضارتنا العربية دعماً بما أحدثوه من علوم وبما كتبوا من آثار عقلية رائعة وأبيات شعرية خالدة[2].

([1]) العقد الفريد: ابن عبد ربه ، ج3، ص83.

([2]) العصر العباسي: شوقي ضيف ، ص 106– 108.

أما فيما يختص بالعلوم، فيرى أحمد أمين أن العلوم لم تعرف مميزة إلاَّ في القرن الثاني، وإن كان كثير من الأسس العلمية قد وضعت في القرن الأول فضلاً عن أن طور التدوين بدأت فيه مظاهر للحركة الدينية، وكان قوام هذه الحركة تفسير آيات القرآن الكريم، وجمع الأحاديث واستنباط الأحكام منها[1]. ومن هنا نلحظ شيئين مهمين أولهما: أن طور التدوين لم يكن خالصاً من التأليف.

وثانيها : أن تاريخه لذلك غير واضح بصورة قاطعة.

وقد وجدت روايات تزعم أن ثمة ترجمات سبقت أول كتاب ترجم في البصرة أيام سيدنا عمر بن عبد العزيز المتوفي سنة إحدى ومائة. وهذا الكتاب هو أهرن القس في الطب، ترجمة ما سرجوية البصري[2].

ويرى أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام، أن في الإمكان جعل الخمسين عاماً الأخيرة في حكم الدولة الأموية، إلي صدر الدولة العباسية، فترة لتدوين العلوم وتنظيمها سواء ذلك في العلوم النقلية أو العلوم العقلية[3].

ثم يقبل القرن الثاني على حركة واسعة للعلم، ويتضاعف إخلاص الناس للترجمة ويتقدمهم ابن المقفَّع ويقودهم في ضوء حاجات العصر وحاجات أولى الأمر إلي أن يهتموا بكل كتاب علمي تقع عليه أيديهم، بل أن النبط حظيت بعناية، برغم احتقار العرب لهم بصفة خاصة[4].

ويبدو أن حركة النقل كانت أكثر نشاطاً، وأغزر إنتاجاً في الميدان اليوناني وقد تولى النساطرة ومن معهم من اليعاقبة ترجمة كثير من الكتب اليونانية الي السريانية ووقف إلي جانبهم ابن المقفع الذي ترجم أيام المنصور عن اليونانية، كتب أرسطو في المنطق كما ترجم عن الفارسية بعض الكتب. وفي تحقيق للأستاذ

([1]) فجر الإسلام: د. أحمد أمين ، ط1 ، مكتبة النهضة المصرية 1965م ، ص 195.

([2]) الحياة الأدبية في البصرة: أحمد كمال زكي ، طبعة دار المعارف ، مصر 1917م ، ص147.

([3]) ضحى الإسلام: أحمد أمين، ج2 ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص19.

([4]) الحياة الأدبية في البصرة: أحمد كمال زكي ، ص 149.

كراوس، نرى أن ابن المقفع في ترجمته لكتب أرسطو قد أستخدم الأصل اليوناني دون التجاء إلى الترجمة السريانية وإن كان يستظهره أنه محمد بن عبد الله لا عبد الله نفسه[1].

هذا الخليط من العلماء، وهو صورة لما كان في البصرة من علم، كان له دور فعَّال في تأكيد المكانة التي وصل إليها العرب والمسلمون في احتضان هذه العلوم، وبعثها وتجديدها، مما كان له أثر في الحضارة الإنسانية آنذاك.

ولقد أصبح تفسير القرآن ورواية الحديث شغل علماء البصرة الشاغل[2]. غير أن المتكلمين كان لهم موقفٌ خاصٌ، ذلك أنهم لم يقتنعوا بالمنقول، ولم يقبل كثير منهم بما وصلهم عن طريق المحدثين، واضطروا– خضوعاً لموقفهم الفكري– إلي أن يؤولوا آيات القرآن، حتى زعمّ ابن قتيبة، أنهم قالوا في التفسير ما لم يعلموا، وفتنوا الناس بما أتوا، واتهموا غيرهم بالنقل دون أن يتهموا أرائهم في التأويل.

وبرز ابن المقفع– بعد حين من الدهر– ينفي على رجال الدين ذلك التعارض بقوله: (ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الأمصار والنواحي، اختلاف الأحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها أمراً عظيماً) [3]. فالعلماء اشتبكوا في جدل فقهي، أمد العقلية البصرية بأسباب متعددة من القوة وتعرّض لهؤلاء ابن قتيبة، ورمى أصحاب الرأي منهم، كما يقول الدكتور أحمد كمال زكي– بأنهم يختلفون ويقيسون ثم يدّعون القياس ويستحسنون غيره ويقولون بالشيء ويحكمون به، ثم يرجعون عنه؛ لأنهم نبذوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولازموا القياس، إذ كيف يطرّد القياس في فروع لا تتفق أصولُهُا والفرع تابع للأصل[4].

وأثر هذا في تفكير ابن المقفع، إذ طالما نادى في كتاباته باستشارة العقل والاعتماد

([1]) الحياة الأدبية في البصرة: أحمد كمال زكي ، ص 157.

([2]) الفهرست: لابن النديم– تحقيق الشيخ رمضان ، دار الفتوى ، بيروت ، دار المعرفة، ط2، 1997م ، ص30.

([3]) جمهرة رسائل العرب: زكي صفوت ، رسالة الصحابة، ج3 ، طبعة البابي الحلبي 1937م ، ص 36 ومابعدها.

([4]) الحياة في البصرة: أحمد كمال زكي ، ص 157.

عليه، فحديثه أبداً موجّه إلي العاقل، فكأنه لا يحفل إلاّ بالعقل والعقلاء أو كأنه سلم بأن الناس كلهم يأخذون بالعقل، ولذا فهم عقلاء. يقول في الأدب الصغير:(وعلى العاقل أن يجبن عن المضي عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً، وإن ظن أنه على اليقين). وكذلك يقول :

(وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر في أيّهما الصَّوَابُ أن ينظر أهوَاهُما عنده فيحذره) [1].

المبحث الثاني

عبد الحميد الكاتب

المطلب الأول: ترجمة عبد الحميد:

أسمه:

([1]) الأدب الصغير: تحقيق أحمد زكي باشا ، ط1 ، جمعية العروة الوثقى الإسلامية 1911م ، مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية ، ص 22– 23.

هو عبد الحميد بني يحيي بن سعد، وفي بعض المصادر (سعيد) [1] وكان عامرياً أو مروانياً[2] بالولاء، ونسبته إلي الولاء العامري أرجح، إذ رددته معظم المصادر، أي أنه كان مولي العلاء بن وهب العامري نسبه الي عامر بن لوي بن غالب، وقيل نسبه إلي عامر بن كنانة[3]. وجاء في كتاب التنبيه والإشراف متصل النسب بلؤي بن غالب ، علي هذا النحو: هو عبد الحميد بن يحيي بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب[4].

والقول بأنه مولى هو الأرجح، لأنه أصهر إلي مولي وهو سالم الكاتب وفي العصر الذي عاش فيه عبد الحميد كان تزوّج المولى أمرأة عربية أمراً نادراً، وذهب بعضهم إلي القول بأن جدَّه كان من سبي القادسية[5]، أي أنه يرجع إلي أصل فارسي أو نبطي وهذا إن صح يؤكد أنه نشأ على الولاء.

ويذكر البلاذري أنه أنباري الأصل، ويردد الذهبي هذا القول ويضيف أنه سكن

([1]) (سعد) في مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ، ج3 ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحَّام، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1997م ، ص 260.

والتنبيه والاشراف للمسعودي ، دار صعب بيروت ، ص284. وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للحافظ المؤرخ شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (حوادث ووفيات 121–140هـ) تحقيق د. عمر عبدالسلام تدَّمري ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، ط3 ، 1997م ، ص 470– 471.

والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: للحافظ محب الدين بن النجار البغدادي تحقيق محمد مولود خلف ، إشراف د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة بيروت ،ط1 ، 1986م، ص 280.

وسعد في ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3 ، دار الثقافة ، بيروت بدون تاريخ ، حققه د. إحسان عباس ، ص 228– 232.

(وسعيد) العقد الفريد ، ج4 ، ص 469 ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لابي منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 169.

([2]) أنساب الأشراف: ج2، ص347.

([3]) في أكثر المصادر: عامر بن لؤي وقال الذهبي : ج5، ص 471، وقيل عامر بن كنانة وجمع بين الاثنين في مختصر ابن منظور ، ج14 ، ص240.

([4])في التنبيه والإشراف ، ص 284.

([5]) انظر أمراء البيان: محمد كرد علي، ج1 ، ص46.

الرَّقة[1].

أما ابن النديم فذكر أنه كان من أهل الشام، ثم لما أراد أن يعيِّن اسم البلد الذي ينتمي إليه ترك موضع الاسم خالياً[2]. وقد يصح التوفيق بين الروايتين إذا اعددنا الرِّقة مكاناً وسطاً متنازعاً بين الشام والجزيرة. علي أي حال فإن أهله قبيل وفاته كانوا يسكنون بالقرب من الرقة في موضع يعرف بالحمراء[3]. وقد وصفه الجاحظ في بيانه بالأكبر وابن عبد ربه في العقد[4]. ولقبه بروكلمان بالأصغر[5]. على أنه إن صح أي من اللقبين فلابد أن يكون هنالك شخص ثان اسمه عبد الحميد، حمل هذا اللقب، ومن أجل ذلك تمَّ هذا التمييز[6].

ويبدو أنه بعد أن حصَّل شيئاً من الثقافة، أتخذ تعليم الصبيان حرفة وعاش متنقلاً في البلدان[7]. إن الذهبي يذكر أنه كان مؤدباً[8] بينما تُدْرِجُه المصادر الأخرى في

([1]) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للحافظ المؤرخ شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (حوادث ووفيات) (121– 140هـ) تحقيق د. عبدالسلام تدمري ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، ط6 ، 1997م ، ص 470– 471. والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص 280.

([2]) الفهرست: ابن النديم هو أبوالفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق النديم المعروف بأبي يعقوب الوراق ، تحقيق الشيخ رمضان ، دار الفتوى بيروت، ودار المعرفة ، ط2 ، 1997م، ص149–301. وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ، ج10، ط3 ، 1980م ، مكتبة المعارف بيروت ، ص55 ، أنه من قيسارية وانفرد بذلك.

([3]) الوزراء والكتاب: للجهشياري هو أبوعبدالله محمد بن عبدوس ،ط1 ، حققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي 1938م ، ص72.

([4]) البيان والتبيين: للجاحظ ، ج1 ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط3 ، 1968م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة الهلال بيروت، المكتب العربي بالكويت، ص208 . والعقد الفريد: أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، شرح وضبط أحمد أمين ، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري ، ج4 ، ط3 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1965م ، ص 64 – 170.

([5]) تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ، ج1 ، ط2 ، ترجمة د. عبدالحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 261.

([6]) عبدالحميد الأصغر، كتب فيما يقال لسليمان بن عبدالملك. العقد الفريد ، ج4 ، ص165، ولكني لم اهتد إلى تعريف به.

([7]) الفهرست ، ص 149، وابن خلكان ، ج3 ، ص228، والمستفاد ص 280.

([8]) تاريخ الإسلام: للذهبي ، ص 470.

سلك المعلمين، ولقد احترف التعليم في العصر الأموي عدد غير قليل من الناس يذكر فيهم الحجاج بن يوسف، والكميت بن زيد، وقيس بن سعد وغيرهم[1].

ولهذا فغير مستغرب أن عبد الحميد رفعته الكتابة إلي مستوى الشهرة بعد أن كان مهنته التعليم. ونشأت بينه وبين سالم بن عبد الرحمن أبي العلاء صلة ، كانت نقطة تحوُّل في حياة عبد الحميد ، يقول بن النديم إنّ سالم كان خَتَنَ[2] عبد الحميد هذا يعني أنه كان والد زوجة عبد الحميد أو أخاها، وبهذا الصهر أقترب عبد الحميد من قصر الخلافة، إذ كان سالم من المقربين في قصر الخلافة الأموية.

وكان سالم مولى الأمويين بعامة وعلى التخصيص مولى سعيد بن عبد الملك أو هشام[3] قد دخل الديوان أيام عبد الملك لتعلُّم القواعد الديوانية كما يفعل الأحداث وأول ما نراه يتولى ديوان الرسائل في أيام هشام وقد أحرز منزلة عالية لدى الخليفة، كذلك كان سالم صديقاً لخالد القسريَّ. وقد بقى سالم يكتب لهشام طوال مدة خلافته، وكان يخلُفهُ على الكتابة إذا غاب بشير بن أبي دلجة[4].

ولهذا يمكن ان يُعزى جُلُّ الرسائل التي صدرت أيام هشام إلى قلم سالم. وقد وصف سالم بالفصاحة ، كما يُعْزَى إليه نقل رسائل ارسطاطاليس للإسكندر إلى اللغة العربية، ويعتبر سالم من اوائل من باشروا امر الترجمة. وكان لابد من الحديث عن سالم لأنه سبب انتقال عبدالحميد من التعليم إلى الكتابة. لما راه في عبد الحميد من خصائص تؤهله للمنصب الجديد في ديوان الرسائل. وقد وصلنا إلى بعض رسائل

([1]) البصائر والزخائر: لابي حيان التوحيدي ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، المجلد الثاني، رقم(1) مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ، دمشق ، ص 44–45. والبيان والتبيين ، ج1 ، ص 205.

([2]) الفهرست: لابن النديم ، ص 149.

([3]) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (224– 310هـ) ، المجلد السابع ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان بيروت،(2 رقم الفقرة 1649) مولى عنبسة بن عبدالملك وفي بعض النسخ مولى عتبة ، وانظر الجهشياري ، ص68، حيث ذكر أنه مولى سعيد ، وفي الطبري ، ج6 ، 2 رقم الفقرة 1838 أنه كان مولى سعيد ، وفي تهذيب تاريخ دمشق الكبير: للمؤرخ ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر: هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدران ، ج6 ، الطبعة الثالثة ، 1987م دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ، لبنان بيروت ، ص57. وتاريخ الذهبي ، ص 470 انه كان مولى هشام. وفي بغية الطلب ج8 ، ص 188 ، كاتب هشام ومولاه وقيل مولى سعيد بن عبدالملك، وقيل مولى المنذر بن عبدالملك.

([4]) الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص 62.

عبدالحميد التي كتبها عن هشام ، ومن ذلك رسالة السلامة كتبها إلى يوسف بن عمر. ورسالته في موسم الحج كذلك أن صحت فهي أول ماصدر عنه عندما أصبح معاوناً لسالم.

عاش عبدالحميد في الرصافة إلى أن عُيّن مروان بن محمد والياً على أرمينية وأذربيجان[1] وصحبه عبدالحميد إلى عمله الجديد، وبدأت مرحلة من العلاقة الوثيقة بين الرجلين استمرت حتى لقيا المصير نفسه. ولم تكن خلافة مروان عهداً موسوماً بالراحة والسكينة بل كانت فترة عاصفة بالتقلبات والفتن، فالثائرون في كل مكان. ثار عليه الخوارج ، وختمت تلك الثورات بقاصمة الظهر ، بظهور أبي مسلم وأعوانه، واجتياحهم المشرق كله، وقد شارك عبد الحميد صاحبه في هذه الفترة وكتب عنه الرسائل الكثيرة ، ومعظمها يتحدث عن فتنةٍ هنا وخروج هناك. كانت الفاجعة الكبرى في معركة الزاب الكبير وفراره معه وملازمته له إلى آخر اللحظات. وفي هذه الأثناء أشار مروان على كاتبه أن يتخلى عنه وعن صحبته ، ويذهب إلى العباسيين ، تلك رواية ترددت في كثير من المصادر متعرضة لاختلافاتٍ يسيره ، وردت في عيون الأخبار للدينوري[2]: (قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى ، فأظهر الغدر بي فإن حاجتهم إليك واعجابهم بأدبك سيحملهم على حُسنِ الظنّ بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلاّ لم تعْجزْ عن حفظ حُرمتي من بعد وفاتي). قال عبدالحميد لصاحبه: وكيف لي بأن يعلم الناس جميعاً أنَّ هذا عن رأيك ، وكُلّهم يقول إني غدرت وصرت إلى عدوك وأنشد:

([1]) الطبري 2: 1562 (رقم الفقرة في الصفحة) ص 90 ، الجزء السابع.

([2]) عيون الأخبار: تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ج1 ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، ص 26– 27. والعقد الفريد ج1، ص 79 ، ومروج الذهب ، ج3 ، ص 26 والمستجاد ، ص 194 ، وثمار القلوب ، وابن خلكان ، ج3 ، ص 229. وربيع الابرار ونصوص الأخبار: تصنيف الإمام محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق د. سليم النعيمي ، ج3 ، العراق إحياء التراث الإسلامي ، الكتاب الثالث عشر ، طبعة ديسمبر 1980م، ص237. وغرر لخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة: للإمام العلامة أبي اسحاق برهان الدين الكتبي المعروف بالوطواط ، دار صعب بيروت ، ص 34. وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: تأليف جمال الدين بن نباته المصري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر دار الفكر العربي ، مطبعة الميداني القاهرة 1964م، ص238. في الجهشياري: (فإني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مُخَلَّفِيَّ وفي كثير من أسبابي).

أُسِرُّ وفاءً ثم أُظْهِر غدرةً فمن لي بعذرٍ يوسعُ الناس ظاهُره؟

وأنشد أيضاً:

فذنبي ظاهر لا عيب فيه للأئمةٍ وعُذري بالمغيبِ.

فلما سمع ذلك مروان علم أنه لا يفعل– ثم قال عبدالحميد: الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك واقبحهما بي ، ولك على الصبر معك إلى أن يفتح الله عليك أو أقتل معك، وبلغا في مسيرهما إلى بوصير بمصر ، فأخذ مروان وقتل ، قتله عامر بن اسماعيل المسلميّ في الثالث عشر من ذي الحجة سنة 750/132 مع سته أو سبعة من أصحابه ليس فيهم عبدالحميد.

وبعد مقتل مروان هرب ابناؤه واتباعهما في اتجاه النوبة إلا أن عبدالحميد لم يهرب بل تخلَّف في مصر، وبقى مستتراً حتى دُلَّ عليه صالح بن على أو قائده عامر بن إسماعيل[1] أما كيف قبض على عبدالحميد ، فيقال إن الذين ذهبوا يبحثون عنه وجدوا اثنين في بيت، فسألوهما: أيكما عبدالحميد؟ فقال كلٌ واحدٍ منهما: أنا وكان ابن المقفع هو الثاني وكل منهما يحاول أن يدفع عن صاحبه ماقد يتربَّصُ به من مكروه، وخاف عبدالحميد أن يؤخذ ابنُ المقفع، فقال للطالبين: إن فيّ علامات، ووكلوا بنا بعضكم، ويمضى بعض يذكر تلك العلامات لمن وَجَّه بكم، فَفُعِلَ ذلك وأُخذ عبدالحميد.[2]

ويقول ابن خلكان إن عبدالحميد قتل مع مروان ، وهذا يجعل تاريخ مقتله سنة 132هـ ويقول ابن أبي الحديد: إنه قُتِل بعد مروان صبراً[3].

وهذا يجعل تاريخ وفاته في العام التالي ولدى الجهشياري قول ثالث هو أنَّ عامر بن اسماعيل المسلمي صاحب طلائع صالح بن علي لم يقتل عبدالحميد وإنما أمر بإرساله إلى أبي العباس ، فسلَّمه هذا إلى عبدالجبار بن عبدالرحمن ، فكان يحمي

([1]) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، ج2 ، طبعة دار صادر بيروت 1960م ، ص 347.

([2]) الجهشياري ، ص80 ، وغرر الخصائص ، ص 30.

([3]) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج2 ، ص 131.

طستاً ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل ذلك حتى قتله.[1] وهذا يقتضي أن يكون مقتله حتماً سنة 133هـ وهكذا تختلف الروايات حول مصير عبدالحميد: هل لقى القتل وهو حيَّ أو مات بعد التعذيب. وقد ظلَّ عَقِبُ عبدالحميد مدة من الزمان معروفين بنسبتهم إلى جدّهم الأعلى ، ولكن أكثرهم كانوا يسكنون مصر ، ويعرفون ببني المهاجر.

وقد ظلَّ بنو مهاجر معروفين بفسطاط مصر حتى عهد المسعودي فقد ذكر أنه رأي بعضهم[2]

وحسن بن مهاجر منهم ولد بالرقة ، وكان والده يتوكل لحسين الخادم في الضياع ، وقد تولى حسين هذا تنشئة حسن ، وبقى معه حتى استخدمه ابن طولون على البريد ، ثم جعله كاتباً له، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاة أحمد بن طولون ونراه يوم توفى ابن طولون يجتمع بالواسطي الكاتب لأخذ البيعة لخمارويه[3].

المطلب الثاني

شخصية عبد الحميد وأخلاقه

يُضرب المثل بعبد الحميد في شيئين الكتابة والوفاء[4]، أما الكتابة فهي الموضوع الرئيسي لهذه الدراسة ، أما الوفاء فهو سرُّ شخصيته، وقد رأينا منه نموذجين ساطعين؛ وفاءه للخليفة حين أبى أن يتخلى عنه، ووفاءه لصديقه ابن المقفع حين أبي إلا أن يقدم نفسه للموت حتى يكفُلَ السلامة لذلك الصديق. وهو وفاء يقترن برباطة جأش وشجاعة. وكأن عبد الحميد كان يصف نفسه حين تحدث عن الصفات

---

(1) الجهشياري ، ص79 وأورد الثعالبي هذه الرواية في ثمار القلوب ، ص 199 وقال فيها (فكان يحمي طستا ويضعه على بطنه ..) وانظر المستفاد ، ص 153.

(2) التنبيه والإشراف: للمسعودي ، ص 284.

(3) تهذيب ابن عساكر ، ج2 ، ص 86.

(4) صبح الأعشى في كتابة الإنشاء: تأليف الشيخ أبي العباسي أحمد القلقشندي ، ج1 ، الطبعة الأميرية بالقاهرة 1913م، ص 454.

التي يجب أن يتحلَّى بها الكاتب بقوله: (أن يكون وفيّاً عند الشدائد، عالماً بما يأتي ويذر، ويضع الأمور في مواضعها) [1].

وقد امتحنت الأيام عبد الحميد في مدى التلازم بين القول والفعل لديه، أليس هو الذي يردد المثل (من يلزم النصيحة يلْزَمَهُ العمل)، وهذا الوفاء نفسه هو المدخلُ الي الصداقة بينه وبين ابن المقفع وتوطدت، حتى إنه عندما عاتب ابن المقفع ذات مرة قائلاً: بلغني عنك شيء أكرهُهُ، قال ابن المقفع: لا أبالي قال: ولم ؟ قال: لأنه إن كان باطلاً لم تقبله وإن كان حقاً عفوت عنه[2]، وليس بعد هذه الثقة في الصديق وحسن تأتيه ما يفوقها رسوخاً، ولقد نسب إليه ما يدلُّ على أنه كان يرى الصداقة فوق الأخوة ،فإن لم يكن الأمر كذلك ، فإنه كان يرى الأخوة والصحبة بمنظار الصداقة وذلك حيث يقول :(إنما أحبُّ أخي إذا كان صديقي) [3].

ولعل ابن المقفع حين رسم صورة الصديق المثالي إنما كان يتحدث عن الخصائص التي عرفها في عبد الحميد حين قال[4]:(إني مُخْبِرُك عن صاحبٍ كان أعظم الناس في عينيّ وكان رأس ما أعْظَمَهُ عندي صِغرُ الدنيا في عينه، ... وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يُقْدِمُ إلا على ثقة أو منفعة، وكان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذَّ[5] القائلين، كان يُرَى مُتَضَعّفاً مُسْتضعفاً فإذا جاء الجدُّ فهو الليث عادياً...) [6].

ونوجز القول: إن عبد الحميد كان نموذج الرجل الاجتماعي الآخذ بآداب مجتمعة، وقد امتدَّ هذا الخلق لديه حتى شمل به الحيوان. قال له مروان. واشار الي دآبةٍ كان

([1]) الجهشياري ، ص 75 ، الرسالة ، ص 34.

([2]) لباب الآداب ، ص 340.

([3]) ينسب القول لغيره في عيون الأخبار، ج3 ، ص 90، للحكيم بزرجمهر.

([4]) هذا الوصف للصديق موجود في نهج البلاغة، ص 526، على أنه كلام الإمام عليّ ولكنه أيضاً ورد في الأدب الكبير، ونسبته لابن المقفع أقرب إلى الصواب.

([5]) بذَّهم: بمعنى سبقهم وغلبهم.

([6]) رسائل البلغاء: محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي وأخويه بكري وعيسى بمصر 1913م ، ص 106– 114.

يركبها عبد الحميد منذ مدة طويلة: قد طالت صحبة هذه الدآبة لك، فأجابه بقوله : يا أمير المؤمنين إنّ من بركة الدآبة طول صحبتها... وعندما أثنى عليها بقوله :(همُّها أمامها وسَوْطُها عنانُها، وما ضَرِبَتْ قط إلا ظلماً)[1] كان يرفعها إلي مستوى المرء العاقل الذي يتفاني في خدمة صاحبه، ولا يحتاج الي توجيه أو زجر ، فإذا قيل لنا إن مروان (كان لا يرى الدنيا إلاَّ به)[2] فذلك يعني أن تقديره لأخلاقه لم يكن ليقلَّ عن تقديره لمواهبه في الإنشاء، والتواضع والحلم واللين كذلك.

وهذه المنزلة التي بلغها لدى مروان من الرفعه فقد كان عند صاحبه (لا يتقدمه أحد في الثقة) وكان لهذه الثقة صادحاً بالنصيحة بكل لطف وحسن التأتي ؛ وظل تواضعه مفتاح شخصيته على مر الزمن. وذلك في الرسالة رقم 34: (وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ليناً) وينهي عن الكبر والعظمة المضرَّة بالدين والعقل والادب ويقول:(اياكم والكبر والعظمة فإنها عداوة مجتلبة بغير إحنة).

المطلب الثالث

ثقافته

في رسالة عبد الحميد الي الكُتّاب توجيهات أخلاقية وأخرى ثقافية، أما التوجيهات الثقافية فقد تستطيع أن تتصور حداً أعلى وآخر أدنى وثالثاً بين بين، ولعلَّ عبد الحميد إنما كان يرسم للكُتاب في الناحية الثقافية الحدّ الأدنى وهو الأساسي والضروري فهو يرى أنَّ الكاتب يجب أن يتفقه في الدين، فيبدأ بعلم كتاب الله والفرائض ثم يتقن العربية، ويجيد الخطّ ويروي الأشعار وغريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم، ويتقن الحساب ولا ريب أن عبد الحميد نفسه قد حصَّل هذه النواحي الثقافية. فقد ذكر من المؤثرات الثقافية فيه أنه تتلمذ على أربعةٍ من الناس لكلٍ منهم منهجه وخصائصه. أول هؤلاء سيدنا علي بن أبي طالب، إذ كانت خُطَبتهُ أساساً هاماً في ثقافته وفي توجيه أسلوبه، وسُئل ما الذي خَرَّجَك في البلاغة فقال : حفظ كلام

([1]) الوزراء والكتاب: الجهشياري ، ص 81– 82. وثمار القلوب: للثعالبي ، ص 198، والمستفاد للبغدادي ، ص 153.

([2]) ربيع الابرار: للزمخشري ، ج3 ، ص 237.

الأصلع (يعني علي بن أبي طالب) [1]. والثاني هو سالم الذي ترجم رسائل ارسطاطاليس ولا ريب أن عبد الحميد اطّلع عليها وأفاد منها –كما أفاد من طريقة سالم في الكتابة – ويتبين ذلك عند دراسة رسائله. والثالث هو ابن المقفع الذي قرأ له عبد الحميد في الأرجح بعض ما ترجمه عن الفارسية، وحاول أن يجاريه، وكانت العلاقة بين الرجلين تهيّئُ لهذا التأثُّر.

وهنا يجب أن نتوقف قليلاً عندما زعمه العسكري، فأنه يقول: وكان عبد الحميد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسيّ إلي اللسان العربي[2]، وهذا صحيح إذا اعتبرنا أنه اهتدى إلي شكل جديد، وإلي مضمون جديد وقد أوحى هذا القول للدارسين بأن يفترضوا أن عبد الحميد كان يعرف الفارسية[3]، وهذا أمر غير محقّق وإلاّ لكان في موازي ذلك أنه عرف اليونانية وتأثر بها، كما ذهب إليه طه حسين في كتابه من حديث الشعر والنثر، ولكن الحقيقة وراء ذلك كلِّه أنَّ عبد الحميد عرف مترجمات يونانية عن طريق سالم، ومترجمات فارسية عند طريق ابن المقفع، وليس ثَمّة ما يثبت أنه كان مطلعاً على الثقافتين في لغتيهما أو على إحداهما.

أما صلته بمروان بن محمد فقد أفادته كثيراً في الإحاطة بالقواعد العسكرية وكان الرجل عسكرياً من الطراز الأول، كما أن ميل عبد الحميد أحياناً إلي التطويل كانت تكبحه قدرة مروان البلاغية على الإيجاز، وهذا هو معنى قول عبد الحميد: تعلمت البلاغة من مروان بن محمد وقد كانت إجادة أدوات الخط – وخاصة القلم – من الأمور الضرورية للكاتب ويبدو أن عبد الحميد كان معلماً في هذه الناحية، وقد وردت في المصادر قول عبد الحميد لبعضهم من أجل أن يجود خطه :(أطل جلفةَ قلمك واسمنها وحرّف القطَّةَ وأيْمِنْهَا).

ومما لا ريب فيه أن عبد الحميد نال ثقافةً شعرية متينة وحفظ كثيراً من

([1]) صبح الأعشى: للقلقشندي ، ج2 ، ص 194، وكتاب الصناعتين لابو هلال العسكري ، ص 69

([2]) أمراء البيان: لمحمد كرد علي ، ج1 ، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1948م ، ص 44، (ساعد عبدالحميد أدبه الفارسي على نبوغه في البلاغة العربية).

([3]) من حديث الشعر والنثر: للدكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ، ص44.

الشعر الجاهلي والإسلامي، ولكن هذا لا يؤكد قول صاحب العقد الفريد: (إنّه أوّلُ من فكَّ رقاب الشعر وسرَّح مقيَّده إلي النثر) [1] فإذا كان يعني أنه يحل الشعر في نثره، فهو قول مبالغ فيه، إذ إن ما يجده المرء في نثر عبد الحميد محلولاً من الشعر السابق له قليلاً جداً، ولكن إن كان ابن عبد ربه يعني أن عبد الحميد يستخدم صوراً شعرية أحياناً فربما كان ذلك. ولكنه مقصور أيضاً على موضوعات معينة.

وفي هذا المقام لا بُدَّ من القول إن عبد الحميد لم يكن مثلاً كابن زيدون يستطيع الإجادة في النثر والشعر على حدٍّ سواء، بل كان كما قال الجاحظ في بيانه: (وكان عبد الحميد الأكبر وأبن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا مالا يذكر مثلُه) [2] كما روى عنه اهتمامه بالتمثل بالشعر أحياناً.

ويقول ابن خلكان أن عبد الحميد كثيراً ما ينشد:

إذا خَرج الكُتاب كانت دُوْيُّهُمْ قِسّياً ** وأقلام الدُّوُيّ لها نبَلاً [3]

ومن خلال ثقافته غدا عبد الحميد (عربي) النزعة رغم انتسابه لغير العرب لقد كان كثير الامتنان لصالح بن عبد الرحمن الذي عرب الدواوين إذ روى عنه أنه كان يقول (لله درُّ صالح ما أعظم مِنَّتَهُ على الكتاب)[4] في هذا ما قد يؤكد أنه لم يكن يحسن الفارسية أو اليونانية.

وخلاصة القول أن عبد الحميد قد احكم في أسلوب عربي ما تسرب إلي العربية من ثقافة يونانية وفارسية حينئذ، حتى أنه لو حاول أن ينسج على منوال الرسائل المترجمة لصَعُب التمييز بين الأصل والمنحول، وهذا هو معنى قول الجاحظ (ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بايدي الناس للفرس أنها صحيحة غير

([1]) صبح الأعشى، ج1 ، ص 282، والعقد الفريد ، ج4 ، ص 165 (هو أول من فتق أكمام البلاغة وسهّل طرق الكتابة ووطأ رقاب الشعر فأمد بها النثر)

([2]) البيان والتبيين: للجاحظ ، ج1 ، ص 208.

([3]) الوزراء والكتاب: للجهشياري ، ج3، ص 229.

([4]) الفهرست: لابن النديم ، ص 301 ، وفتوح البلدان (دي خويه) ، ص 301.

مصنوعة وقديمة غير مولدة)[1] ولكن الجاحظ لم يكن يرى أن عبد الحميد ينفرد بهذه القدرة بل يضع إلي جانبه أبن المقفع وسهل بن هارون وأبا عبيد الله كاتب المهدي وغيلان الدمشقي، وفي ذكر هؤلاء معاً ما ينبي عن إن إرساء القواعد الأولى الكتابية، وابراز ما يمكن أن يسمى النثر الجديد، لم يقم عبد الحميد بعبئه وحده بل شاركه فيه آخرون، وربما كان هنالك من هو اسبق من سالم وغيلان. ومن الذين تأثروا بعبد الحميد وتتلمذوا عليه مباشرةً يعقوب بن داؤود الذي أصبح وزيراً للمهدي[2] وكذلك أحمد بن يوسف ممن تعلم على يديه وخالد بن برمكة الأصغر حدث عن عبد الحميد[3]. فأما الذين تأثروا به عن طريق غير مباشر فهم كثر وفي قوله : جعفر بن يحيى (عبد الحميد أصلٌ، وسهل بن هارون فرعٌ، وابن المقفع ثمرٌ ، وأحمد بن يوسف زهرٌ)[4] ما يشير إلي أن كل نسغ سرى في عروق شجرة النثر العربي أنما مرَّ أولاً بعبد الحميد واستمد شيئاً منه في طبيعته. ومن ذلك قوله الثعالبي في اليتيمة (بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد)[5]

([1]) البيان والتبيين: للجاحظ ، ج3 ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الرابعة 1975م ، ص29.

([2]) تاريخ الذهبي، ص 471، والبداية والنهاية ، ج10 ، ص55.

([3]) بغية الطلب، ج5 ، ص 336، وأنظر تاريخ بغداد ، ج12، ص 340، حيث يذكر خالداً روى الحديث (إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه)، عن عبدالحميد.

([4])مختصر كتاب البلدان: لابي بكر أحمد بن محمد الهمذاني، المعروف لابن الفقيه، طبعة مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل سنة 1302هـ ، دار صادر بيروت ، ص 194.

([5]) الثعالبي في اليتيمة ، ج3 ، ص 158، وعنه ابن خلكان ، ج5، ص 104، والبداية والنهاية ، ج10، ص 55.

المبحث الثالث

المطلب الأول:

ترسل عبد الحميد

ظل عبد الحميد ما يقارب السبع وعشرون عاماً يكتب، بصفته موظفاً في الديوان رسائل ديوانية وغير ديوانية، حتى بلغ ما جمع من رسائله ألف ورقة[1]، أو كما يقول الذهبي: مائة كراس[2] والكراسة عشرة ورقات في المتوسط وهذا يمثل عدداً كبيراً من الرسائل، اذا قارنها باستاذه سالم الذي لم تجي رساله في أكثر من مائة ورقة[3] ولكن لم يتبقى من تلك الرسائل التي جاءت في الف ورقة لا يتجاوز الخمسين ورقة، وهذا يعني أنما ضاع من رسائل عبد الحميد يمثل معظمها، وهي تتناول موضوعات مختلفة وبعض المكاتبات. وحتى عصر الجاحظ كانت رسائل عبد الحميد جزئاً من ثقافة الكتاب جنباً إلي جنب مع كليلة ودمنة وأمثال بزر جمهر وعهد أردشير وأدب أبن المقفع[4] واذا بحثنا عن أسباب ضياع الرسائل وجدنها في طبيعة النثر الديواني، الذي يشبه الوثائق ولا يحتاجه إلا الكُتاب ليعرفوا طرائق اسلافهم في الكتابة، وسبب آخر يكمن في طبيعة التجاوب مع النثر إذا قسناه بالتجاوب مع الشعر وخاصة نثر كتاب الدواوين. ومهما يكن من شيء فأن ما تبقى من رسائل عبد الحميد ستون رسالة وقطعة من رسالة وقوله الشفوي يقع حسب سياق التاريخ في ثلاثة مراحل مرحله قضاها مساعداً لسالم في عهد هشام، وذلك في رسالة الحج وشراء جارية أو جوار، ووصف الصيد والمرحلة الأرمينية حين كان عبد الحميد كاتباً لمروان بن محمد صدرت عنه رسالة من مروان إلي هشام في التعزية، ورسالة في الأخاء ،

---

(1) الفهرست: ص 149، البداية والنهاية ، ج10، ص 55 .

(2) تاريخ الإسلام للذهبي ، ص 271.

(3) الفهرست: ص 149.

(4) ثلاثة رسائل للجاحظ: نشر يوشع فينكل الاولي في الرد على النصارى والثانية في ذم اخلاق الكتاب ، ص42، والثالثة في القيان ، طبعة السلفية بمصر ، ورسائل الجاحظ ،ج2، ص191–192.

ورسالة تتحدث عن شيوع مذهب القادرية في الجيش الذي واكب مروان إلي ارمينيا، ورسائل تهنئة وتحميدات إنتصارات مروان اثناء ولايته. ومرحلة خلافة مروان وعبد الحميد الكاتب الأول في الدولة وتستاثر هذه المرحلة برسائل مختلفة عن الفتنة، ورسالة ولي العهد عبيد الله بن مروان عندما وجه لمحاربه الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، ثم رسائل متصلة لثورة أبي مسلم في خرسان، ورسالة إلي أبن هبيرة لأنه أساء إلي بعض الأمويين، ورسالة عبد الحميد لأهله وتعد من آخر ما كتب إن لم تكن الأخيرة. ومن أهم آثاره ثلاثة رسائل وهي رسالته إلي الكتاب ونرجح أن تكون كتبت في عهد هشام ورسالته في الشطرنج ونرجح أنها كتبت في عهد هشام أيضاً، ورسالة تاريخية في وصف طغيان الفرات لا يمكن تعيين مرحلتها.

تُعَدَّ رسائل عبد الحميد نافذه هامة يُطلُّ منها الدارس على الحقبة التي عاشها في العصر الأموي، إذ كان منصبه يتيح له أن يعرف كثيراً من الشئون السياسية والاجتماعية وأن يتحدث بأسم الدولة أو بأسم الخليفة في معالجة بعض الأمور، يعبر عن الموقف الرسمي من بعض القضايا في هذه الحال تصبح رسائله وثائق تاريخية، لدراسة الحياة والأحداث في عصره. وكذلك معرفة القيمة الفنية لها في النثر العربي. وتتنوع المشكلات التي تمسها الرسائل بحيث تتناول بعض شئون الأسرة المروانية وأوضاع السلم والحرب وتقلبات الأحوال السياسية وبعض القضايا الأخلاقية والعقائدية والإجتماعية، كما تتناول بعض علاقات عبد الحميد وشئونه الذاتية.

وكان الهدف الكبير لدى عبد الحميد من الكتابة المحافظة على قيم يحرص عليها، كانا مُسلِّماً للقضاء، ويدعو للتسليم له، ولذلك لم يستطيع هو ولا صاحبه أن يتقبلا القدرية القائلين بحرية الإرادة، إذ كان الموت هو المحك الأكبر في أن الإنسان غير مختار. وكان عبد الحميد كثير التعلُّق بالحياة العائلية، وبالولد وهو الذي وضع قاعدة الالتزام الكبرى بقوله: (من يلزم النصيحة يلزمه العمل). وكان داعياً إلي مبادئي الإسلام التي ينتظم بها صلاح الجماعة، وفي ظل الجماعة الصالحة يصلح حال الفرد.

ومن نظر في الموضوعات الديوانية وجد أن نثر عبد الحميد كثير التنوع حقاً وأن أسلوبه يتفاوت بحسب المضمون، وأن هذا التنوع في الموضوع والأسلوب أحلَّ عبد الحميد منزلة خاصة في نفوس معاصرية ثم نفوس طبقة الكُتاب بعده على وجه الخصوص، ومن ذلك قول ابراهيم بن العباس أنه كان يقول ما تمنيت كلام أحد أن يكون لي إلا كلام عبد الحميد حيث يقول في رسالة له (الناس أصناف مختلفون وأطوارٌ متباينون، منهم عِلْقُ مُضِنّةٍ لا يباع، ومنهم غِلّ مظنَّةٍ لا يبتاع) ولهذا ظل في نفوسهم مضرب المثل في البلاغة والكتابة[1].

المطلب الثاني:

الترسل الفني عند عبد الحميد

[1] عبدالحميد الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 179 وماقبلها.

صورة النثر قبل عبد الحميد

أُتيح للترسل نوع من التنظيم حين أقترن بحاجات الدولة، وخطى هذا التنظيم خطوة أخرى حين أوجدت الدولة مؤسسة خاصة للترسل سميت ديوان الرسائل. ونشأت هذا الديوان غير محددة بزمن معروف، ربما أنشئها معاوية أثناء توليه الشام خلال العشرين سنة من خلافتي عمر وعثمان رضي الله عنهما قد اقتبس نظام ذلك الديوان عن البيزنطيين.

أما التنظيم الكتابي المتصل بشئون الدولة قد وجد أيام الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والخلفاء والراشدون وولاتهم في الأمصار المختلفة، وقصرت اللفظة على مؤسس مؤسستين هما: ديوان العطاء وديوان الجند إلا أنه أخذت الدواوين في التَكاثر وكان الكاتب خلال فترة طويلة محض أداءة وكانت مهمة النثر هي نقل الأوامر أو النصائح أو التعليمات بلغة بسيطة غايتها هي الإفهام دون لبس، حتى لو تولا أنشاء الرسالة الكاتب نفسه، ولم تكن أملاء من سيده. والرسالة الديوانية (وثيقة) يجب ألا تُخِلَّ بموضوعات جرى عليها العرف في البدء والتوسط والختام، ولهذا فان الوليد بن عبد الملك اراد أن يميز مراسلات الدولة بإستعمال الطومار[1] عُدّ ذلك سرفاً لافتاً للنظر[2].

وصورة الرسالة في العصر الأموي كانت تنتمي إلي منبعين: الأول هو ديوان الدولة، والثاني هو الرسالة الدينية، وكان العصر الأموي أشد العصور لواذاً بالتمسك بالرسالة الدينية ، وكلٌ ما يخرج عنه كان لابدَّ خارج عن صميم الفهم الدقيق للإسلام، ولهذا وجد من رفض بكل قوة حَمْلَ الفعل الإنساني على أنه قدرُ مقدور، كما وجد ومن يشكك في احقية الأمويين بالخلافة، لأنها لم تقم على الشورى، ونشأ فريق لا يستطيع الجزم الأخروي بمصير المسلم الذي يرتكب كبيرة فيرجي أمره إلي الله. وهكذا اتعددت المشكلات وإزدوجت النظرة إليها وهذا الجوء كان يهيئ لظهور

([1]) الطومار: مفرد الطوامير تعني الصحف والواحدة طومار أو طامور، أنظر لسان العرب لابن منظور ، ج4، ط أولى ، 1990م ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ص 503.

([2]) الوزراء والكتاب: للجهشياري ، ص 47.

الرسالة الدينية القوية في صياغتها المقنعه بفكرها، مثل رسالة حسن البصري في القدر ورسالته في الإمام العادل وكلها صيغت في أسلوب ساذج وبسيط[1].

وكانت الرسالة الدينية صنو الرسالة الديوانية في بلوغ غايتها من أقصر طريق بعيداً عن التأثير الذي يتوسل أساليب بيانية معينة، يتضح ذلك اذا وضعنا رسالة من رسائل الحسن البصري، إزاء مجلس من مجالس قَصَصِهِ. ومن كل ذلك يتبين لنا أن النثر الشفوي كان أحفل بطلب التأثير من النثر المكتوب، وأن ذلك استمر طوال القرن الأول الهجري. ثم جاءت حركة الترجمة التي ظهرت في عصر هشام بن عبد الملك وأن يكون هؤلاء الأربعة غيلان وسالم وعبد الحميد وأبن المقفع هم أقرب الناس إلي تلك الحركة وهم الذين تم تحول النثر المكتوب على أيديهم حتى بلغ مستوى فنياً، ثم أستمرت الكتابة في تطورها، وأصبحت بحراً خضماً على مر الزمن، تدل على أبداع النثر الفني في تاريخ الأدب العربي.

بلاغة نثر عبد الحميد:

تميز عبد الحميد الكاتب في تنوع الموضوعات التي يطرقها، إحكام الأسلوب الصالح لكلِّ موضوع، ولعبد الحميد الفضل الأكبر في رفع النثر إلي مستوى فني أفاد منه سهل بن هارون والجاحظ وعلي بن عبيدة وعشرات ممن جاءوا بعده، ولهذا ضرب به المثل في إجادة النثر، ومنح قصب السبق وقيل :(بدئت الكتابة بعبد الحميد) ويقول المسعودي :(له رسائل مجموعة متناقلة يقتدى بها ويعمل عليها)[2] والمسعودي يصور مدى الأثر الذي أوجده عبد الحميد في الكتابة، وقد حاول الأقدمون أن يقدموا في حديثهم عن عبد الحميد بعض العناصر التي حكمت له بالتفوق أو على الأقل بسن طريقة جديدة وإستحسنها من جاء بعده فمن تلك العناصر :

1) أنه أول من أطال الرسائل[1] والتطويل في الرسالة ليس ميزة بلاغية إلا إن

---

[1] إحسان عباس دراسة عنه، دار الفكر العربي القاهرة 1952م.

(2) التنبيه والإشراف: ص 284، وأنظر ابن خلكان ، ج3 ، ص 228، حيث يقول: وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا.

[1] مروج الذهب، ج3 ، ص 260، وابن خلكان ، ج3 ، 228.

كانالموضوع متطلباً له، ولذلك احترس الصفدي فقال: (واستعمل في بعض كتبه الإيجاز البليغ في بعضها الاسهاب المفرط على اقتضاه الحال)[1] وهذا الذي يقوله الصفدي يصور حقاً تردد عبد الحميد يبين الإيجاز الدقيق والتطويلة المتراخي، ولكن أي كاتب يعرف حدود موضوعه.

2) أنه أستعمل التحميدات في فصول الكتب وأوائل كتبه، وإطالة التحميدات (سنة) اتبع الناس فيها عبد الحميد ، فهي إذن ميزة لم تعرف قبله .

3) أنه أول من فتق أكمال البلاغة وسهَّل طرقها ، وفكَّ رقاب الشعر (فأمد بها النثر أو سرح مُقيَّده إلى النثر)[2] وأول هذا الكلام صورة شعرية لا تحدد شيئاً على وجه الدقة .

وآخره هو ابن خيره المواعيني يقول أن عبد الحميد حلَّ أبيات الشعر وأدرجها في النثر ، وهو وصف ينطبق على كُتَّاب جاءوا بعد عبد الحميد ، ومعالمه في نثر عبد الحميد باهتة جداً .

4) أن عبد الحميد كان مفوهاً[3] وقد شهد له الجاحظ ببلاغة اللسان إلى جانب بلاغة القلم[4] . وهذا وصف لقدرة شفوية ، لا علاقة لها بابتكار طريقة كتابيه ، و تبيُّنها اليوم مستحيل ، وليس لنا إلا أن نصدق من وصفه بذلك ، ونجعل هذا الصفة رافداً من الروافد التي تؤكد بلاغته القلمية .

يتبين لنا من هذه العناصر أن أحكام الأقدمين التي جعلوها تفسيراً لتفوق عبد الحميد أن أصبح مضرب المثل في البلاغة لم تُفسِّر إلا القليل ، رغم اقتراب بعض من قالوها من عصره بالنسبة لنا اليوم ، فما أصعب أن نحاول نحت اليوم تفسير ذلك التفوق .

عدم بقاء أو صمود أثر نثر عبد الحميد في العصر الحالي ؟

---

(1) سرح العيون، ص 238.

(2) العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج4، 165، صبح الأعشى ، للقلقشندي ، ج1 ، ص 282.

(3) التنبيه والاشراف: ص 284.

(4) البيان والتبيين، ج1، ص 208.

ولتفسير ذلك لا بد من الرجوع إلى النثر الديواني فهو أدب أخلاقي جاهم مرة لموضوعه ومرة للطريقة التي يلتزمها (أعلم . إلزم . عليك . إياك) هذا يرجع إلى الجو السائد حينئذ . ومن سوء حظ عبد الحميد أنه برز في مرحلة الانهيار السياسي ، و مراحل الانهيار مليئة بالكآبة والعبوس ، لا تسمح بالضحك ولا بالسخرية وبخاصه الذين يقودون مصائر الدولة .

ثم إن النثر يتعامل مع المجردات كالفتنة والطاعة والتقوى والإخاء ، وإلى جانب المجردات ، تحدث عن المشخصات أيضاً ، تحدث عن الحاسد والبخيل ، غير أن ذلك لم يكن معروفاً في عصر عبد الحميد وابن المقفع إلا نادراً ، والمجردات تمثل في ذاتها قوة التحدي ، واهتمامه بالمجردات أبعدته عن الواقع ، والأدب الذي يستأثر بأهتمامنا اليوم هو الأدب الذي يعكس تجربة ذاتية وعبد الحميد كان يضع جزء من تجربته الذاتية ، وإن كانت تلك التجربة في الديوانيات أقل وضوحاً منها في الإخوانيات وفي الرسائل التي أنشأها بوحي من نفسه للتعبير عن مستوى بلاغي رفيع – في شخص الخليفة الذي يمثل القمة – يقول احسان عباس[1] .

ونحن نبتهج بالمواقف الدرامية لدى الجاحظ وفي المقامات وفي المناظرات التي يرسمها أبو حيان ويرتفع قدر النثر في نفوسنا بالروح الدرامية بوجه عام.

نريد حركة وصراعاً ونبحث عن حوار ولا نجد ذلك في نثر عبد الحميد واضرابه من الكتاب ولا نريد أن نقول أن نثر عبد الحميد أصبح من تراث الماضي الميت ، حاشا الله بل كل ما نريد أن نقوله أن ذوقنا الحاضر أو الحديث يؤثر نماذج أخرى من النثر فلا يبقى لنثر عبد الحميد إلا الأفق التاريخي.

ويطول النثر وينتعش مع مرور الأيام بالتمثيل الدرامي أو التصويري والرمز ويجد القبول المتجرد رغم تغير العصور . ولكن نثر عبد الحميد يخلو منها ومن الرمز ، وهو بذلك يفقد عنصراً أساسياً من عناصر الاستمرار الزماني .

ونجد شيوع العناصر الإيمائية الرمزية في الأمثال أقوى شاهد على صلتها بالحياة

---

(1) عبدالحميد الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 153.

الشعبية وعبد الحميد بعيد إلى حد كبير عن هذه الحياة . ثم إن تلك العناصر نوع من المواربة و الإعتماد على الأعاريض ، وعبدالحميد يمثل السيادة والسلطان وكلمة القوة ، إذن فهو غير محتاج إلى هذا النوع من الالتفاف حول الحقيقة أو الإيماء إليها.

المبحث الرابع

المطلب الأول : ترجمة ابن المقفع

اسمه:

رُوْزَبة بن دَازَوَيه ، ويقال أن روزبة بالفارسية تعني المبارك ، وكان يكنى قبل إسلامه بأبي عمرو ، فلما اسلم تسمى بعبد الله ، وتكنى بأبي محمد[1].

ولقب والده بالمقفع ؛ لأنه كان يتولى خراج فارس من قبل الحجاج بن يوسف على الأرجح ، ويقال أن الحجاج استدعاه ، لما علم أنه احتجز بعض المال لنفسه وضربه على يده ضرباً مبرحاً حتى تفقعت[2] يده[3].

وقد ورد سبباً أخر في تسميه والده بالمقفِّع ، وهو أن المقفِّع جاءت بصيغة اسم الفاعل ؛ لأنه كان يشتغل بعمل القفاع[4] ، وهي أشبه بالزنابيل[5] وابن خلكان يرجح التسمية الأولى ، فتكون اسم مفعول لا اسم فاعل ، أي بفتح الفاء لا بكسرها[6] .

مولده :

ولد دازويه والد ابن المقفع في جور ، إحدى قرى فارس ، وهى المعروفة اليوم بفيروز آباد[7] . ونشأ نشأة عربية في الأهواز ، ويقال لها خوزستان وهي ولاية فارسية أقبل عليها العرب فاستوطنوها لخصب أرضها ، وقربها من البصرة ، ولا تزال العناصر العربية غالبة على أهلها[8] وفي تاريخ مجهول وظروف غامضة نزل دازويه البصرة ربما ؛ لأنها منزل آل الأهتم أوربما لقربها من الأهواز.

([1]) كليلة ودمنة: تحقيق إلياس زكريا ، طبعة دار الأندلس بيروت 1964م ، ص 16.

([2]) تفقعت يده: تشنجت.

([3]) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان ، ج2 ، طبعة دار صادر ، ص 155.

([4]) القفاع: جمع قفعة بفتح القاف وهي شيء يعمل به الحوض شبيه بالمرسيل من غير عروة .

([5]) وفيات الأعيان: ابن خلكان ، ج2، طبعة دار صادر ، ص 155.

([6]) ابن خلكان: ص 155.

([7]) العصر العباسي– نماذج نثرية محللة: جورج غريب، دار الثقافة بيروت ، ص15.

([8]) أدباء العرب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني، دار الجيل ، بيروت ، دار مارون عبود 1979م، ص 137.

ولد ابن المقفع سنة 106 أو 107 للهجرة ، 724 أو 725 للميلاد.[1] في جور فقضى نشأته الأولى في الأهواز فارسياً مستعرباً ، زراد تشي المذهب كأبيه . ثم انتقل به والده إلى البصرة ، حيث كان له ولاء في آل الأهتم[2].

نشأته:

نشأ ابن المقفع مع أبيه يستظلان بولاء آل الأهتم المشهورين باللسن والخطابة والفصاحة ، وتلقى ثقافته الأدبية في بيئة البصرة حيث العلماء والرواة والمدارس والبصرة يومئذ كعبة العلم والأدب ،وفيها المربد،وعكاظ الاسلام.

فنشأ ابن المقفع مجوسياً مستعرباً بين آل الأهتم وأجاد اللغتين وآدبهما ،الفارسية لغة قومة ،والعربية لغة البلاد التي نشأ فيها[3]. أما معرفته اللغة اليونانية فقد أوضحها ابن النديم في أن الفرس قد نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الي الفارسية ،فنقل ذلك الي العربية،عبد الله بن المقفع وغيره.[4]

إذن إلمام إبن المقفع باليونانية لا أجده قاطعاً،وإنما اطلع علي الكتب اليونانية من خلال اللغة الفارسية ،حيث كان له إطلاع على الفلسفة اليونانية،كما كانت له دراية في وضع الإصطلاحات،وبسط الأفكار اليونانية[5].

فأنشأ الوالد إبنه علي فن الكتابة،ولما مات الوالد أخذ الأبن يتكسب بصناعة الكتابة وعمل في كتابة الرسائل لولاة بني أمية على فارس،فكتب لداوؤد بن هبيرة وكان ابن المقفع وقتذاك في العشرين من عمره ، أونيّف عليها[6].

وظل ابن المقفع يكتب لداوود ، حتى قامت الدولة العباسية عام 132هـ . وقتل داوود

([1]) كليلة ودمنة في الأدب العربي: ليلى حسن ، ص 58، راجع العصر العباسي ، جورج غريب، ص 15، راجع أدباء العر ب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني، ص 136.

([2]) العصر العباسي: جورج غريب ، ص 15.

([3]) كليلة ودمنة: تحقيق مصطفى لطفي ، طبعة دار الكتاب العربي 1948م ، ص 7.

([4]) الفهرست: ابن النديم ، المجلد الأول، تحقيق د. شعبان خليفة ووليد العوزة، طبعة العربي للنشر والتوزيع 1991م ، ص 213.

([5]) تاريخ الأدب الفارسي: د. رضا زاده شفق، دار الفكر العربي 1366هـ- 1947م ، ترجمة محمد موسى هنداوي ، ص 49.

([6]) أدباء العرب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني ، ص 137.

ابن هبيرة وفي هذا العهد تبدّلت مظاهر الظلم والاضطهاد أمام نظر ابن المقفع ، فشهد حملات العباسيين الكاسحة – في عهد السفاح والمنصور – علي فلول الأمويين .

ورغم ماكان يحمله في نفسه من ضغينة للبيت الأموي لم يرقُّهُ وهو صاحب المذهب الأخلاقي الرفيع نزول العقاب بهم على هذا الشكل المشين ، فكانت كتبه إذ ذاك ، خير رادع للعدوان[1].

ثم بعد مقتل داوود بن هبيرة ، كتب لعيسى بن على ، عم الخليفة العباسي أيام ولايته على كرمان عامي 132– 133هـ ، وكتب بعده لسليمان بن على ، أيام ولايته على البصرة من عام 133– 139هـ . ثم ولي البصرة بعده ، سفيان بن معاوية ، فنقم على ابن المقفع ، وقتله عام 143هـ – 760م[2].

وبعض المراجع ، تذكر أن تاريخ وفاة ابن المقفع 142هـ – 759م[3] نجد أن الباحثين على خلاف في تأريخ ميلاد ومقتل ابن المقفع بالتحديد ، إذ لم نر فيها بين أيدينا من الكتب القديمة ، تأريخاً لمولد ابن المقفع بالتحديد ، وقد ذكر بعض المحدثين ، أنه ولد سنة 106هـ وإن صح ذلك فيكون قد قتل وهو شاب لم يتجاوز الأربعين[4].

تعليمه:

لم يعرف من أساتذة ابن المقفع إلا واحد ، ذكره ابن النديم وهو أبو الجاموس ثور بن يزيد . وكان إعرابياً يفد البصرة على آل سليمان بن على وعنه أخذ ابن

([1]) العصر العباسي: جورج غريب ، ص 17.

([2]) الخفاجي– مجلة المنهل – مجلة شهرية للآداب والفنون ، رئيس التحرير عبدالقدوس الأنصاري، مقال بعنوان: هل وضع ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة أو ترجمه، ص 289.

([3]) أورد ابن خلكان انه قتل سنة 145هـ وأورد أن في كلام عمر ابن شيبة أخباراً في البصرة ما يدل على أن ذلك كان في 142هـ– 143هـ ، راجع ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2، طبعة دار صادر ، ص 145.

([4]) أدباء العرب: بطرس البستاني ، ص 136، والعصر العباسي جورج غريب، ص 15، و ضحى الإسلام أحمد أمين ، ص 196.

المقفع الفصاحة[1].

ونشأ ابن المقفع في البصرة مع والده ، على ما ينشأ عليه أبناء اليسار ، فعنى والده بتعليمه ، وتقويم لسانه على الكلام الفصيح ، فبرع في العربية والفارسية ، وتضلع من آدابها ، كما اطلع على حكمة اليونان ، في الكتب التي ترجمت إلى لغة الفرس . كما لازم ابن المقفع عبد الحميد يحيى ، كاتب الرسائل المشهور بعبد الحميد الكاتب ، الذي يعتبر شيخ صناعة الكتابة ، والذي قيل فيه : (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ؛ لأنه احدث فيها أموراً فنية لم تكن من قبل ، كالتحميدات في صدور الرسائل ، وتقسيم الفقر والفصول ، وختم الرسائل بما يناسب المكتوب إليه وإطالتها في شؤون الملك والسياسة ، إطالة لم تعهد من قبل ، وليس لعبد الحميد كتب ، وإنما خلف رسائل مشهورة مبثوثة في كتب التأريخ و الأدب ، ومن أشهرها رسالته إلى ولي العهد .

وابن المقفع يمجد العلم ويحترم العلماء فيقول : (القلم بريد العلم يحث على البحر ، ويبحث عن خفى النظر)[2] . وقد امتهن مهنة التعليم حيث أن إسماعيل بن علي ، ألزم بعض بنيه عبد الله بن المقفع ليعلِّمه وهو في البصرة[3].

ديانته:

كان ابن المقفع أول أمره ينتحل نحله أبيه ، فقد نشأ مجوسياً زرادشتياً ، وقضى زهرة شبابه في أحضان المجوسية ، مثقفاً بثقافتها ، ولم يسلم إلاَّ قبل قتله ببضع سنوات ، بعد أن تكوّن ونضج ، وتقلّد الكتابة للكثيرين . وكان قبل إسلامه مستمسكاً بدينه ، فلما أراد أن يسلم قال له عيسى[4] بن علي ، عم المنصور : ليكن ذلك بمحضر من

([1])أدباء العرب: بطرس البستاني ، ص 142.

([2]) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: للقلقشندي ، ج2، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق 1978م ، ص 475.

([3]) البيان والتبيين: الجاحظ ، ج1 ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الخانجي القاهرة 1968م ، ص 252.

([4]) من علماء العباسيين ينسب إليه نهر عيسى ، وقطيعة عيسى ببغداد ، ولد في المدينة وسكن بغداد إلى أن توفى ، وهو عم السفاح والمنصور ، كان ناسكاً معتزلاً الأعمال السلطانية ، لم يل لأهل بيته عملاً. قال الرشيد: كان عيسى بن علي راهباً وعالماً. راجع الزركلي: الأعلام ، ج5، ص 105.

القواد ، ووجوه الناس ، فإذا كان الغد فأحضر.

ثم حضر طعام عيسى عشيه ذلك اليوم ، فجلس يأكل ويزمزم[1] – على عادة المجوس – فقال له عيسى ، أتزمزم ؟ وأنت على عزم الإسلام ! فقال: أكره أن أبيت على غير دين ! فلما أصبح أسلم على يده ، وتسمى بعبد الله[2].

وإسلام ابن المقفع لم يكن متعمقاً راسخاً في نفسه ؛ ولكن أراد به – والله أعلم– التقرّب لذوي السلطات من العباسيين ، ومما يؤيد ذلك :

1/ زعموا أن ابن المقفع مر ببيت نار بعد إسلامه ، فتمثل قول الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي أتغزَّلُ * حذر العِدّى وبه الفؤاد مَوَكَّلُ

إني لا منحُك الصدودَ وإنَّني * قسماً إليك مع الصدود لأميلُ

وبيت عاتكة يضرب مثلاً في الموضع الذي تعرض عنه بوجهك ، وتميل إليه بقلبك ، وهو من قول الأحوص ، يحكي أن كلا من يحيى بن خالد ، وابن المقفع مرَّ ببيت النار فأنشد البيتين أعلاهما[3].

2/ كذلك يمكن أن نقول ، إن إسلام ابن المقفع ، لم يكن إلاَّ بعد قيام الدولة العباسية وهي الدولة التي قامت على أكتاف الفرس وحدهم ، فهم لذلك أطمع ما يكونوا في الاستشعار بسلطانها ، وحسن المكانة عند الخلفاء ، وأولى الشوكة فيها ، ولا سيما إذا كان الرجل منهم ذكي القلب ، نبيل النفس ، له من العلم حظ ومن السياسة نصيب .

3/ حادثة المائدة وزمزمته ، وقوله فيها بعد كرهت أن أبيت على غير دين – فلو دخل الإسلام نفسه ، واستقرّ في قلبه ، وتذوق حلاوته ، لما قال ما قال ، وهو على

([1]) زمزمة: المجوس أن يتفهموا بالألفاظ التي تخرج من خياشيمهم فلا يكاد يفهم لها معنى . والتفاهم يكون عند الأكل وهم صموت لا يستعملون اللسان والشفاه في كلامهم ولكنه صوت تديره خياشيمهم وحلوقهم فيفهم بعضهم بعض. راجع الشهرستاني الملل والنحل، ج2 ، تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة 1378هـ– 1968م ، ص 49. وزمزم العلوج بمعنى تراطنوا .

([2]) وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج2 ، طبعة دار صادر ، بيروت، ص 151.

([3]) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي ، ج1 ، ط1 ، دار المعارف القاهرة، 1965م ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، ص 316.

مقربة من الإسلام والإيمان.

4/ أضف إلى ذلك محاوراته مع أصحابه ، والتي كانت مملؤه بالمجون واللغو وقد حكى : (أن ابن المقفع ، ومطيع بن إياس[1] ، ويحيى بن زياد[2] ، كانوا يتهمون في دينهم)[3].

بالرغم من البراهين التي ذكرتها في ضعف إسلام ابن المقفع ؛بل اتهامه في دينه إلاَّ أنني أرى أنها تمثل فعلاً ظاهراً لا يُعبِّر عن مكنون النفس.

([1]) شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان طريفاً مليح النادرة ، ماجناً متهماً بالزندقة، مولده ومنشأه بالكوفة ، وأصل أبيه من فلسطين ، انقطع في الدولة العباسية إلى أبي جعفر المنصور وكان معه إلى أن مات ، وولاه المهدي العباسي الصدقات بالبصرة، فتوفى فيها . راجع الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص 255.

([2]) شاعر ماجن يرمى بالزندقة ، من أهل الكوفة ، له في السفاح والمهدي مدائح ، وهو ابن خال السفاح . أقام ببغداد مدة ، ولم يحمد زمانه فيها ، كان يعرف بالزنديق ، وكانوا إذا وصفوا إنسان بالظرف ، قالوا هو أظرف من زنديق ، يعنون يحيى ؛ لأنه كان ظريفاً ، توفى في أيام المهدي. راجع الزركلي: الأعلام ، ج8 ، ص 145.

([3]) ضحى الإسلام: أحمد أمين ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، ص 223.

المطلب الثاني : صفاته وأخلاقه

لم يقض ابن المقفع من حياته في العصر العباسي ، إلا عشر سنوات ، وقضى ما بقى منها في عهد بني أمية ، وقد شهد إضطهاد العرب للموالي ، وقاسي من ذلك ، ثم أظهر مع الموالي ميله للعباسيين ، وإن لم يكن قلبه معهم ، إذاً يمكن القول أن ابن المقفع ، كان عربي الميل – فارسي النزعة قبل كل شيء يتظاهر بحبه وصداقته لبني العباس .

وإذا تحدثنا عن شخصية ابن المقفع الاجتماعية نجده واحداً من المثاليين ، فكراً وسلوكاً (مثالية في الحديث ، ومثالية في الصمت ، ومثالية في كل أمر من أمور الحياة)[1] والسؤال الذي يطرح نفسه ، ويثير كثير من الباحثين حول ابن المقفع بما عرف عنه غشيان مجالس الشراب واللهو والمجون ، وكيف يتفق هذا مع دستوره الأخلاقي الذي يتمثل في هذه المثالية ؟ وترى الباحثة أن هذا ليس موضوع غرابة أو أزدواجية في شخصية ابن المقفع . فالمثالية التي نتحدث عنها نجدها في كتاباته ، ومن الطبيعي أن يكون للرجل لباسان يلبس أحدهما للعامة ، وثانيهما للخاصة ، أو شخصية عامة تتفق والرأي العام (شخصية اجتماعية) ، وشخصية خاصة بميولها ونزعاتها فها هو يقول :

(ألبس للناس لباسين ليس للعاقل بُدٌّ منهما ولا عيش ولا مروءة إلاَّ بهما لباس انقباض وإعجاز من الناس ، تلبسه للعامة فلا يلفونك إلاَّ متحفظاً متشدداً متحرزاً مستعداً . ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة الثقات من اصدقاءك . فتلقاهم بذات صدرك ، وتفضى إليهم بمصون حديثك ، وتضع عنهم مؤونة الحذر والتحفظ ، فيما بينك وبينهم)[2]

أما خُلُقه قنبل وكرم ، وتعهد لذوي الحاجات يواسيهم ، وتقدير دقيق للصداقة ومراقبة شديدة لنفسه يحملها على الأجدر والأنبل ، ورغبة شديدة في إصلاح الراعي والرعية

---

(1) ضحى الإسلام: أحمد أمين ، ج1 ، ط7، مطبعة القاهرة 1964م، ص 196.

(2) الأدب الكبير: أحمد زكي باشا، طبعة جمعية العروة والوثقى، سنة 1911م ، ص 77–78.

– خلقياً واجتماعياً– إلى ظرف الخاصة والتمسك بآداب اللياقة ومراعاة الدقة فيما يتطلبه الذوق[1].

قال سعيد بن سَلْمَ ، قصدت الكوفة ، فرأيت ابن المقفع فرحب بي ، وقال ما تصنع ها هنا ! فقلت ركبني دين ، فقال : هل رأيت أحداً ؟ قلت: رأيت ابن شبرمة فوعدني أن أكون مربياً لبعض أولاد الخاصة ، فقال: أف! ايجعلك مؤدباً في أخر عمرك . أين منزلك ؟ فعرفته فأتاني في اليوم الثاني ، وأنا مشغول بقوم يقرءون عليّ فوضع في يدي منديلاً ، فإذا به أسورة مكسورة ودراهم متفرقة ، مقدار أربعة آلاف درهم ، فأخذت ذلك ورجعت إلى البصرة واستعنت به[2] ويشتهر ابن المقفع بحظ موفور من فضيلة الوفاء للصديق ، وحسبك برهانا على ذلك مؤاساته لعبد الحميد الكاتب ، فقد أخفاه في بيته ، وقد تعرضت لهذه القصة في أخلاق عبد الحميد.

كما يشتهر ابن المقفع بالجود فيقول في ذلك :(الجود بالموجود منتهى الجود)[3].

وعرف أيضاً ، بسهولة الطبع على رصانة ، وبالتعفف والابتعاد عن الكذب والحسد ، على أن حبه للأدب والأدباء جعلاه لا يستنكف من مصاحبه جماعة من الخلعاء فكانوا يجتمعون على الشراب ، وقول الشعر ، ولكنه إذا لهى وشرب ، لم تكن الخمر لتقوده إلى الإثم ، وتنزل به المنازل الدنيئة ، وفي ذلك يقول[4] :

سأشرَبُ ما شربتُ على طعامى ثلاثا ثم أترُكُهُ صَحِيْحاً

فلستُ بقارفٍ منه إتاماً ولستُ براكبٍ منه قبيحاً

وكان يحب الغناء ، ويهتزُّ للصوت الحسن . فقد غنته[5] يوماً جارية ، وليس لديه

([1]) ضحى الإسلام: أحمد أمين ، ج1 ، مطبعة النهضة المصرية، ص 197.

([2]) شوقي شاعر العصر الحديث: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ص 27.

([3]) البيان والتبيين: الجاحظ ، ج1 ، ط3 ، 1968م ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ومكتبة الهلال بيروت، والمكتب العربي بالكويت، تحقيق عبدالسلام هارون ، ص 473.

([4]) أدباء العرب: بطرس البستاني، ص140.

([5]) والمغنية هي سلامة جارية ابن رامين، راجع الأغاني ، ص 62، كما اهدى الزرقاء الزراد جارية ابن رامين ، لما مرضت ألف دراجة على حمل قراسي ، راجع الأغاني ، ص 66.

دراهم ، فجاء بصك ضيعة له ، وقال : (هذه عهدة ضيعتي خذيها ، فأما الدراهم فما عندي منها شيء)[1].

وكان مع سهولة طبعه ورصانته ، حاد اللسان شديد السخرية بمن لا يملأ عينه ، قصته مع سفيان بن معاوية ، وسخريته من أنف سفيان .

وروى الأصمعي أن ابن المقفع سئل من أدبك ؟ فقال : نفسي إذا رأيت من غيري حسناً اتيته ، وإن رأيت قبيحاً ابيته ، وروى المدائني (أنه كان ابن المقفع محبوساً في خراج كان عليه وكان يعذب كل يوم . فلما طال ذلك وخشى على نفسه ، تعين من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله) وهذا يدل على ذكاء ابن المقفع وحسن حيلته . ونستطيع أن نقول إن أي عمل يصدر من أعماله عن مبدأ من المباديء الأخلاقية التي يراها خليقة به وبأمثاله من فضلاء الناس . وكأن رغبته في المثل العليا وتعلقه بها هي التي تحمله على فعل الخير لأنه خير ، وتجنب الخبيث لأنه خبث . وتظهر لنا صفتان من أخلاقه : الحذر وأخذه بالتُّقِيَه كما يقول الفلاسفة – أما الثاني وهو السخرية وشدة التهكم من العرب وذلك في قصة المربد المشهورة فهو يمدح العرب حيث يريد أن يسخر منهم[2].

موقفه من الدولة العباسية:

يعتبر ابن المقفع من المخضرمين ، حيث أنه شهد سقوط دولة ، وقيام دولة أخرى وعمل في الدولتين ، وإذا كان قد احتفظ بحياته في الدولة الأموية ؛ فإنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها في الدولة العباسية فأهدرها المنصور ومات ابن المقفع حرقاً . فقد كان ابن المقفع عدواً للدولة الجديدة، يعمل مع أعداء هذه الدولة الجديدة ، أو مع الذين يطمعون بالسلطان فيها ، لأعمال المنصور مثلاً ، الذي ثار أحدهم على المنصور بعد ذلك يريد الخلافة لنفسه.

([1]) الأغاني: أبي فرج الأصفهاني، تحقيق عبدالسلام هارون ، ج15، ط1 ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1959م، ص 66– 67.

([2]) ابن المقفع: عبداللطيف حمزه ، ط3 ، 1965م ، دار الفكر العربي ، ص 55– 58– 60.

وابن المقفع كان مفكراً ، وصاحب دعوة اجتماعية وفي دعوته هذه ، وما كان ينشره بين الناس ، من رسائل وغيرها ، وهذا بالطبع يخالف نهج وسياسة الدولة الجديدة التي كانت تقوم على هدر الحريات وإباحة الدماء.[1]

ولرسالة الصحابة ، التي كتبها ابن المقفع وقتذاك ، قيمة كبرى ، فإنها تقرير في نقد نظام الحكم ، إذ ذاك ووجوه إصلاحه ، رفعه إلى أمير المؤمنين ولم يسمعه والظاهر أن أبا جعفر المنصور ؛ لأنه يذكر دولة بني العباس ، ويذكر أمير المؤمنين وقد اهلك عدوه ، وشفى غليلة ، ومُكِّن له في الأرض ، وأتته خزائنها ، ويذكر العباس السفاح ويترحم عليه . وإذا علمنا أن ابن المقفع قتل في عهد المنصور . صح لنا أن نستنتج من ذلك أن الرسالة ؛ إنما كتبت للمنصور.

وقد دعا ابن المقفع في رسالته هذه ، إلى الإصلاح الشامل بادئاً بالرأس أي السلطان ، ومن ثم صحابة السلطان أو بطانته ، والمجتمع والقضاء ، والجيش والشعب ، كل ذلك في أسلوب جريء متمرد ، تراوح ما بين تلميح وتصريح ، مما أثار عليه حفيظة القائمين بالأمر ، وخاصة (لماطلب ابن المقفع بإصلاح القضاء ، كأن كمن يريد تكبيل يديّ الخليفة ، ومنعه من عقاب من يشاء وقتل من يشاء دون محاكمة أو سؤال)[2].

ونخرج من هذا أن ابن المقفع شكل خطراً على الدولة الجديدة ، بصيحاته ودعواته التي ينادى بها في الشعب ، فأستحق أن يكون عدواً لدولة بني العباس ، وهذه العداوة قد ذهبت بحياته مثلما سنذكر في مقتله.

المطلب الثالث : زندقته

كانت أشدَّ الثورات بأساً ، وأكثرها خطراً في العصر العباسي الأول، الثورات التي أذكى نيرانها الزنادقة ، الذين تبْعُد تعاليمهُم عن تعاليم الإسلام وأفكاره وعقائده ،

([1]) كليلة ودمنه: شرح مصطفى لطفي المنفلوطي ، دار الكتاب العربي ، بيروت2005م ، ص 9–10 ، مراجعة وتنقيح د. محمد الإسكندراني . أو راجع آثار ابن المقفع عمر أبو النصر ، ص 11.

([2]) المرجع السابق ، ص 11–12.

وتقوم على أنواع من الديمقراطية الفاسدة ، التي تبيح المحرمات وتعبث بالآداب الاجتماعية ، وتعرّض الحياة السياسية والاجتماعية للخطر .

للزندقة عدة معانٍ تختلف باختلاف العصور ، فقد كان العرب يطلقون لفظ (زنديق) على من ينفي وجود الله سبحانه وتعالى ، أو يقول أن له شريكاً. وينكر البعث والإعادة وقالوا بالطبع المحي والدهر المفني[1]. وقيل الزنديق من يبطن الكفر ويظهر الإيمان ، وفي ذلك يقول الشاعر:

بغداد دارٌ لأهل المال طيبةٌ وللمفاليس دارُ الضنك والضيق

ظللتُ حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق[2]

وكان لفظ زنديق يطلق أول الأمر على كل من يتأثر بالفرس في عاداتهم ويسرف في العبث والمجون ، ثم صار يطلق بعد ذلك على كل من يتخذ عقائد المانوية شعاراً له ، ويتمسك بعقيدة الثنوية[3] ، وعبادة ألهين اثنين وإتباع تعاليم ماني ، ثم توسعوا في العصر العباسي في إطلاق لفظ الزندقة فأصبح يطلق على كل من ينكر الأُلُهية ، ويتظاهر بالظرف.[4]

ويرجع تاريخ الزندقة إلى أواخر العصر الأموي ، فقد كان عبد الصمد ابن عبد الأعلى[5] مربي الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومؤدبة زنديقاً[6] .

([1]) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة: أبو حامد الغزالي ، تحقيق د. سليمان دنيا ، ط1 ، 1961م ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص 173.

([2]) المرجع السابق ، ص 173.

([3]) الثنوية: هؤلاء أصحاب الاثنين يزعمون ان النور والظلمة ازليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه وهؤلاء قالوا بتساويها في القدم وإختلافها في الجوهر والطبع والعقل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. راجع الشهرستاني الملل والنحل ، ج2 ، ص 49.

([4]) تاريخ الإسلام: د. حسن إبراهيم ، ج2 ، ص 115.

([5]) عبدالصمد بن عبدالأعلى أمير هاشمي ، وهو عم المنصور وكان عامله على مكة والطائف وكان عظيم الخلقة ضخماً ، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبدالله على المنصور. راجع الزركلي الأعلام ، ص 11. راجع الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج9 ، ص 129– 130 .

([6]) الأغاني: للأصفهاني ، ج6 ، طبعة القاهرة 1235هـ ، ص 132.

كما كان الجعد بن درهم[1] ، الذي ينسب إليه مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية فيقال مروان الجعدي ، وقد ذكر أن الجعد كان مؤدباً لمروان ولولده وأنه أدخله في الزندقة ، فقد كان الجعد زنديقاً[2].

وكان خالد بن عبد الله القسري ، على الرغم من اتهامه بالزندقة شديداً على الزنادقة ، حتى أنه حبس الجعد بن درهم ، وقتله يوم عيد الأضحى ، وجعله بدلاً من الأضحية ، بعد أن أعلن ذلك على المنبر ، في عهد هشام بن عبد الملك الأموي[3].

ومن الأسباب التي أدت إلى انتشار الزندقة ، أنها كانت وسطاً بين النصرانية و الزرادشتية اتباع زرادشت أحد أنبياء الفرس ، وأشهرهم (زرادشت[4] ، ماني[5] – مزدك[6])

وأن ذلك كان سبباً في تأثير الزندقة في أهل هذه النحل ، كما أن شعائرها كانت قريبة الشبه بشعائر الإسلام ، فإن المانوي كالمسلم له عدد من الصلوات في اليوم والليلة ، أربع أو سبع ، كما كانت لهم طهارة قبل الصلاة كالوضوء عند المسلمين .

ولم تقو الزندقة في الظهور ، إلا بعد قيام الدولة العباسية ، حيث انتشرت في الكوفة

---

(1) الجعد بن درهم مؤدب مروان وهو أول من ابتدع بأن الله بما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم الله موسى وأن ذلك لا يجوز على الله ، وكان زنديقاً وكانت وفاته صلباً . راجع الذهب: سير أعلام النبلاء ، ج5 ، ص 433.

(2) الفهرست: ابن النديم ، ج2 ، طبعة القاهرة 1348هـ ، ص 472.

(3) تاريخ الإسلام: د. حسن إبراهيم ، ص 115.

(4) أصحاب زرادشت بن بورشب، الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراست الملك وأبوه كان من أذربيجان، وأمه من الري وأسمها دغدويه وزعموا أن لهم انبياء وملوكاً أولهم كيومرث وكان أول من ملك الأرض، وزعموا أن موسى عليه السلام ظهر في زمانه حتى إنتهى الملك إلى كشتاسب بن لهراست ، وظهر في زمانه زرادشت الحكيم إلى أن نشأ وبلغ الثلاثين سنة، فبعثه الله نبياً ورسولاً إلى الخلق ، فدعا كشتاسب الملك فأجابه إلى دينه وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإجتناب الخبائث. راجع الشهرستاني الملل والنحل، ج2 ، ص 41–42 وما بعدها.

(5) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الثنوي الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة ظهر أيام سابور بن أردشير ملك الفرس ، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية وكان بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام كما زعم الحكيم ماني ان العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم. راجع الشهرستاني الملل والنحل ، ج2 ، ص49.

(6) هو مزدك الزنديق الذي ظهر في أيام قباذ والد أنوشروان، دعا قباذ إلى مذهبه فأجابه واطلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده ففتله ، وقولهم كقول المانوية إلى أن مزدك يقول أن النور يفعل بالقصد والإختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والإتفاق والنور عالم حساس، والظلام جاهل أعمى. راجع الشهرستاني الملل والنحل ، ج2 ، ص 54.

، وتكلم الجاحظ الذي عاش في عهد المأمون ، عن كتب الزنادقة ، فوصفها لنا وصفاً دقيقاً[1]. ويرجع السبب في ظهور الزندقة في العصر العباسي و اشتدادها إلى قرب العاصمة العباسية من خراسان مهد الفرس ، ثم أن الدولة العباسية ، قامت على أكتاف الفرس الذين نقلوا أو تسللوا بهذه الأفكار إلى الإسلام . كان ابن المقفع أحد الذين أصابتهم تهمة الزندقة ، وإذا شئت أن تلتمس زندقة ابن المقفع فيما خلفه لنا من الآثار ، فإنما أنت تتعب على غير طائل فأثاره الباقية فيها كل ما يلائم الإسلام ولا ينافي عقائده وأحكامه ، ولكن ابن المقفع زنديق في حكم المؤرخين المتقدمين ، وهم يروون على ذلك أخباراً مختلفة منها ما أوردته عن ديانته.

أضف إلى ذلك ماروه أن سفيان بن معاوية[2] ، لما قتله ومثَّل به قال: (ليس عليَّ في هذه المثُله[3]، بك حرج ؛ لأنك زنديق ، وقد أفسدت الناس)

وأن المهدي[4] كان يقول : (ما وجدت كتاب زندقة إلاّ وأصله ابن المقفع)[5] .

وذكروا أنه عارض القرآن ، وصاحب المتهمين في دينهم[6] . وهذا الكلام فيه نظر لأن ابن المقفع قتل قبل عهد المهدي والهادي بل لقى حتفه قبل أن يموت المنصور أبو المهدي بسبع عشرة سنة ، كما ذهب مؤلف كتاب تاريخ كزيده تأليف حمد الله

---

(1) تاريخ الإسلام: د. حسن إبراهيم ، ج2 ، ص 116.

(2) كان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب يضطغن على ابن المقفع أشياء كثيرة منها أنه كان يهزأ به، ويسأله عن الشيء بعد الشيء ، فإذا أجاب قال أخطأت ، ويضحك ولما كثر على سفيان غضب فافترى عليه ؛ فقال له ابن المقفع يابن المغتلمة والله ما اكتفت أمك برجال أهل العراق حتى تعدتهم إلى أهل الشام. وكانت أم سفيان بن معاوية ميسون بنت المغيرة بن المهلب ، وكان تزوجها القاسم بن عبدالرحمن بن عضاة الأشعري. راجع الجهشياري – كتاب الوزراء والكُتاب، طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1357هـ– 1938م ، ص 104–105.

(3) المثلة: العقوبة والتنكيل.

(4) ظهر في زمان المهدي قولهم أظرف من زنديق فصار مثلاً في زمان كثر ظرفاؤه ومن هؤلاء صالح بن عبدالقدوس، وأبي العتاهية ، وبشار بن برد ، وحماد الراوية ، وحماد عجرد، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وعلي بن الخليل ومثلهم، وممن تقدمهم قليلاً كابن المقفع وابن أبي العوجاء. راجع الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ج1 ، 167.

(5) وفيات الأعيان: ابن خلكان ، طبعة دار صادر ، ص 151.

(6) ظهر في زمان المهدي قولهم أظرف من زنديق فصار مثلاً في زمان كثر ظرفاؤه ومن هؤلاء صالح بن عبدالقدوس، وأبي العتاهية ، وبشار بن برد ، وحماد الراوية ، وحماد عجرد، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وعلي بن الخليل ومثلهم، وممن تقدمهم قليلاً كابن المقفع وابن أبي العوجاء. راجع الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ج1 ، 167.

المستوفي القزويني ، وهذا الرأي لعباس أقبال كتابه ابن المقفع ويقول الباقلاني ليس له كتاب عارض فيه القرآن كما يقول المدعى عليه أنه عارض القرآن[1].

وترى الباحثة أن العداوة بين سفيان بن معاوية وابن المقفِّع ، كانت السبب المباشر لتبني سفيان قتل ابن المقفع ، ولعل قول سفيان هذا كان تبريراً لقتله. أما قول المهدي ، فإنه كان مبنياً على الاستنتاج والظن ، حيث أنه لا توجد بينةً تدين ابن المقفع بكتابته لكتب الزنادقة ، وإن كان في نفسه منها شيء . فمن هنا يتضح أن زندقته لا تقوم على دليل من آثاره ، إنما تقوم على أقوال الرواة والمؤرخين . غير أن أعداءه عجزوا عن إثبات زندقته ؛ لأنه اعتصم بالتقية ، فلم يجاهر بكفره، فلو استطاعوا إثبات زندقته ، لما عمد المنصور إلى اغتياله سراً ، بل كان مثَّل به على رؤوس الأشهاد.

آراء العلماء في زندقة ابن المقفع:

ذكرت سابقاً أن ابن المقفع كان زرادشتي المذهب كأمثاله من الموالي والمهم هنا هو أن ذهنه كما قلت لك لم يكن خالياً من هذه المذاهب كلها وأنه كان يقرأ عنها وأنه كان يعرضها على عقله بين حين وآخر وأنه مضطر من أجل هذا كله إلى أن يكون كثير الشكوك الدينية التي اتعبئه وأنهكته . وظهر أثر ذلك كله فيما كان يفلسف فيه من حديث كان يدور بينه وبين اصدقائه ونظراته ممن كان يختلف إليهم بالبصرة . وهكذا عرف الناس ابن المقفع بالزندقة. ويقول الصفدي[2]: (كانت آراء ابن المقفع الإلحادية منقوله أو معروضة في كتب الزنادقة الممنوعة).

ولقد قام الأستاذ ميخائيل أنجلو جويدي عام 1927م بنشر كتاب عنوانه (الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع عليه لعنه الله آمين ، للقاسم إبراهيم بن طباطبا رضي الله عنه) .

يقول الأستاذ غبرائيل : وضعت هذه المسألة . وهي زندقة ابن المقفع على قواعد

([1]) إعجاز القرآن: للباقلاني ، ص 46. راجع ابن المقفع لعباس إقبال، ص 20– 21.

([2]) ابن المقفع: عبداللطيف حمزة، ص 80– 81.

جديدة ، وقضى على كل المحاولات التي قام بها (محمد كرد علي) لتبرئة ابن المقفع من تهمة الزندقة التي نسبها إليه خبث المعتزلة ، وإرجعها إلى الحسد الذي يحمله الناس للشخصيات العظيمة[1] وتعرض استاذنا أحمد أمين لنقد كتاب القاسم في الرد على ابن المقفع فشك في نسبة الأصل لابن المقفع واستدل على ذلك بشيئين أحدهما أن ابن النديم عدد كتب القاسم لم يكن منها كتاب بهذا الاسم. والآخر هو أن كتاب القاسم سجع له ، والسجع ليس من طريقة القرن الثالث الهجري[2].

يقول عبد اللطيف حمزة وأنا أميل مع أستاذنا أحمد أمين إلى الشك في نسبة الرد إلى القاسم – ولو أن المستشرقين مصرين كالأستاذ جويدي – ولكني أرى باحث آخر هو الأستاذ عباس إقبال الذي أطلع على رد القاسم بن إبراهيم إن الكتاب نفسه ينبغي أن ينسب إلى ابن المقفع وأنه يتفق مع أسلوبه وتفكيره في فترة تذبذبه بين المزدكية والمانوية والإسلام وهي فترة عصيبة لا بد أن يكون من أقل آثارها كتاب كهذا الكتاب.

كتب المستشرق غبرائيلي مقالة بعنوان (مؤلفات ابن المقفع) وذكر في أول مقالة شهرة ابن المقفع بالزندقة واعتماد الباحثين في ذلك على باب برزويه ، وعلى بعض روايات أشارت إلى زندقته في كتب كالأغاني والمسعودي وابن خلكان والصفدي وكتاب التوحيد لابن بابويه القمي الشيعي[3] ، وتلك هي الناحية الإجابية في الموضوع .

أما الناحية السلبية منه تدلنا في وضوح تام على عدم اكتراث ابن المقفع بالدين ، بل تدلنا على بغض ممزوج بالشك في أمر هذا الدين ، ويكفي أن يتهم ابن المقفع بأنه

([1]) نشره في مجلة المستشرقين Rivista المجلد الثالث عشر ، سنة 1932م ، ص 197–247. وترجم هذا البحث الدكتور عبدالرحمن بدوي ونشره في كتابه الإلحاد في الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية 1945م ، ص 40– 64.

([2]) ضحى الإسلام: أحمد أمين ، ج2 ، ص 224 ومابعدها.

([3]) نقلاً عن عبد اللطيف حمزة : ابن المقفع ، ص80–81 .

عارض القرآن[1].

وأراد الأستاذ غبرائيلي بعد ذلك أن يحدد النزعة الإلحادية التي يتهم بها ابن المقفع : أهي مزدكية أم مانوية أم ثنويه ؟ وقال : تلك المسألة يعوقنا عن بحثها غموض فكرة الزندقة وخلو الكتب المنسوبة لابن المقفع عن ذكرها.

ثم قال غبرائيلي : والرأي بعد ذلك مختلف في الحكم على كتاب ابن المقفع وأغراضه أكان رداً على القرآن ومعارضة له يقصد بها الطعن في الإسلام؟ أم أن للكتاب معنى غير ذلك ؟ بل يرى الأستاذ في صراحة أن ابن المقفع هنا لا يقصد إلى معارضة القرآن بمقدار ما يقصد إلى الدفاع عن المانوية التي يؤمن بها في معالجة الشر وعلاقته بالخالق ومسألة الدين وهي القول بحرية الإرادة . وهذا ما أطلعنا عليه من آراء الغربيين في عقيدة ابن المقفع الدينية . والحق أن نظرة الرجل إلى هذا المثل الأعلى هي وحدها التي كانت تسبب له كل هذه الشكوك فجعلته زنديقاً في نظر الخليفة فأمر بقتله.

---

(1) إعجاز القرآن: للباقلاني وهو أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة القاهرة ، دار المعارف 1963م ، ص 32.

المطلب الرابع : شعوبيته

كان لا بد أن تسود العصر العباسي نزعات عدة ، نتيجة اختلاط الشعوب بعضها ببعض ، ومن جراء امتزاج ثقافات هذه الشعوب ، كل يّدعى لنفسه الفضل ، وكلُ يرى أنه أولى بالتقدمه ، وهكذا نشبت الخلافات؛ وافترقت السبل ، اضطرب المجتمع أيما اضطراب.

ومن أبرز النزعات تلك القومية التي تقرر ، أن العرب خير الأمم ، والمتعصبين ، لهم حجج يدعمون بها نزعتهم تلك . وهي أنهم عاشوا حياتهم متمتعين باستقلالهم في الجاهلية والإسلام وأن لهم صفات خُلُقية امتازوا بها عن غيرهم ، بينهم نشأ الإسلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفسهم ، وهم الناشرون له بين الأمم[1] . فقد رُوِيَ أن جماعة اجتمعوا بالمربد ومعهم ابن المقفع فسألهم : أي الأمم أعقل ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : لعله أراد أصله من فارس!

فقالوا فارس.

فقال ابن المقفع : ليسوا كذلك ، إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك وغلبوا على كثير من الخلق . فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقي حِكم في نفوسهم.

قالوا : فالروم؟

قال : أصحاب صنعه .

قالوا : فالصين

قال : أصحاب طرفه

قالوا : فالهند

قال : أصحاب فلسفة

قالوا : السودان

([1]) ضحى الإسلام: أحمد أمين ، ج1 ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1964م، ص 49–50 . راجع الجاحظ البيان والتبيين ، ج1 ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط3 ، 1968م ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ومكتبة الهلال ، والمكتب العربي بالكويت ، ص 26. راجع ابن عبد ربه العقيد الفريد ، ج3 ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1942م ، ص 412.

قال : شر خلق الله ....

قالوا : فقل : قال : العرب فضحكوا . قال ابن المقفع : إنى ما أردت موافقتكم ولكن إذا فاتني حظي من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة ، إن العرب حكمن على غير مثال مثَّل لها ولا أثار أثرت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وآدم . يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله ، فيكون قدوة ، فيفعله فيصير حجه ، ويحسن ماشاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيُقبح ، أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ....وافتتح الله دينه وخلافته بهم إلى الحشر ... فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خُصِم[1].

وهذه النزعة كان يمثلها أصلاً أشراف العرب وبدوهم ، كما كان يمثلها فرعاً قوم من العجم أسلموا اسلاماً عميقاً ، وأحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم من أعماق نفوسهم ، وأحبوا العرب ؛ لأن النبي منهم ؛ لأنهم أسلموا على أيديهم[2] . وابن المقفع أراد بقوله (إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا فاتني حظي من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة) فهذا يعبر عن الدونيه التي كان يشعر بها ، ولكنه صاحب مبدأ أقرَّ إقرار العالم بما للعرب من مكانه وفضل .

وكانت هنالك نزعة أخرى بجانب الأولى ، وأصحابها يقررون أن العرب ليسوا أفضل من غيرهم من الأمم ، ولا أية أُمة أفضل من الأخرى. والناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد . وإنما التفاضل بين الأفراد لا بين الأمم . ألا ترى من كان دنيء الهمة ، ساقط المروءة ، لم يشرف وإن كان من بني هاشم في ذؤابتها ، ومن أمية في أرومتها ، ومن قيس في أشرف بطناً منها ! وإنما الكريم من كرمت أفعاله ، والشريف من شرفت همته[3].

([1]) العقد الفريد: ابن عبد ربه ، ج3 ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص324.

([2]) كليلة ودمنه في الأدب العربي: ليلى حسن ، ص 26.

([3]) العقد الفريد: ابن عبد ربه ، ج3 ، ط2 ، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1952م، ص 410.

يقف هؤلاء موقفاً على السواء بين الأمم. فلا عربي أفضل من أعجمي ؛ وليست العربية ولا الأعجمية من عوامل التفاضل ، إنما التفاضل بالتقوى وفي هذا المعنى جاء القرآن الكريم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[1]

وثمه نزعة ثالثة تميل إلى الحط من شأن العرب وتفضيل غيرهم من الأمم عليهم[2].

هذه هي النزعات الثلاث التي سادت عصر ابن المقفع ، وقد أطلق على أصحاب النزعتين الأخيرتين ، اسم الشعوبية ، وكان أحق الناس بهذا الاسم الطائفة الثانية ؛ لأنهم يقولون بالشعوب ، أي لا فرق بين الشعوب من غيرهم في الشرف والخسة، فكان أمامهم أن يتسموا باسم مشتق من المساواة أو بأسم مأخوذ من الشعوب ، يدل على أن الشعوب سواء ، فاختاروا الثاني وسموا بالشعوبية[3] ويقول ابن عبد ربه في العقد الفريد : (الشعوبية وهم أهل التسوية) . ويقال في الصحاح : (الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم) . ولكن لا نلبث أن نراهم أطلقوا هذا الاسم على الصنف الثالث أيضاً[4] .

إن الشعوبية كانت أقرب إلى النزعة منها إلى الأيدلوجية . وذلك لإتساع رقعتها وتعدد أجناسها ، وإن كنا نلمحها في بعض الأحيان عقيدة متكاملة وربما نلحظ ذلك عند ابن المقفع[5] .

ويذهب ابن قتيبة إلى أن الذين اعتنقوا الشعوبية هم سفلة[6] الناس وغوغاؤهم

([1]) سورة الحجرات ، الآية 13.

([2]) البيان والتبيين: الجاحظ ، ج3 ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ص 3. راجع ابن عبد ربه العقد الفريد ، ج3 ، ص 404– 405– 412.

([3]) العقد الفريد ، ج3 ، ص 403.

([4]) كليلة ودمنه: ليلى حسن ، ص 29.

([5]) الحياة الأدبية في البصرة: أحمد زكي ، طبعة دار المعارف ، مصر 1971م ، ص 32.

([6]) سَفِلة الناس بكسر الفاء وفتح السين: أسافل الناس وغوغاؤهم ، وقال ابن السكيت هم السفلة لأراذل الناس وهم من عِلْيَة القوم، ومن العرب من يخفف فيقول: هم السِّفْلة. وفلان من سِفْلة القوم إذا كان من أرذلهم فينقل كسرة الفاء إلى السين. وقال الجوهري السَّفِلة: السُقَّاط من الناس بفتح السين وكسر الفاء. أنظر لسان العرب لابن منظور: الطبعة الثلاثة 1994م ، مجلد الحادي عشر، دار صادر بيروت ، ص 337.

فيقول : (ولم أرى في الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصباً للعرب من السفلة و الحشوة وأو باش النبط وأبناء أكزة القرى . فأما اشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون مالهم وما عليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً)[1].

ونرد على ابن قتيبه أن الفئة أن الفئة الشعوبية من السفلة والعامة الذين ذكرهم هم المتظاهرون بالشعوبية ، أما الإشراف ، فكانت حركتهم سرية خفية لا يجرؤون على أن يجهر بها لكبر مراكزهم ، وخشية الشك فيهم عند الخلفاء فهم يؤيدون من وراء حجاب هذه الحركة[2].

وقد عرف هؤلاء بالأزادمردية وتعني الأحرار وآزاد حر مرد رجل . فحرب هؤلاء علمية أدبية دينية ، أكثر من أنها ثورات ظاهرة ، وفي هذا كله ، فابن المقفع أحد هؤلاء الأزادُمردية ، فكان يعمل الأدباء والشعراء جنباً إلى جنب في الكيد للدين الإسلامي ولبعث تأريخهم ومعتقداتهم ، بما يتنافى والإسلام . وكان ابن المقفع أحداً من أولئك الكائدين ، بترجمته كتب

ماني ومزدك وديصان[3] ومرقيون[4] وحمل عليه الباقلاني معارضته للقرآن[5] الكريم . عليه نجد أن ابن المقفع ناصر الشعوبية ، واتخذ أزادُمرديتها أستاذاً له ، ولكن كانت حركته في الخفاء.

([1]) رسائل البلغاء: محمد كرد علي ، ط4 ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1954م، ص 345.

([2]) البخلاء: الجاحظ ، طبعة دار الكتاب المصري ، تحقيق طه الحاجري ، ص 383.

([3]) الديصانية: إنما سمى صاحبها بديصان باسم نهر ولد عليه ، وهو من قبل ماني والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وبينهما إختلاف في إختلاط النور بالظلمة. وزعم ابن ديصان أن النور جنس واحد، والظلمة جنس واحد ، وذكر أن الظلمة أصل النور وذكر أن النور حي حساس عالم وأن الظلمة بضد ذلك عميّة غير حاسة ولا عالمة ، ولابن ديصان كتاب النور والظلمة ، كتاب روحانية الحق وكتاب المتحرك والجماد. أنظر الفهرست لابن النديم ، مطبعة الإستقامة بالقاهرة ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى ، شارع محمد علي بمصر، ص 488.

([4]) أصحاب مرقيون وهم من قبل الديصانية وهم طائفة من النصارى أقرب من المنانية والديصانية، وزعمت المرقيونية أن الأصليين القديمين للنور والظلمة ، أن ههنا كوناً ثالثاً مزجها وخلطها وهو الحياة ، وزعمت أن عيسى رسول ذلك الكون الثالث،= = وقالت بتنزيه الله عز وجل عن الشرور وأن خلق جميع الأشياء كلها لا يخلو من الضرر ، وهو مجل عن ذلك، وللمرقيونية كتاب يختصون به ويكتبون به ديانتهم، ولمرقيون كتاب أسماه الإنجيل ، وهم كثر بخراسان وأمرهم ظاهر كظهور المنانية. أنظر الفهرست لابن النديم ، مطبعة الإستقامة ، ص 488– 489.

([5]) إعجاز القرآن: للباقلاني، طبعة دار المعارف ، سنة 1954م ، ص 46–47.

شعوبيتهُ العلمية:

كان ابن المقفع ينأي بنفسه عن جو المفاخرات والمهاترات التي لا تحقق أملاً ولا تغني فتيلاً فاذا أراد النيل من العرب عمل سراً على زلزلة عرشهم، واذا أراد نصرة الفرس عمل على نشر حضارتهم ، واحياء تراثهم، وهذه الشعوبية العلمية التي تدنية من الأمل وتعيد اليه الكسروية أو فردوسه المفقود ومن مظاهرها وألوانها ، انضمامه للثائرين على الخلفاء ، فقد انضم الي أعمال الخليفة ، وهذه ما كان يرمي اليه ابن المقفع الذي لم يكتف بذلك بل اراد أن يظهر للملأ ظلم الخليفة وبطشه ، ولم يجد لذلك سبيلاً ، فلجأ الي الأدب الرمزي فترجم في هذه الحقبة كتاب كليلة ودمنه ليصلح اعوجاج الخليفة المنصور[1].

مقْتَلُه:

استمر ابن المقفع يعمل في خدمة عيسى عم الخليفتين السفاح والمنصور وكان حاكم الأهواز. حتى قتله سفيان بن معاوية والي البصرة من قبل المنصور والذي قتل فيما بعد ابن المقفع . وقد إختلف في قتل ابن المقفع وسببه ، ولعلي أسوق بعض الأسباب التي أدت الي قتله: وقد اختلف في عام قتله هل هو 142هـ أم 143هـ وعلى الأرجح هو 142هـ .

أنه قُتل لتشدده في كتابه صيغة الأمان التي وضعها ليوقع عليها أبو جعفر المنصور، أمانا لعبد الله بن علي عم المنصور[2] ، الذي خرج عليه سنة 754م ، وطلب الخلافة لنفسه ، فأرسل اليه المنصور جيشاً بقيادة أبو مسلم الخرساني، فأنتصر أبو مسلم وهرب عبد الله الي البصرة ، ونزل عند أخويه عيسى وسليمان

([1]) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: محمد نبيه حجاب، ط1، 1961م ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ص 410– 411.

([2]) عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس الهاشمي العباسي. أمير وهو عم الخليفة أبي جعفر المنصور وهو الذي هزم مروان بن محمد في الزاب وتبعه إلى دمشق وفتحها ، وهدم سورها ، وقد من أعيان بني أمية 80 رجلاً بأرض الرملة ، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميراً على بلاد الشام مدة خلافته، ولما ولي أبو جعفر خرج عليه عبدالله ودعا لنفسه فانتدب المنصور أبو مسلم الخراساني فقاتله في نصيبين ، فانهزم عبدالله واختفى وصار إلى البصرة فأمنه المنصور فاستسلم ، وحبس في بغداد فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله. راجع الزركلي الأعلام ، ج4 ، ص 104.

ومكث عندهما ، وعندما طلبه المنصور منهما ، إشترطا لأجل تسليمه وضع أمان ، يكون بمثابة رادع عن الفتك به. فأفرط ابن المقفع في الاحتياط الذي وضعه في الأمان[1].

ومما قاله فيه: (وإن أنا نلت من عبد الله بن علي ، أو أحداً ممن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير ، أو أوصلت إلي أحد منهم ضرراً أو سراً أو علانية على الوجوه و الأسباب ، كلها تصريحاً أو كتابة أو بحيلة من الحيل. فأنا نفي من محمد بن عبد الله ، ومولود بغير رشده (ابن زنى) وقد حِلَ لأمة محمد خلعه ، والبراءة مني ولا بيعه لي في رقاب المسلمين ، ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي ، وإعانة من نأوأني من جميع الخلق ، ولا موالاة بيني وبين أحد المسلمين ، وهو متبرئي من الحول والقوة ومُدع إن كان ، إنه كافر من جميع الأديان ، ولقى ربه على غير دين ولا شريعة ، محرم المأكل والملبس على والوجوه. والأسباب كلها ، وكتبت بخطي ولايته لي سواه ، ولا يقبل الله مني إلاَّ إياه والوفاء به) وجاء فيه ايضاً: (ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ، ودوابه حُبْسٌ ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حل من بيعته)[2].

وما كاد المنصور يقف على مضمون الأمان حتى ثارت ثائرته ، وإذ علم أن ابن المقفع واضعه ، قال : (أفما أحدُ يكفينيه) فسُرَّ سفيان بن معاوية والي البصرة لهذه العبارة، التي قالها الخليفة وفهم مضمونها ، واعتبرها مهمة تلقى على عاتقه ، وهو الذي يُضمر لابن المقفع كل الحقد والبغضاء من جراء استخفافه به ، حيث كان ابن المقفع يستخف به لكبر انفه فيقول : السلام عليكما – أي هو وأنفه – فاستغل سفيان[3] هذه الفرصة ، وانتظر حتى وقع في يده فقتله وأحرقه[4].

([1]) وفيات الأعيان: ابن خلكان ، ج2 ، طبعة دار صادر ، ص 152.

([2]) العصر العباسي: جورج قريب ، ص 18–19.

([3]) حيث كان ابن المقفع يعبث في سفيان ويسب أمه ، وإنما كان يسميه ابن المعلم . راجع الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، ج10 ، طبعة بيروت ، مكتبة المعارف 1988، ص 152– 153.

([4]) وفيات الأعيان: ابن خلكان ، ج2 ، طبعة دار صادر ، ص 152.

وقد أختلف في طريقة قتله أنه ألقي في بئر وردمت عليه الحجارة وقيل أدخل حماماً وأغلق عليه بابه فأختنق، وقيل بل قطِّعت أطرافه عضوا عضوا ، ثم ألقي في تنور وأطبق عليه[1].

وحكي ان سفيان لما أمر بتقطيع ابن المقفع وطرحه في التنور ، قال له: والله إنك لتقتلني فتقتل بقتلي ألف نفس ، ولو مائه مثلك ما وفوا بواحد ثم قال:

إذا مات مثلي مات شخصُ يموت بموته خلق كثير .

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير[2].

وترى الباحثه أن ابن المقفع بادر بعدائه للدولة العباسية ، وهذا جعل العباسيين يتحينون الفرصة للقضاء عليه ، حيث أنه كان كاتباً يملك ناصية القلم ويدعو بدعوة تناهض البرنامج العام للسياسة العباسية. ومهما يكن من اسباب قتل المنصور لابن المقفع ، فان الذي يعتمد فيه أن ابن المقفع كان متصلاً بأعمام المنصور وكاتباً لهم ولذلك قتله.

أما كون ابن المقفع زنديقاً وملحداً بعد اسلامه ، فهذه تهمة لا تؤيدها أدلة ثابتة مثلما ذكرت في زندقته ، فقد كان الناس في هذا العهد يُتهمون بالزندقة كل من قال بيت شعر فيه تعريض بالدين ، أو تفضيل النار على التراب، ولا استبعد أن يكون الشاعر قالها في حالة سُكر أو متحدياً أو سافراً فتلتصق به التهمة. وكذلك شعوبيته أو تعصبه للفرس وعداوته للدولة العباسية وان العرب ليسوا أهلا لذلك السلطان مثل الفرس ، ولا نستطيع ان نقول إذن أن سبباً واحداً فقط من تلك الاسباب أدى الي قتله لكنها اشتركت كلها في ذلك.

وفيما بعد سأل سليمان وعيسى عن ابن المقفع ، وعن سبب اختفاءه فقيل لهم أنه دخل دار سفيان بن معاوية ولم يخرج منها. فخاصماه الي المنصور واحضره مقيداً ، وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج منها ، فقال لهم المنصور :

---

(1) المرجع السابق ، ص 152– 153.

(2) الوزراء والكتاب: الجهشياري ، ص 110.

أنا أنظر في هذا الأمر ، ثم قال لهم: أرايتم إن قتلت سفيان به ، ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت – وأشار الي باب خلفه – وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم؟ أأقتلكم بسفيان؟! فرجعوا كلهم عن الشهادة ، وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا أن قتله كان برضي المنصور[1].

(1) وفيات الأعيان : ابن خلكان ، ج2 ، ص 153.

المطلب الخامس: ابن المقفع المصلح الاجتماعي

وقف ابن المقفع على كثير من الأمور في الدولة الناشئة وكان يرى أن معظم تلك الأمور يرجع الي الحكام ، كما يرى أن الحرية السياسية غير متوازنة ، فأراد أن يقف من حكامه موقف بيدبا من من دبشليم ، كما جاء في كليلة ودمنة. فكان ابن المقفع المصلح الاجتماعي. وقد حمل مهمة إصلاح المجتمع ، وتقويمه مستمداً علاج ذلك كله من تراث أمته. فأراد أن يدخل في كل أمر من أمور الدنيا صغيرها وكبيرها ، وكان العلاج من خلال ما كتب ، متدرجاً في ذلك بحذر بادئاً بأولى كتاباته (كليلة ودمنه) وقد كان فيه من الحيلة ما أعيت أولى الأمر من التنبه الى هدفه ، حتى كانت رسالة الصحابة الثورة التي نبهت المسئولين إلي مراميه ، مما وضعه على شفاهاوية أدرك بعدها أنه ملاق حتفه فيها لا محالة. وقد أثارت هذه الرسالة ، الخليفة المنصور الذي لم ترق في عينه هذه الدعوة الجرئية الداعية الي الإصلاح ، فلم يرحب بها ، واعتبرها دعوة إلي الثورة على الخلافة ، ربما استفحل خطرها فيما بعد ، ولعل هذه الدعوة التي بلغت هذا الحد من العنف والصراحه ، كانت من الأسباب التي أدت الي قتل ابن المقفع كما أشرت سابقاً. والاصلاح يبدأ بالخليفة بعد أن يضع يديه على الداء كله بعد تشخيصه فوالٍ لا يهتم بالإصلاح ، وإن اهتم فليس له رأي يهديه ، واعوان ليسو على الخير بأعوان ، ولهم من المكانة والنفوذ ما يمنع الخليفة من إقصائِهم والنيل منهم (أمة أُخذت بالشدة حُميت ، وإن أُخذت باللين طغت)[1]

ويمضي ابن المقفع في اصلاحاته متتبعاً الخليفة ، ثم يتحدث عن صحابة الخليفة و وخاصته ثم يضع لهذه البطانة شروطاً ، وبعد ذلك ينتقل الي القضاء فيعجب الكاتب من احكامهم وتناقض ارائهم ، حتى انه في القضية الواحدة والبلدة الواحدة ، تستحل دماء وفروجهم في ناحية وتحرم في ناحية أخرى[2].

---

(1) رسالة الصحابة في جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ، ج3 ، ص 27.

(2) كليلة ودمنة في الأدب العربي : ليلى حسن ، ص 88.

ولا ينسى ابن المقفع معالجة الشعب ، بعد أن شخص داءه ، فالشعب لا يصلح إلا بصلاح الخاصة ، ولكن ما أثر هذه الدعوة الحارة الي الاصلاح الاجتماعي . وما نصيبها من النجاح والفشل؟ فنجد أن الخليفة المنصور حالت انفئه وعزته العربية أن يسمح لابن المقفع المولى الذي كان بالأمس متهماً بالزندقة؟ ولكن ذلك الإخفاق الذي أصاب ابن المقفع في ايدلوجيته ؛ لأن الخليفة الذي قصده ، كان حازماً ، قلّ أن يجود الزمان بمثله . وعلاوة على ذلك أنه كان يؤسس دولة وليدة ، كثيرة الاعداء تحتاج الي ذلك الحزم. ومع ذلك فقد كان ثمة نجاح اصابه في جوانب لاتمس سياسة الدولة العليا ، والحق أن الخلفاء كانوا يعملون ببعض اقوله بطريقة غير مباشرة.

وتبنى نزعة ابن المقفع الاصلاحية على نزعة فارسية ، جعل تاريخ الفرس وشعرائهم وآدابهم أساساً لإصلاح المجتمع العربي. فكان يؤلف من تاريخ الفرس ما كان يصل اليه من نظريات في السياسة والاجتماع. فأجتهد أن ينقل للعرب صورة دقيقة عن النظم الساسانية ، وكانت مهارته تساعده في تطبيق ما ينقل على العقلية العربية.[1] وكذلك له نزعة مثالية ، وأقصد بالمثالية أن يكون الشخص نموذجاً يحتذى[2] به. فابن المقفع بهذه النظرة مثالي يتجه دائماً في أدبه وتفكيره إلي المثل الأعلى. فقد عُرف بنزعته المثالية ، التي كانت محور تأليفه ، والتي هي صورة ابن المقفع المصلح مصلح فرد ومصلح أمه، فقد وجد أن كُلَ صلاح ، إنما يبدأ من أعماق الإنسان، يبدأ بالنفس فيطهرها؛ لأنها تكمل العنصر الإنساني فيه ، لا على إنها تقود إلي ثواب أو تنجي من عقاب، وعلى هذا الاساس راح يبني شخصيته بالثقافة، والكسب بالعلم الذي أضحى أليفه ولذته وسلوته ، (فحبب الي نفسك العلم حتى تلزمه وتألفه و يكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وتعللك وشهوتك)[3].

([1]) ضحى الإسلام: أحمد أمين، ج1 ، طبعة القاهرة ، ص 215– 216.

([2]) أعتذر ابن المقفع لعيسى بن علي عم المنصور حين دعاه إلى طعام (أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلاً) قال لما؟ قال: لأني مزكوم ، والزكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار. راجع ليلى حسن كليلة ودمنة في الأدب العربي ، ص 74. ومثل هذه الإلتفاتة تدل على رهافة الكاتب، وكمال أدبه ، وتدل في الوقت نفسه على تلك المثالية التي طالما صدر عنها في تنظيراته الاجتماعية والأخلاقية المختلفة.

([3]) الأدب الكبير: أحمد زكي باشا ، ص 88.

وابن المقفع اذا كتب عن السلطان ، كتب عنه كما يجب ان يكون إماما عادلاً بين الناس ويحب ابن المقفع ان يكون السلطان الكامل في حكمه وسياسته وأخلاقه وحسن سيرته. وإذا كتب عن الصديق كتب أيضاً في الأعلى كما ينبغي أن يكون عليه صديق ، فقد دعاء إلي صداقة لاتهون أمام أي ظرف ؛ لأن الصداقة في نظره بلسم الحياة وطيبها، والصداقة بذل بلا حدود وتقان بلا حدّ واسترسال بلا حد، ووفاء إلي أقصى حد (أبذل لصديقك دمك ومالك) ، ويقول أيضاً (أعلم أن فضل الفعل على القول زينة). ومؤقفه من صديقه عبد الحميد يؤيد ذلك ويؤكده فهو يبذل دمه طائعاً وماله مختاراً ولا سيما إذا تعرض صديقه للخطر فيقول :(اذا اناب أخاك إحدى النوائب ، زوال نعمة ، ونزول بلية فأعلم إنك قد ابتليت معه ، إما بالمؤاساة ، فتشاركه في البلية ، وإما بالخذلان فتحمل العار)[1].

من هذا المبدأ انطلق ابن المقفع محددا علاقته بالأخرين ، وكانت علاقات مثالية ، يقومها إيثار كبير ، وفداء أكبر . أما مؤلفاته فهي تنطق بهذه النزعة المثالية.

آراء النقاد في ابن المقفع:

لقد شهد له معاصروه بشدة الذكاء ، وحصافة الملكات ، وسعة الثقافة ، فهو يعد من أفذاذ الأدباء والمفكرين في تاريخنا العقلي ، فقد عاش الشاب ستة وثلاثين عاماً ، وهي كل عمر ابن المقفع ، الذي أودع الفكر العربي أسمى روائعه ، وأثمن كنوزه ، فاذا تخطينا منها سنة عشر عاماً هي مرحلة طفولته وصباه ، نجد ان تلك الحكم والآداب الخالده نتاج عشرين عاماً هي حياة بن المقفع الأدبية والفكرية ، وهو نتاج لو نسب الي معمر بلغ المائه أو جاوزها ، لكان كثيراً عليه ، ولكن هذا دليل عبقريه فذه ومواهب فائقة. والذين اثنوا عليه ، وذكروه بالخير والعلم والأدب ، وهم قلة من هؤلاء ابن سلاّم الجمعي الذي قال فيه :(سمعت مشائخنا يقولون ، لم يكن للعرب بعد الصحابة ، أذكى من الخليل بن أحمد ، ولا أجمع ؛ولا كان في العجم اذكى من ابن المقفع ولا أجمع)[2].

ويورد صاحب الأغاني :(... كنت مع الخليل ابن أحمد فيقول لي أحب أن يجمع

([1]) الأدب الكبير: أحمد زكي باشا: ص 79– 92– 104.

([2]) طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي ، طبعة دار المعارف ، 1952م ، شرح وتحقيق محمود محمد شاكر ، ص 21.

بيني و بين عبد الله بن المقفع ، ألقي ابن المقفع فيقول أحب أن يجمع بيني وبين الخليل ، فجمعت بينهما فمَّر لنا أحسن مجلساً ، وأكثره علماً ، ثم أفترقنا فلقيت الخليل فقلت له يا أبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك؟ قال ما شئت من علم وأدب إلا أني رأيت كلامه أكثر من علمه، ثم لقيت ابن المقفع فقلت كيف رايت صاحبك؟ فقال: ما شئت من علم وأدب إلاّ أن عقله أكثر من علمه)[1].

كما عده ابن النديم ، أحد بلغاء الناس ، وذكره في مقدمتهم ، وأقرَّ له الجاحظ بالتقدم ، فقال :(ومن المعلمين ، ثم البلغاء المقدمين عبد الله بن المقفع كان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني ، وابتداع السير ، وكان إذا شاء أن يقول الشعر قال)[2].

وهو القائل عندما سئل لم لا ينظم الشعر قال :(إن الذي يأتيني منه لا أرتضيه ، والذي أرتضيه لا يأتيني)[3]. وهكذا كان كبار الأدباء ينحون دائماً على انفسهم باللائمة . وقال الجهشياري : (كان ثريا سخياً ، يطعم الطعام ، ويتسع على كل من يحتاج إليه)[4].

وقال جعفر بن يحيي : (عبد الحميد أصل ، وسهل بن هارون[5] فرع ، واحمد بن يوسف[6] زهر ، وابن المقفع ثمر)[7].

([1]) الأغاني: الأصفهاني ، ج20 ، طبعة دار الفكر بيروت ، تحقيق سمير جابر ، ص 239.

([2]) الفهرست: ابن النديم ، طبعة الرحمانية القاهرة ، 1348هـ ، ص 96.

([3]) البيان والتبيين: الجاحظ ، ج1، دار صعب ، ص 119.

([4]) الوزراء والكتاب: الجهشياري ، ص 109.

([5]) سهل بن هارون فارس الأصل شعوبي المذهب إنتقل إلى البصرة وكان ملتحقاً بخدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة ، وكان حكيماً وشاعراً شديد العصبية على العرب ، وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل. راجع ابن النديم ، الفهرست ، العربي للنشر والتوزيع ، ص 216. تحقيق دكتور شعبان خليفة. والجاحظ كثير الإعجاب به له كتاب ثعلبه وعفرة على نسق كليلة ودمنة ، وله مؤلفات كثيرة . راجع الأعلام للزركلي ، ج3 ، ص 143.

([6]) أحمد ابن يوسف وزير من كبار الكتاب من أهل الكوفة ولي ديوان الرسائل للمأمون واستوزره بعد أحمد بن خالد الأحول ، توفي بغداد ، وكان فصيحاً قوي البديهة ، يقول الشعر الجيد، له رسائل مدونة وهو صاحب البيت المشهور: إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ** كصدر الذي يستودع السر أضيق. راجع الأعلام للزركلي ، ج1 ، ص 272.

([7]) العصر العباسي : جورج غريب ، ص 21.

وقال فيه الزركلي صاحب الأعلام : (من أئمه اللكتاب ، وأول من عنى في الإسلام بترجمة المنطق ، وترجمة عن الفارسية ، كتاب كليلة ودمنة وهو أشهر كتبه ، وانشأ رسائل في غاية الابداع)[1].

وقال فيه الاستاذ الخفاجي :(فهو من الجانب الأدبي ، قد وهب اللغة العربية ثروة طائلة الأفكار والمعاني والأغراض ، بل وفي الأساليب أيضاً ومنحها أعظم ما استطاع أديب عربي أن يمنحها أياه في ثراء في الأداء والتعبير ، وغنى في التخيل والتصوير ، وسعه في المعاني والتجارب والتفكير ، بل كساها حُللاً رائعه بمؤلفاته ، وترجماته التي حفظت على العربية شبابها ورواءها)[2].

كما قال حسين مروة :(على أن الرجل كان يجمع إلي ثقافته تلك مزايا كبر النفس ، ودقة الفكر وجراءة الرأي ، مع نزعة إلي التحرر من التقليد والإتباع الأعمى ، ومع كراهية الظلم والطغيات والاستبداد)[3].

وكثيرون الذين كتبوا عن ابن المقفع من العلماء ، والمحدثين وليس الغرض هنا استقصاء جميع الآراء ، وإنما معرفة قدر الرجل ومنزلته ، فحسبه مؤلفاته وخاصة كليلة ودمنة ، والذي يعتبر من الاحجار الكبيرة التي وضعت للكتابة الأدبية.

المطلب السادس

آثار ابن المقفع

كان عصر ابن المقفع عصر نقل في أكثره ، لرعية أولي الأمر في الاطلاع والتعرف على علوم الأعاجم ، والاستفادة منها ، وكان ابن المقفع مالكاً لناصيتي العربية والفارسية فأحب أن يرى العرب آداب قومه ، ويتقرّب بها إلي ذوي السلطان ،

([1]) الأعلام: خير الدين الزركلي ، ج4 ، دار العلم للملايين ، ط4، 1979م، ص 140.

([2])) مجلة المنهل: الخفاجي ، مجلة شهرية للأداب والفنون، مقال بعنوان هل وضع ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة او ترجمه. ص 140.

([3]) تراثنا كيف نعرفه: حسين مروة ، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2 ، 1986م ، ص 123.

فأكب على النقل فأتحف العربية بطائفة من الكتب النفيسة ، بالرغم من العمر الوجير الذي عاشه ، إذ أنه قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ولكننا نجده أثرى المكتبة العربية بكتب تحكي عن عظمتها. ومن الآثار التي ترجمها الي العربية من الفارسية (خُداي نامة) (وآيين نامه) و (مزدك نامك) و (حياة برزوية) و (رسالة تنسُر) و (كليلة و دمنه)[1].

وعن اليونانية فهو مترجم كتب أرسطو الثلاثة في المنطق : (قاطاغورياس وتعني المقولات العشرة) و باري أرمينياس و تعني العبارة و(أنالوطيقا) وتعني تحليل القياس كما نقل كتاب المدخل (ايساغوجي) ويعني الكليات الخمس النوع– الجنس – الفصل – العرض الخاص والعرض العام. لفورفوريوس الصوري.[2]

وقد لاحظ الدكتور أحمد كمال زكي ، أن هذه القائمة تخلو من كتب عرفت له ولم يكن ترجمها منها: رسالة الصحابة المشهورة ، والأدبان الكبير والصغير ، واليتيمة ، وجودها بعيداً عما روى من مترجماته على أنها من تاليفه ، ولم كان الأثر الباقي من الكتب الأولى ، هو كليلة ودمنة ، والمقارنة بينه وبين ما ألف لا تكشف عن أي اختلاف. فأننا نقول أن أسلوبه في الترجمة والتأليف يجري على نسق واحد من البناء الفني[3].

ومن آثار ابن المقفع:

1– الأدب الصغير:

ويعني بالأدب هنا التهذيب الخلقي وهو قسمان: مقدمه وموضوع ، فأما المقدمة فيذكر الكاتب فيها حاجة العقل إلي الأدب وتأثير هذا الأدب في أنماء العقل ، فيقول (فكما أن الحبة في الأرض لا تقدر أن تخلع يبسها ، وتظهر قوتها ، وتطلع فوق الأرض بزهرتها ونضرتها الا بمعونة الماء ، فكذلك سليقة العقل مكنونة في مفرزها

([1]) إيران في عهد الساسانيين: كريستنسن أرثر، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1957م ، ترجمة دكتور يحيى الخشاب ، ص 46– 47– 49.

([2]) الفهرست: ابن النديم ، طبعة فلوجل ، ص 248– 249.

([3]) الحياة الأدبية في البصرة: أحمد كمال زكي ، ص 452.

من القلب لا قوة لها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الأدب الذي هو نماؤها وحيائها ولقاحها)[1]. أما موضوع الكتاب فهو المحفوظ من كلام الناس فيقول: (وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصغالها وتجلية ابصارها واحياء للتفكير واقامة للتدبير)

والأدب الصغير عبارة عن دروس خلقية اجتماعية ، تحث على طلب العلم، وتشترط على العالم التواضع وعدم الاعتداد بالنفس ، وتدعو المرء الي تأديب نفسه ومحاسبتها، وتحسَّن له الزهد والتصوف . وجماع القول أن الأدب الصغير رسالة نفسية في سياسة الاجتماع وتهذيب النفس ورياضتها على الأعمال الصالحة ومعرفة الخالق.

2- الأدب الكبير:

فهو كتاب يتسم بوحدة متماسكة وموضوعه مقسوم إلي قسمين:

أحدهما في علاقة الراعي ، والأخر في علاقة الرعية بعضها البعض. وتحدث الكاتب فيها الي الناس آخذ بالمثل الأعلى. فجاء مثالياً في فكرته بعيداً عن الواقع ، فكأنه بذلك يدعو الخلفاء والولاه والناس في عصره ، إلي أن يروا إلي أي حد هم مختلفون ، عمّا يقدِّمون ، وما ينبغي أن يكون[2].

ولكن هل كان ابن المقفع في الأدبين ناقلاً أو مترجماً أو كان وأضعاً ومؤلفاً؟ والذي أميل إليه أن ابن المقفع في أدبيه كان ناقلاً ومؤلفاً من خلال تصريحه هو نفسه في مقدمتها يقول في الأدب الصغير: (وقد وضعت في هذا الكتاب من الكلام الناس المحفوظ) ويقول : في الأدب الكبير: (بأن الأولين لم يغادروا شيئاً لم يجد واصف بليغ في وصفه له مقالاً ، لم يسبقوه إليه ، ... فلم يبق في قليل الأمر وصغيره لقائل بعدهم مقال ، وقد بقيت اشياء من لطائف الأمور ، فيها مواضع لصغار الفطن ،

([1]) الأدب الصغير: أحمد زكي باشا، ص 5. وكذلك عمر أبو النصر آثار ابن المقفع، ط1 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1966م ، ص 29- 30.

([2]) الأدب الكبير : أحمد زكي باشا ، ص 11- 13.

مشتقة من جسام حكم الأولين وقولهم . فمن ذلك بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا من أبواب الأدب التي قد يحتاج إليها الناس).[1]

وأما القسم الثاني فقد خصه بالصديق ، وابن المقفع عظيم المودة والوفاء للاصدقاء ، ويستهله بقوله :(ابذل لصديقك دمك ومالك). وابن المقفع في اثناء كلامه على الصديق ينهاك عن اشياء لا يصح التخلق بها ، ويوصيك ان تحترز من سُكر السلطة والعلم والشباب وهو أبداً شديد الوطأه على المرأة فما يتركه التنفير من الولوع بها، والتحذير من التهافت على الإزدياد من النساء ويختم كتابه بذكر الصفات الحسنة التي ينبغي للمرء أن يتحلى بها في حياته، وهي خلاصة مباحثه في الأدب الكبير.

3- رسالة الصحابة:

تعد رسالة الصحابة خير دليل على مذهب ابن المقفع السياسي. وهي رسالة في مجملها إصلاحية. وقد دعا في رسالته هذه إلي الإصلاح الشامل وبدأ برأس الدولة ، ثم الصحابة وهم بطانه السلطان، والقضاه والرعية وغيرهم. أما في رسالة الصحابة فابن المقفع هنا مؤلف ناقد بالتأكيد، وليس ناقلاً ولا مترجماً ولا جامعاً ، ويريد المؤلف بالصحابة هنا البطانة أو حاشية السلطان. وقد اشتهرت هذه الرسالة لأنها كتبت لأبي جعفر المنصور ، ينصحه بما يجب أن يعامل به حاشيته ومن حوله.ويبدو أن أسلوب هذه الرسالة لم يعجب الجاحظ فانتقدها، وقال : (إن الكاتب فيها تجده يجد الحكاية لدعوى القول ، ردئ المدخل في الموضوع الطعن عليه)[2].

فلست استغرب من الجاحظ فهو من أبرع الكتاب في امتداح الشيء وضده وفي الجدل والدعوى والطعن ، والنقد ، لذلك لم تعجبه طريقة ابن المقفع التي كانت هينة ولينة ، لكنها متماسكه متشابه شديدة ، لا يمكن للخصم الإفلات منها.

4- آيين نامه:

([1]) الأدب الصغير: أحمد زكي باشا، ص 3.

([2]) آثار ابن المقفع: إشراف عمر أبوالنصر، منشورات دار مكتبة الحياة ، ط1 ، 1966م ، ص 31.

وهو من خير الكتب التي كانت تعين الباحثين على فهم الحالة الداخلية لبلاد فارس، لو وجد واطلعوا عليه ، ويعرف بالفهلويه (آيين نامك) أي كما يقول المسعودي : كتاب الرسوم ، وهو عظيم في الألوف من الأوراق ، ولا يكاد يوجد كاملاً إلاّ عند الموابذة[1] ، وغيرهم من ذوي الرياسات)[2] ويهتم الكتاب بذكر تفاصيل النظام الساساني ، وأصول الحكم وفيه فصول عن الرياضيات المختلفة ، التي كان يمارسها النبلاء ، كرمى السهام ولعب الكرة ، كما أنه يتضمن الطرق المختلفة لزجر الطير ، وغير ذلك.[3]

5- خُداي نامه[4]:

هو من أعظم كتب الفرس التي فخروا بها قديماً ، ويقال أن أسمه بالفهلوية (خداي نامك) بالكاف الفارسية . ويتضمن سير الملوك- وقد أصبح مناط المثقفين والمتأدبين عرباً وفرساً على حدّ سواء[5].

وقد قال الجاحظ في معرض حديثه عن الشعوبية (ومن احتاج الي العقل والأدب والعلم بالمراتب والصبر والمثلات والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة فلينظر الي سير الملوك)[6].

6- الأدب الوجيز للولد الصغير:

لم يجزم أحد بصحة نسبه هذا الكتاب لابن المقفع سوى باحث ايراني معاصر وهو محمد غفراني الخرسان . يؤكد أنه تقضي وتحقق من إنه له ، وأنه أحد كتبه بالعربية

([1]) الموبذ: الموبذان للمجوس: كقاضي القضاة للمسلمين. والمؤبذَ : القاضي . راجع لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ص 511.

([2]) التنبيه والإشراف: المسعودي ، طبعة لندن 1893م ، ص 104.

([3]) عيون الأخبار: ابن قتيبة ، طبعة ستراسبورج 1903م ، تحقيق كارل بروكلمان، ص 139.

([4]) كتاب خداي نامة في تاريخ ملوك إيران وقصصهم ، ترجمه ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية. راجع تاريخ الأدب الفارسي: د. رضا زاده شفق ، ص 15.

([5]) إيران في عهد الساسانيين: آرثركرستنسن، ص 46.

([6]) البيان والتبيين : الجاحظ ، ج3 ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ص 10.

ثم نقل الي الفارسية في عصر متأخر ، ويتفق كتاب الأدب الوجيز للولد الصغير في موضوعه الأخلاقي التربوي مع ما أخذ به ابن المقفع نفسه ، فنجد واحداً وخمسين فصلاً من الفصول الصغيرة، يوصي فيها الكاتب ابنه بإلتزام ما تقتضيه من حدود وأدب ، وما تدعوا الي تحقيقه من قيم ومباديء[1].

7- كتاب تنسُر:

يعد هذا الكتاب من أهم مصادر النظم الساسانية ، وتنسُر هو مستشار أردشير الذي أمره بجمع نصوص الاوستا الإسكانية ، وبكتابه نص واحد منها وكتاب تنسُر رسالة تأريخية وسياسية وأخلاقية ، في صورة مراسلة بيت كبير الموابذه تنسُر ، وملك طبرستان ، الذي لم يكن ملماً إلماماً بحقيقة قيام الأسرة الجديدة الساسانية ، وكان متردداً في الخضوع لأردشير. والكتاب يتفق وآداب كتب النصائح التي كانت شائعة أيام الأكاسرة والواقع أن تاريخ الكتاب يرجع إلي أيام كسرى الأولى ، لا أردشير الأول[2].

8- كليلة ودمنه[3]:

هو كتاب وضع على ألسنه البهائم ، والطير ، حوى تعاليم أخلاقية موجهه أولاً الي الحكام ، وقد سميى بأسم أخوين من بنات أوي ، وهما كليلة ودمنة ، وذلك من باب تسمية الكل باسم الجزء ؛ لأن خبر كليلة ودمنة لا يتناول غير بابين من أبوابه وهما: (باب الأسد والثور ، وباب الفحص عن أمر دمنة). ويعد كتاب كليلة ودمنة من أنفس ما وصل إلينا من كتب ابن المقفع ، واليه يعزى الفضل في شهرته بالكتابة الأدبية ، وخلوده في ميدان الفكر والثقافة ، وهذا الكتاب يعتبر من اقدم كتب الأدب ، وأكثرها تداولاً وانتشاراً على أختلاف النزعات واللغات.

([1]) الأدب الوجيز للولد الصغير: لمحمد غفراني الخراساني، عضو البعثة الإيرانية ، اختير لايفادة لجامعة مصر ، وكتاب الأدب الوجيز ، طبعة عالم الكتب بالقاهرة 1963م .

([2]) إيران في عهد الساسانيين: آرثركرستنسن ، ص 51.

([3]) يقال إن اسم الكتاب في السنسكريتية (كرنكادمنا) وفي الفهلوية كليك ودمنك، وأبدلت الكاف الفهلوية هاء صامتة في الفارسية فعرف باسم كليلة ودمنة. راجع أمين عبدالمجيد بدوي القصة في الأدب الفارسي – دار المعارف 1964م ، ص 320.

أختلف المؤرخون في أصل الكتاب فبعضهم يؤكد على أنه من أصل هندي كما يصرح ابن المقفع نفسه (هذا كتاب كليلة ودمنة. وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والاحاديث التي ألتمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول...)[1]

ويقول ابن المقفع أنه نقل كتاب كليلة ودمنة من اللغة الفهلوية. وقد نقل ذلك أيام كسرى انوشروان من الهندية الي الفهلوية[2] . ولكنهم لم يعثروا الي الان ،علي كتاب جمعت فيه هذه القصص الهنديه وجدت متفرقة في غير كتاب واحد ويذهب بعضهم الي أن الكتاب من تأليف ابن المقفع،اما ادعاؤه بنقله عن الفرس فعائد إلي أمرين:

الأول:إحاطة الكتاب بما للكتب المنقوله له ، من الأهمية والعظمه والجلال والتقدير عند ولي الأمر ، أكثر مما تخطي به الكتب الموضوعة بالعربية. وحسبك حتى الكُتاب الذين أتوا بعد ابن المقفع ، كان لا يحتفي بمؤلفاتهم ، إلاَّ بعد نسبتها الي السابقين.

والثاني:خشية ابن المقفع من أذى الحكام وبطشهم ، بسبب ما اصدره في الكتاب من اراء نقدية جريئة تعّرض بهم وبأعوانهم ، وتدين بطشهم ، وظلمهم للرعية فكان أن أنكر نسبته إليه ، ونحله إلي بيدبا الفيلسوف ، الذي لا وجود له في الحقيقة ، وادّعى أنه نقله عن الفارسية ، بينما هو من وضعه وتأليفه[3].

وأضاف ابن المقفع الي هذا الكتاب ، ولم يكتف بالنقل والترجمة ولم يتقيد بالترجمة الحرفية حتى يأتي الكتاب موافقاً العقلية الجديدة ، والاذواق العربية والاسلامية ، وليعمل الكتاب في الخلفاء ، ما فعله في الهند وفارس. وأبواب الكتاب التي تحتويها النسخ المختلفة من هذا الكتاب تنقسم إلي الاقسام الآتية:

1- المقدمات:

مقدمة علي بن الشاه الفارسي ، عرض الكتاب لابن المقفع ، وبعثه برزويه إلي بلاد

([1]) كليلة ودمنه: تحقيق د. عبدالوهاب عزام ، دار الشروق بيروت ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1973م ، ص 33- 37.

([2]) ضحى الإسلام: أحمد أمين ، ج1 ، طبعة القاهرة ، ص 216.

([3]) تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص 54- 55.

الهند لتحصيل الكتاب ، وباب بروزيه الطبيب. أما مقدمة علي بن الشاه الفارسي ، فلا ريب أنها زيدت على بعض النسخ العربية ، بعد ابن المقفع وهذا ما وضح في أصل الكتاب.

2- قيمة الكتاب الأدبية:

أما قيمة الكتاب الأدبية ففي أسلوبه الأدبي الذي بلغ الغاية من حيث الوضوح والجزالة والليونة وإرسال الكلام إرسالاً كالبحر يجري ينشر الحكمة والمعرفة والمثل في أسهل لفظ وأجمل أسلوب . أما القول بغموض بعض الجمل فلا أنكره وليذكر الذين يتحرون هذا الغموض أن ابن المقفع كان رائداً في النثر العربي ، وأنه كان هو وعبد الحميد الكاتب أول من سويا طريقة ونظما أسلوبه وأنهما لم يكونا من المقلدين ، وإنما كانا من الفاتحين[1].

(1) كليلة ودمنه: مصطفى لطفي المنفلوطي ، مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت 2005م، ص15

الفصل الثاني

النثر الفني أو الصنعة

المبحث الأول

مفهوم الكتابة الأدبية

المطلب الأول

تعريف الكتابة الأدبية:

والمراد منها هي الكتابة التي لا تصدر عن السليقة ، التي لا يقصد فيها صاحبها إلا مجرد الإفهام ، وإنما أردت الكتابة التي تروي صاحبها في تجويد المعني وتأنى في اختيار اللفظ قبل أبرازها لتخرج مُحَبَّرَةً مجوَّدة ،لأنه لا يقصد منها الإفهام وحده، وإنما يقصد أيضاً إصابة الهدف عند القاري وأثارة غضبه حينا وطلب إشفاقه حينا آخر ، وغير ذلك من الأغراض التي يتوخاها الكاتب ويضعها نصب عينيه لتحقيق مراده ، والوصول إلي ضالته المنشودة .

ويري دكتور حسين نصار بأن كتابات العرب والجاهليين ،وكتابات الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ، بأنها غير فنيه ، على الرغم من فصاحتها وجمالها فهو لا يقصد بالفن الجمال وحده ، وإنما يقصد الجمال الذي استحدثه صانع فنان ، يعرف ما يعمل ويريده ويبحث عنه . [1]

وأحب أن أقول إن الأناقة في الكتابة لا تلتزم الصنعة ، وإنما قد يخرج القول المرتجل التلقائي جميلاً أنيقاً دون تروّ أو تعمُّل ، مثله في ذلك مثل الحسناء يغنيها جمالها عن الحلى والزينة . وهذا القول ينطبق على كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة . لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً وكلامه جزل رشيق ، لا تعمل فيه ولا غموض ، وكان يترسل في القول ويقتصر على حاجته . فأصلح الرسول صلى الله عليه وسلم لغة التخاطب والتكاتب ، وكذلك الصحابة الذين أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يمتازون بالبلاغة كما يتمايزون برجحان العقل . [2]

([1]) نشأة الكتابة في الأدب العربي : د. حسين نصار ، ط2 ، 1966م ، مكتبة النهضة المصرية ، ص3 .

([2]) أمراء البيان : محمد كرد على ، ج 1 ، الطبعة الثانية ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ص1948م – ص12.

أما الكتابة الفنية التي أقصدها فهي مثل الحسناء التي تشعر بجمالها وحسنها، وتحب أن تلفت إليه الأنظار ، فتبرز أجمل مواطنه وتعالج نقائصه وهفواته[1].

معني الكتابة في اللغة :

الكتابة في اللغة تتضمن معاني منها:

1. تصوير اللفظ بحروف الهجاء يقال : كتب يكتب كتابة [2].

الكتاب : صور فيه اللفظ بحروف الهجاء[3] .

وفي لسان العرب كتب الشيء وكتبه كتاباً و كتابة خطة فالكتاب اسم لما كتب مجموعاً والكتاب مصدر والكتابة : لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة[4].

وكتب الكتاب يكتبه كتبة وكتاباً وكتابةً وكتْباً ، واكتتبه لنفسه انتسخه، وفلان مُكتَبٌ ومكتِّبٌ يكتُّب الناس يعلمهم الكتابة ، ينسخهم أو يملي عليهم[5].

فالكتاب منهج تنظيمي ، خطه الله على الألواح لتأخذه الأنبياء وأقوامهم . ومنهج إيماني خطه على قلوب عباده ليكون همساً داخلياً موجهاً ومنهج رحماني كتبه على نفسه ليكون ذلك للإنسان سلاماً يُشجع ويحرك ويسعد ... ويبسط صاحب صبح الأعشى، مدلول الكتابة لغة واصطلاحاً .... ويرى الكتابة في اللغة تعني: الجمع وقد تطلق على العلم.

واصطلاحاً فقد عرفها صاحب موارد البيان: بأنها صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية، دالة على المراد بتوسط نظمها ...أما روحانيتها فالألفاظ المتخيلة باطنياً في

---

(1) نشأة الكتابة في الأدب العربي : دكتور حسين نصار ، الطبعة الثانية 1966م مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمود وأولاده القاهرة ، ص 3 تمهيد .

(2) صناعة الكتابة: دكتور فكتور الكلك ودكتور أسعد أحمد على ، الطبعة الرابعة 1981 دار السؤال بدمشق، ص34.

(3) لاحظ من المعاجم الحديثة: المنجد للويس معلوف ط 17 بيروت ، المطبعة الكاثلوكية والمرجع عبد الله العلايلي ، ج1، بيروت ، دار المعجم العربي، الطبعة الأولى 1963م. تبك – بكت – بتك ، لملاحظ المعنى الجامع بين التقاليب.

(4) لسان العرب : للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ج1، طبعة دار صادر بيروت 1990م ص698

(5) أساس البلاغة : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الطبعة الأولى1992 ، دار صادر بيروت لبنان ، ص335.

النفس .... وأما جثمانيتها فالخط المصور لتلك الصورة اللفظية ... وأما الآلة فالقلم وهذا التحديد يشمل جميع ما يسطره القلم مما يُصَوِّرَه الذهن ويَتخيَّله الوهم فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو المستفاد من المعنى اللغوي[1].

وبالتالي الكتابة تصوير الألفاظ، والألفاظ جسوم صوتية تصبح صوراً مرئية عند ما تصور بالحروف[2].

المطلب الثاني
نشأة الكتابة وغايتها

([1]) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ج1، الطبعة الأميرية بالقاهرة 1913، ص51–52.

([2]) صناعة الكتابة : دكتور فكتور االكك ودكتور أسعد أحمد على ، ص70.

يُرَجُع بعض العلماء فكرتها الأولي إلى حوالي ستة آلاف سنة ، في مصر وأمريكا الوسطي . والي حوالي أربعة آلاف سنة في الصين ، ويظنون فكرة الكتابة الأولى نشأت عند الفراعنة المصريين ، ثم انتقلت الفكرة الي الفينقيين ، فأنضجوا الفكرة ، وأكملوها ونقلوها إلى العالمين : اليوناني والروماني .

ويبدو أن تطوراً مماثلاً حدث عند الصينيين ، ثم عند سكان أمريكا الوسطي والمسيحيين واليهود .

ويحدد آخرون مولد الكتابة بأنه اليوم الذي اعتبرت فيه العلامة تمثيلا موضوعياً ، لأن الكتابة ، على وجه التقريب إيصال فكرة بيين شخصين في صورة مادية .

وقد مرت الكتابة بأربعة أدوار قبل وصولها إلى ما هي عليه الآن. والأدوار هي الدور الصُّوَرِي الذاتي ، والصُّوَرِي الرمزي ، والدور المقطعي ، والدور الهجائي وفيه تصبح تلك المقاطع حروفاً وهو آخر خطوة بلغتها الكتابة حتى الآن فإنك ببضع عشرات الحروف تُعبَّر عن كل ألفاظ اللغة مهما تعدَّدت وتنوَّعت[1].

على كل حال فإن نشأة الكتابة أعمق وأوسع من حدود بحثنا ، وهذا يعني أن اللغة مرتبطة بالحياة ، ومتولدة منها سواءً أكانت منطوقة أم مكتوبة ، وهذا هو الجانب الذي يرتبط به معني الإصطلاحي للكتابة. فصِلةُ اللغة بالحياة أوثق؛ بكون الأفكار لغة . لأن الحقائق الظاهرة في مسائل التفكير ليس في الحقيقة أكثر من مسائل لغوية . إذا صحت هذه الرابطة الوثقي بين اللغة والحياة ، في اللغة عموماً فإنّ فقهاء اللغة العربية يضعونها في القمة من هذا الاعتبار ، ويرونها المثال الباقي في يد الإنسانية لمعرفة النهج الذي سلكته الحياة في إنشاء أداة بيانها؛ بل يرون لطابعها الاشتقاقي نتائج مهمة في مصير الثقافة ، منها الكشف عن نمو الذهن بتجاوب وجهيه المحسوس والمنقول . ويتمثل ذلك في اللسان العربي. أي معنوياً كان أو مادياً

([1]) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : لجرجي زيدان ، ط2 ، دار الهلال القاهرة 1904م ص162– 163

في إطار تخطيطي بحيث يؤدي غرضه[1].

غاية الكتابة:

من قوانين اللغة العربية ما يردُّ الثلاثي إلي الثنائي فمثلاً : فعل كتب ، يُردُّ إلى الثنائي (كت) وهذا الثنائي هو الجذر الطبيعي الذي تولد منه المعني ؛ وكل الأسرة المشتقة منه ، كما تقرر ذلك قوانين الاشتقاق ، ولوعدنا إلى هذا الأصل في المعاجم نجد ما يؤيد ذلك : (كَتَّ الكلام في أذنه يكته كتاً : ساره به .... كتني الحديث : اخبرنيه كما سمعته .... إكَتَّت الحديث أي اسمعه مني كما سمعتهُ ... والكتكتة: صوت الحباري . وكتت القِدر والجرة ونحوهما تَكُتُّ كتيتاً إذا غلت ، كَتَّه: عده وأحصاه وكتكت الرجل مشي رويداً أو ضحك دون القهقهة. كتَّ البعير : صاح صياحاً لينا. وجل كتكات : كثير الكلام

فالعلاقة بين هذه المشتقات المتفرعة من (كت) والعلاقة بين هذه المشتقات ومشتقات (كتب) هو الصورة الجامعة ذات وجهين وجه الصوت المسموع ، ووجه الصورة المرئية . وهذان الوجهان يشملان فروع الجذر كلها . الصورة الصوتية وكت عندما يكون همساً في الأذن ، وكتيت عندما يكون انفعالا في الصدر ،ولكنه كتابة عندما يجري إلى صدر الحروف . أما الصورة المرئية فتظهر الحركة في الطبيعة والإنسان معا فالماء يكت في الجرة أو القدر ، فيغلي أو يقل أو يصب فمن الصورة الحركية ، التي تدل على حركة الماء داخل الإناء يمكن الانتقال بمظهر حرف الباء إلى الصورة الحركية ، للانفعال الإنساني الداخلي متحّولاً إلي الظهور بالكتابة ؛ والذي يدهش حقاً أن يكون هذا الجذر (كت) قد احتوي على غاية الكتابة، كما نفهمها من أوسع ميادينها اليوم ؛ أليس غاية الكتابة عموماً الاتصال بالآخر؟ وهل من صورة أدل على عمق الصلة بين اثنين من المسارة ؟ إن تُسَار الآخر بالكلام يعني أن تكونا على أكمل صور التفاهم ؛ وهل هناك كلمة أكثر إيحاء لأبعاد التفاهم من "سار" التي تعني (كت) والمسارة: سرٌّ وسرور وهذا أبعد ما تستطيع الكتابة أن تبلغه: أن تنقل السريرة أي المشاعر ، كما هي للآخر ، والسريرة خلاصة مسيرة

---

(1) صناعة الكتابة د. فكتور الكك ود. أسعد احمد ، ص47.

(سار وسرى) طويلة يضعها الكاتب بين يدي الآخر ؛ في ما يكتبه... بل يهمسها في أذنه سراً وسروراً وسيرورة، هي إفراغ النفس لتكون استمراراً في الآخر[1].

[1] صناعة الكتابة دكتور فكتور الكك ودكتور اسعد احمد على ، ص71– 73.

المطلب الثالث

أهمية الكتابة وآدابها

الكتابة مرحلة متقدمة من مراحل تطور الحضارة الإنسانية ، وتعتبر مفخرة العقل البشري ، وأعظم ما أنتجه العقل الإنساني ، ولا نغالي إذا قلنا: إن الإنسان حين اخترع الكتابة بدأ تاريخه الحقيقي ، فكم ضاع من تراث الأمم بسبب عدم تسجيله كتابة ، وكم من أمم خلدها التاريخ بسبب تسجيل تراثها كتابة . والكتابة تلي مرحلة التحدث في الوجود ، وتسبق مرحلة القراءة فالقارىء لا يقرأ إلا ماهو مكتوب، والكتابة تفضل الحديث الشفوي لأن الحديث يتم –غالباً– دون تأمل أو تفكير ، فهو عفوي تمليه الحاجة الراهنة.

أما الكتابة وإن كانت أقل عناصر اللغة استخداماً في الحياة إلا أنها تعد أفضلها جميعاً ، لأنها تعتمد على الأناة والتمهل ومداومة التفكير والنظر ، وتستلزم تنظيم الأفكار بعد بلورتها وصياغتها صياغة محكمة ، كما أنها تستخدم الفصحى في أدائها، فتساعد على رقي اللغة ، وقد واكبت الكتابة نضج العقل الإنساني ، وارتقاء إدراكه وتكامل مفاهيمه[1].

آداب الكتابة :

من أهم آداب الكتابة حسن السيرة وحسن المعاشرة وحسن السيرة: هو تقوى الله في السر والعلن وقصد الآخرة ولزوم العفة في كل ما يتصل بالأمير من أشغال ومهام، والاعتدال في طلب اللذة ، ومنها الإخلاص للسلطان والنصيحة وكتمان السر و الشكر والوفاء ، وعدم الإدلال للسلطان بخدمة أداها له الكاتب ، حسن اختيار الوقت الذي يصلح للعرض أو الطلب ، حسن الوساطة .

كذلك حسن المعاشرة وهو معاشرة الملوك والعظماء ، والأكفاء والنظراء والأتباع والمرؤوسين والرعية على وجه العموم ؛ ومعاشرة من يمت للكاتب بصله أو بحرمه مهما كان نوعها[2].

([1]) فن التحرير العربي وضوابطه وأنماطه: محمد صالح الشنطي ، مطابع الفرزدق التجارية الرياض 1989م ، ص15.

([2]) صبح الأعشي ، للقلقشندي ، ج1، ص 85– 89 .

المطلب الرابع

أنواع الكتابة

تنقسم الكتابة بحسب أسلوب ومجالاتها إلي عدة أنواع هي:

1. الكتابة الإجرائية الوظيفية.
2. كتابة إبداعية فنية .
3. كتابة وظيفية إبداعية.
4. الكتابة التاريخية .

أولاً : الكتابة الإجرائية الوظيفية:

هذا النوع من الكتابة يتعلق بالمعاملات والمتطلبات الإدارية ، وهو ضروري في الحياة للمنافع العامة والخاصة ، والمكاتبات الرسمية في المصارف والشركات ودواوين الحكومة وغيرها ولهذا النوع من الكتابة قواعد محدودة ، وأصول مقننه وتقاليد متعارف عليها .

وتتميز هذه الكتابة بأنها خالية في أسلوبها من الإيحاء ، ودلالات ألفاظها قاطعة لا تحتمل التأويل ، ولذلك تستلزم هذه الكتابة مهارة خاصة ، وإن كان بعضها يحتاج إلي قدر من التأثير والإقناع لقضاء أمر أو استمالة شخص .

ثانياً : الكتابة الإبداعية الفنية:

هذا النوع من الكتابة يقوم على كشف الأحاسيس والمشاعر ، والعواطف الإنسانية ، و الابتكار في الفكرة ، وتخيل المعاني والتحليق بها ، ويحتاج هذا النوع إلي ملكة فطرية مركوزة في النفس ومستقرة في الوجدان ، فهي تعبر عن رغبة شخصية ذات أبعاد شعورية ونفسيه وفكرية ، وتكشف عن حساسية خاصة تجاه التجارب الإنسانية ، تبني على الابتكار لا التقليد ، وتختلف من شخص إلي آخر ويراعي أن تتوفر في صاحبها مهارات خاصة ، وخبرة فنية وجمالية لها جذورها الكامنة في القريحة ، والتي سقيت بماء المعرفة وشربت من نبع البلاغة والفصاحة ، ومجال الكتابة الفنية مجالات أساسيات هما مجال الشعر ويعتمد على الملكة الفطرية

والموهبة وكذلك مجال النثر الذي تدخل فيه فنون كثيرة منها: كتابة القصة والمسرحية وكتابة التراجم والسير ، و كتابة الخطابة والرسائل .

ثالثاً: الكتابة الوظيفية الإبداعية:

وهذا النوع الثالث من أنواع الكتابة ، وهو الذي يجمع بين الوظيفة والإبداع، ومجالات هذا النوع متعددة ، منها من كتابة المقالة وفن إعداد المحاضرة ، وفن التعليق ، وفن البحث ، وفن إدارة الندوة .[1]

رابعاً : الكتابة التاريخية:

نمت الكتابة التاريخية نمواً واسعاً في العصر الأموي فقد عرف العرب فكرة الكتاب وأنه صحف يجمع بعضها إلي بعض في موضوع من الموضوعات وقد ألفوا فعلاً كتباً كثيرة . وقد نشطت الكتابة التاريخية ، فكتب المؤرخون في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم أبان بن عثمان[2]، وعروة بن الزبير وهو أول من صنف في تلك المغازي ، ثم الزُهْرِيٌّ[3] وكلهم من المدينة ، وقد أخذ بعض هؤلاء المؤرخين يتحدثون عن الخلفاء الراشدين والأمويين – وكذلك نجد مؤرخين من اليمن يهتمون بتاريخ موطنهم ، وفي مقدمتهم عبيد بن شريه الجرهمي الذي وفد على معاوية وأدرك خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو صاحب (كتاب الملوك وأخبار الماضيين)[4] ألفه لمعاوية ، وطبع حديث في الهند باسم (أخبار شرية بن عبيد

([1]) فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه : محمد صالح الشنطي ، مطابع الفرذدق التجارية، الرياض 1989م ، ص15 وما بعدها.

([2]) ترجمة أبان بن عثمان بن عفان احد الولاة وهو ابن ثالث الخلفاء الراشدين وكانت أمه تدعي أم عمر وبنت جندب بن عمرو الدوسية . وقد صحب عائشة رضي الله عنها في وقعة الجمل ، وكان أبان في طليعة الفارين عند مأساءة المعركة ، وتولاه الخليفه عبد الملك بن مروان على المدينة سبع سنين ، وترجع شهرة أبان بمعرفته الواسعة بالحديث حتي أتى كتابه المغازي في سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم بعد أقدم الآثار الأوربية في هذا الموضوع . ومات أبان بالصرع في المدينة عام 105هـ في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك . دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ترجمة محمد ثابت أفندي ،أحمد الشنشاوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ،ص17.

([3]) ترجمة الزُهْرِيٌ واسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن عبد الله بن الحارثبن زهرة بن كلاب بن مرة ، وأمه عائشة بنت عبد الله الأكبر بن شهاب ويكني أبابكر . قالوا وكان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية ، فقيها جامعاً ، مات بشغب وبدا على الحدود الحجازية الفلسطنية سنة 124هـ وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر الطبقات الكبري لابن سعد ، تحقيق زياد محمد منصور ، الطبعة الأولي 1983م ،المجلس العلمي إحياء التراث الاسلامي ، ص 157– 187.

([4]) الفهرست لابن النديم، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، دار الفتوى، بيروت ودار المعرفة ، الطبعة الثانية 1997م ، ص132.

الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها) ومن يطلع عليه يجد الخرافة في أخباره .

وتشتهر اليمن في هذا العصر بقصاصها مثل تميم الداري ، واشهرهم وهب بن منبة الذي توفي سنة 114 للهجرة ، وقد كتب عن عرب الجنوب وعن مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أهتم بجمع أخبار الكتاب وما يتصل بها من الإسرائيليات[1] ، ومن يقرأ في الكتاب المنسوب إليه المسمي (كتاب التيجان في ملوك حمير) يجده ملئ بالخرافات وكذلك أهتم أهل العراق بتاريخ الأحداث في عصر على بن أبي طالب ، ثم في عصر بني أمية . ولا نلبث أن نجد مؤرخاً كبيراً هو أبومخنف يعني بتأليف كتب كثيرة وأكثرها يتحدث عن أحداث القرن الأول للهجرة ، واحتفظ الطبري بكثير مما كتبه في تلك الأحداث . ولا نلبث أن نجد مؤرخاً كبيراً هو أبومخنف[2] يعنى بتأليف كتب كثيرة وأكثرها يتحدث فيه عن أحداث القرن الأول للهجرة ، واحتفظ الطبري بكثير مما كتبه في تلك الأحداث .

فقد اهتم العرب بكتابة تاريخهم إلا بعد حروبهم مع الأمم الأجنبية وفتوحهم. وينبغي أن نعرف أن النثر التاريخي عند العرب نثر عربي خالص ، فهم لم يستعيره من الأجانب[3].

وكان أوائل المؤرخين عرباً ، سواء كانوا من الجنوب مثل وهب بن منبه ، وعبيد ابن شريه[4] أو من الشمال كأبان وعروة[1].

([1]) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : للعالم المؤرخ الكامل الأريب مصطفي بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكتاب جلبي غفر الله له آمين ، صححه ورتبه محمد شريف الدين يالتقايا والمعلم رفعت بيلكه الكليسي أعادت طبعة بالأوفست ، منشورات مكتبة المثني بغداد ، ص1390.

([2]) ترجمة أبومخنف: لوط بن يحي بن سعيد بن مخنف بن سليم الازدي ، وكان مخنف بن سليم من أصحاب على رضي الله عنه ، وروى عن النبي صلي الله عليه وسلم ، وتوفى وله من الكتب كتاب الردة ، كتاب فتوح الشام ، كتاب فتوح العراق ...،كتاب الغارات وغيرها من الكتب وهو غزير التأليف، قالت العلماء : أبومخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره . الفهرست لابن النديم ، اعتنى بها وعلق عليها الشيخ ابراهيم رمضان ، دار الفتوى بيروت ، الطبعة الثانية 1997م ، دار المعرفة بيروت، لبنان ،ص122.

([3]) الفن ومذاهبه ، شوقي ضيف ، ص 100– 102 .

([4]) ترجمة عبيد بن شريه الكيس النمري اللسين الجرهمي في زمان معاوية ، وادرك النبي صلي الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا ، ووفد معاوية بن ابي سفيان فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الالسنة ، وأمر افتراق الناس في البلاد فأمر

ولكن هذه الحركة العربية ما لبثت أن تأثرت بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب والفرس ، بل صار جميع المؤرخين من الموالي في أواخر القرن الثاني الهجري ، وأخذت هذه التيارات التاريخية المختلفة في التطور ، فنجد التاريخ القبلي الجاهلي أو الأيام والأنساب يعني بها في العراق خاصة ، ويدخلها علماء اللغة في نطاق أبحاثهم ،إذ أنها تعينهم على فهم الأشعار التي يريدون جمعها وشرحها[2]

المبحث الثاني
تاريخ الكتابة

معاوية أن يدون وينسب الي بن شريه ، وعاش الي أيام عبدالملك بن مروان ، وله من الكتب ، كتاب الأمثال ، كتاب الملوك وأخبار الماضين . الفهرست لابن النديم ، ص118 .

([1]) ترجمة عروة بن الزبير ابن العوام : بن حواري لرسول الله صلي الله عليه وسلم وابن عميه صفيه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب الإمام عالم المدينة ، ابوعبدالله القرشي الأسدي ، المدني ، الفقيه ، احد الفقهاء السبعة . حدث عن أبيه بشئ يسير لصغره ، وعن أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وعن خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولازمها وتفقه بها. سير أعلام النبلاء تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي المتوفي 748هـ– 1374م ،ج 4، تحقيق شعيب الارنؤوطي ومأمون الصاغرجي ،مؤسسة الرسالة ، ص421.

([2]) نشأة الكتابة الفنية : دكتور حسين نصار ، ص233.

ويذهب بعضهم إلي أبعد من ذلك في نشأتها ، يقول ابن فارس في كتابه فقه اللغة : إن أول من كتب بالخط العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلثمائة سنه . كتبها في طين وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد قوم كتابا فكتوبه ، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي.

قلت : أي ابن فارس هذا الأثر اخرجه ابن اشته في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الأحبار .

ثم يقول ابن فارس وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه ومنطقه وقيل مرامر بن مرة ، واسلم بن جدَرَة ؛ وهما من أهل الأنبار .

وقيل أول من وضعه ، أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ، وكانوا ملوكاً فسمي الهجاء بأسمائهم .

وقيل أن أول العرب الذي كتب بالعربية حرب بن أميه بن عبد شمس ، تعلم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار . وأول من خط بالقلم إدريس عليه السلام . وكان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتبون منهم : عمر و عثمان ، وعلى وزيد وطلحة ويزيد ، وأبوعبيدة وأبي بن كعب . وأقسم بالقلم في الكتاب الكريم[1].

وعن تاريخ الكتابة نجد أن الأمية غلبت على العرب في جاهليتهم ، ولاسيما عرب البادية لأن حياتهم الفطرية في حدودها السياسية والاجتماعية لم تتسع لصناعة الكتابة التي إنما تنشأ بنشوء الجماعة المنظمة . وتنمو بنمو القوي المفكرة .

وتعظم بعظم الحاجة إليها . بيد أن سكان الحواضر من أهل اليمن اصطنعوا الكتابة لما هم عليه من تقدم العمران ويعرف خطهم بالمسند الحميري ، حروفه منفصلة ، وفيه شبه بالكتابة الحبشية ، ومنه تفرع الخط الكوفي . وترك اليمانيون من أثارهم

---

(1) المزهر لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي ، شرح وضبط محمد احمد جاد المولي بك ، على محمد البجاوي ، محمد أبوالفضل إبراهيم ،ج2، ط3 ، مكتبة دار التراث القاهرة ، ص 341– 352.

نقوشاً حجرية ، يرجع أبعدها عهداً إلي المائة الثامنة قبل المسيح[1].
كشف عنها المنقبون الأوروبيون من إنكليز وألمان وفرنسيين في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وجُعلت أساساً للبحث التاريخي في مدينتي سبأ وحمير . ولم يُحْرَم عرب الشمال من فن الكتابة على شيوع الأمية فيهم ، فإن النصاري في العراق والجزيرة علَّموا جيرانهم الخط المعروف بالجزم[2] ، وله صلة بالآرامي النبطي فكانت الكتابة العربية في الأنبار والحيرة وما جاورهما ، وكذلك النصارى الأنباط[3] في فلسطين الثالثة[4]. علموا من جاورهم من عرب الشام الخط النسخي الجليل المتفرع من الجزم . وتعلم بعض القرشيين خط الجزم من نصارى الحيرة في رحلاتهم التجارية إلي العراق ، فحملوه إلي مكة ، فظهرت فيهم الكتابة قبل الإسلام ، وظهرت أيضاً في يثرب والفضل في ظهورها إلي اليهود .

ولم يختلق الشماليون نقوشاً حجرية بلغتهم العدنانية الخالصة كما خلف الجنوبيون بلغتهم القحطانية ، إلا ما كان من الآثار التي وجدت في حوران ، مكتوبة بلغة نبطية تغاير أحكام اللسان العربي في كثير ألفاظها وتراكيبها .

وبقي العرب لأول الإسلام لا يجيدون الكتابة ، ولا يسلمون من الغلط في الإملاء كما تدل المصاحف التي رسمها الصحابة بخطوطهم حتى نزلوا الكوفة والبصرة .

احتاجت الدولة إلي الكتابة ، فعنوا بإتقانها ، وكتبوا بالخطين النسخي والكوفي ثم ترقت الخطوط بعد الفتوح الكثيرة ، وتشعبت فروعها في بغداد وافريقيا والأندلس إلي

---

(1) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام : بطرس البستاني ، ج1، طبعة دار نظير عبود 1989م بيروت ، ص34– 36.

(2) سمي العرب خطهم بالجزم لانه جزم من الارامي النبطي ،أي اقتطع لا كما توهم مؤرخو العرب أنه جزم من المسند .

(3) الأنباط قوم خليط الآراميين والعرب ظهروا في القرن الخامس قبل الميلاد وقامت لهم دولة مستقلة في القرن الثاني ، حتى تغلب عليها الرومان في أوائل المائة الثانية للمسيح فجعلوا بلادهم في جملة ولاياتهم.

(4) في القرن الرابع للمسيح قسمت نواحي عبر الأردن والسلط والبلقاء والنبط والكرك ولايتين: فلسطين الثانية فحاضرتها بيسان ؛ وفلسطين الثالثه وحاضرتها سلع وهي بلاد النبط، وتعرف بالعربية الصخرية.

أن بلغت حالتها الحاضرة[1].

(1) أدباء بالعرب في الجاهلية وصدر الإسلام: بطرس البستاني ، طبعة 1989م ، دار نظير عبود بيروت ، ص 36.

المبحث الثالث

الكتابة عبر العصور

المطلب الأول : الكتابة الأدبية في العصر الجاهلي

الكتابة العربية وليدة الكتابة النبطية ، التي كانت تعيش في شمال وجنوبي الشام ، في القرن الأول قبل الميلاد ، نشأة الكتابة في الحجاز لأن أهل الحجاز قوام حياتهم التجارة وهي موارد رزقهم الأول . ولم يحتج العرب للكتابة في التجارة وحدها بل في السياسة أيضاً ، فقد عرفت مكة في جاهليتها نوعاً من الحكومة الجمهورية وكان لهذه الجمهورية دار وتسمي دار الندوة تتداول فيها الرأي في مشاكلها التجارية والسياسية والاجتماعية ، وتعقد فيها المعاهدات السياسية ، لدفع العدوان أو تأمين السبل أو تبادل المساعدات العسكرية.

وقد عرف العرب نوعاً آخراً من الكتابة ، فقد كتبوا المعلقات بماء الذهب وعلقوها على جدران الكعبة ، والكتابة العربية كانت شائعة أيضاً في مكة الوثنية ، وذلك بسبب التجارة ، حتي ليقال إن مكة كانت تفوق المدينة بعدد الكتاب ، فقد جاء الإسلام وفي مكة سبعة عشر كاتباً ، وفي المدينة أحد عشر[1] .

ومع أن المدينة موطن اليهود، وكان يظن أن أهلها أكثر معرفة بالكتابة لاتصالهم بهم، وهم أهل كتاب ولم يقتصر أمر ظهور الكتابة على هذه المواطن المتحضرة ، بل تسربت إلي البادية نفسها فعرفها أكثم بن صيفي حكيم تميم وخطيبها ، وابن أخيه حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صيفي[2] .

كاتب النبي صلى الله عليه وسلم والمرقش[3] الأكبر ولبيد بن ربيعة[4]

([1]) كتاب فتوح البلدان: تأليف احمد بن يحي بن جابر المعروف بالبلاذري ، القسم الثاني تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مطبعة لجنة البيان العربي ،ص 580– 583 .

([2]) كتاب الوزراء والكتاب : تصنيف ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري ، حققه مصطفي السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، الطبعة الأولي 1938مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده القاهرة ،ص12.

([3]) الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، ج 1، ط2 القاهرة ، دار المعارف 1967م ، تحقيق احمد شاكر، ص 210– 213.

([4]) كتاب الأغاني ابوفرج الأصفهاني ، ج 15 ، تحقيق عبدالسلام هارون ، طعبة أولي ، دار الكتب المصرية بالقاهرة 1959م ، ص361.

ولعل كثرة تشبيه الشعراء الأطلال الدراسية بالكتابة يدل على انتشارها ومعرفتهم بها وينسب الحارث بن حِلّزة الذي كان يعيش في منطقة النفوذ الفارسي الصحف للفرس فيقول :

لَمِن الديارُ عَفَوْنَ بالحُبْسِ * آياتُها كَمهارِقِ[1] الفُرْسِ[2]**

وكانوا يكتبون على الحجارة البيض والعظام وفي عُسُب النخل ،وفي الجلد والأديم ، يقول المرقش الأكبر .

الدارُ قَفْرٌ والرُسوم كما * رَقَّش في ظَهْرِ الأدِيمِ قَلَمِ[3]**

ويقول لبيد في معلقته[4]:

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها * بمنىً تأبَّدَ غَوْلُها فَرجَامُهَا**

فَمدافَعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُها* خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ[5] سِلامُها[6]**

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها* زُبُرٌ[7] تُجِدُّ مُتونَها أقْلاَمُها**

ولم يكثر ذكر الكتابة في الشعر الجاهلي وحده بل جاء في القرآن الكريم، فالقرآن يحث على تدوين الديون والمعاملات التجارية وغيرها، مما يدل على أن الكتابة كانت شائعة عندهم يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ)[8]

([1]) المهارق : نوع من الكتب يخص كتب الدين أو العهود والمواثيق والامان .

([2]) المفضليات : المفضل بن محمد الضبي ،ج1، بيروت اكسفورد 1920م ،ص263.

([3]) المفضليات ،ص485.

([4]) معلقة لبيد بن ربيعة العامري: د. يحيى الجبوري ، الناشر مكتبة الأندلس ، بغداد ، طبعة في مطابع التعاونية اللبنانية ، بيروت ، ص 162.

([5]) الوحي: الكتابة.

([6]) سلامها : الحجار البيض والعظام.

([7]) الزبر: الكتب.

([8]) سورة البقرة: الآية 282.

وكذلك يذكر القرآن أدوات الكتابة ، مثل القلم واللوح والقرطاس والصحف فيقول جل شأنه: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)[1]. ويقول : (وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ)[2]

ولعلنا نشعر بتعظيم القرآن لهذه الأدوات في قسمه بها. ومما يدل على شيوع الكتابة أيضاً دوران لفظ الكتابة بمعنى التدوين والتثبيت مثل قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ)[3] ومثل قوله عز وجل : (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)[4].

وغير ذلك من الآيات التي توحى بإنتشار الكتابة منذ زمن بعيد.[5]

---

(1) سورة القلم : الآية 1.

(2) سورة الطور: الآية 1–2–3.

(3) سورة البقرة: الآية 216.

(4) سورة المجادلة: الآية 21.

(5) نشأة الكتابة الفنية: حسين نصار، ص 21–26.

المطلب الثاني

الكتابة الأدبية في صدر الإسلام

نجد أن كتابة الرسائل في عهد النبي والخلفاء الراشدين كانت ناشئة مبتدئة، ليست لها تقاليد مرسومة أو قواعد محكمة. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملي مايخطر على باله دون تروَّ أو نظر ، ولا يستوحي غير عقلِه وقلِبه ومايريد من قصد.

ولذلك كانت لغته بسيطة خالصة صريحة لا ترتفع في شيء عن لغة الحديث إذ تقصد اللغتان إلى مجرد الإفهام .أما ما اتبعه من نُظُم في أوائل الرسائل وخواتيمها فإن هي إلاّ أمور اقتضتها الدعوة التي يبشر بها فلما جاء خلفاؤه ساروا على نظمه فاصبحت هذه النظم تقاليد مرعية ولذلك نجد رسائل عليَّ كرم الله وجهه التي يرسلها إلى معاوية يدعوه فيها إلى الطاعة تشبه كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ورؤساء العرب شبهاً كبيراً. فهذه يمكن أن نعتبرها تقاليد فنية . ولم تتطور لغة الرسائل كثيراً في هذه الفترة إذ لا تزال تهدف إلى مجرد الإفهام.

وقد ظهرت عدة ظواهر تدل على أن كتابة الرسائل تعاني حركة داخلية وانفعالاً عنيفاً يشير إلى تطور هذه الكتابة وسيرها إلى الأمام.

ومن هذه الظواهر وشيوعها وكثرتها ووجود الدواوين وانتشار هذه الدواوين في الأمصار المختلفة ، وظهور الكُتاب الخاصين بالأمراء والولاة، والإطناب بدل الإيجاز والتجمل بالاقتباس من القرآن والاستشهاد بالشعر ، والميل إلى التشخيص ، وما إلى ذلك من التجمل الطبيعي الذي لا يبلغ حد الصنعة.

وآخر القول أن هذه الكتابة لم تكن فنية بالمعنى المصطلح عليه ، ولكنها كانت تسير نحو الفن بخطى حثيثة[1].

وترى الباحثة أن التعميم في كلام دكتور حسين نصار بأن كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم غير فنية يعطى فرصة للمتقدمين والمستشرقين من التقول في

([1]) نشأة الكتابة الفنية: د. حسين نصار ، ص 59– 60.

ذلك وهذا الكلام لا يصح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم وهو أفصح العرب بيد أنه من قريش . وكتابات الرسول صلى الله عليه وسلم من أفصح الكلم هو وصحابته من بعده– الذين أرسو قواعد الكتابة الأدبية فعبد الحميد الكاتب سئل عن بلاغته قال من حفظ كلام الأصلع يقصد سيدنا علي كرم الله وجهه. إذن كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم هي أصل الكتابة الفنية.

المطلب الثالث

الكتابة الأدبية في العصر الأموي

ظهر ديوان الرسائل في أوائل العصر الأموي ، في أيام معاوية بن أبي سفيان وتطور سريعاً حتى انتشر في الولايات المختلفة ، وأوائل الكُتاب الذين تقلدوا هذا الديوان كانوا عرباً خلصاً. مثل عبيدالله بن أوس ويحيى بن يعمر. وهذا أمر طبيعي في الرسائل العربية التي يطلب فيها الخلفاء الفصاحة والإجادة اللتين لم تتوافرا في الأعاجم في ذلك الوقت ولكننا لا نلبث أن نرى الأعاجم ينافسون العرب في هذا الميدان. إذ نجدهم يتعلمون العربية ويتقنونها ويستطيعون التعبير بها تعبيراً جميلاً بليغاً. ولايزال الأمر في تطور حتى نرى ديوان الرسائل في يد الموالي في عهد هشام بن عبدالملك. إذ يتقلده مولاه سالم وابنه وتلاميذه الذين يعتبر عبدالحميد الكاتب وهو مولى أنبغهم. فديوان الرسائل نشأة عربية خالصة ، ولكنه في أثناء سيرة أمدته روافد فارسية ويونانية على يد الموالي الذين أتقنوا اللغة العربية، وعبروا بها شعراً ونثراً. ومما لاشك فيه أن هؤلاء الكتاب طوروا الكتابة تطويراً كبيراً ، إذا اتخذوها مهنة لهم ، يجودون فيها ويحسنون، حتى يبلغوا أعلى المراتب. وما كان الكاتب منهم مستطيعاً أن يتقلد ديوان الرسائل إلاّ إذا أظهر البراعة وأبان عن جمال في كتابته وتفنّن في إسلوبه . وهكذا تصل الكتابة الي الفن الصحيح عندهم .ونستطيع دون جدل أن نطلق علي كتاباتهم اسم الكتابة الفنية ومما يدل علي ميلهم الي التجمل والتزين وإن أول من كتب من الخلفاء في الطوامير الوليد بن عبدالملك وأمر بأن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي يكتب به. فلما تعلم الموالي اللغة العربية وبرعوا فيها لينافسوا العرب في وظائفهم قابل العرب هذا الصنيع بالمثل ، مما سما بالكتابة الي الدرجات العلي في هذة الفترة من تاريخها ، فنحن نري أن كتابة الرسائل في العربية كانت سريعة التطور لم يسايرها اي فرع آخر من فروع الأدب[1].

وخلاصة القول ترى الباحثة أن الكتابة الفنية عند العرب لم تأتيهم من الخارج ،فقد

([1]) نشأة الكتابة الفنية : د. حسين نصار ، ص 68– 70.

نشأة في حجورهم بحكم حياتهم الإسلامية والسياسية الجديدة ومشاكلها المختلفة ،فالأجانب لم يبتكروها لهم ،بل كل ما هناك أنهم اسهموا معهم فيها ، وتأخر هذا الإسهام الي أن ظهر سالم وعبد الحميد وابن المقفع وغيرهم من الكُتاب.

المطلب الرابع

رسائل عبدالحميد الكاتب

1- رسالة عبدالحميد إلى الكُتّاب:

رسالته إلى الكتاب من أشهر ماعرف لعبد الحميد فلا مدخل للطعن في نسبتها إليه، وهي وصلتنا كاملة كما صّرح بذلك الجهشياري ، إذ يقول إنه نقلها من خط ميمون ابن هارون ، وهي متوسطة الطول، وهي فذة في نوعيتها وغايتها، وهي حتى حين تعد ديوانية فإن فيها مجلى لشخص كاتبها ونظرته إلى الحياة وتقيمتها للناس وعلاقاتهم. وعبدالحميد هنا يخاطب الفئة البيروقراطية أو عامة موظفي الدولة وهم متفاوتون في مدى إحسانهم للترسل. ولعل هذه الرسالة لا تكشف عن كثير من خصائص عبدالحميد الأسلوبية على الرغم من أنها تظهر فيها عنايته الفائقة بألفاظه ، وأنه كان أحياناً يأتي بالسجع الجميل غير المتكلف.

كما تظهر فيها موسيقية أسلوبه وجمال عبارته – ولكن الرسالة إذا كانت فقيرة في هذه الناحية فإنها تكشف لنا عن نواح أخرى هامة في شخصية عبدالحميد من حبه للوصف والتصوير– وتكشف الرسالة أيضاً عن تأثر عبدالحميد بالثقافات والنظم الفارسية ، ويظهر ذلك واضحاً في الأداب التي يوصي الكتاب بالتزامها. وهذه الرسالة ذات أهمية كبيرة في نظر دارس الأدب العربي وخاصة حركة التأليف. وقد أثرت هذه الرسالة في المؤلفين بعد عبدالحميد– فمنهم من أخذ فرعاً من هذه الثقافة فألف فيه، مثل ابن قتيبة الذي تناول الناحية اللغوية في (أدب الكاتب) ومنهم من تناول الثقافة الخاصة ، مثل الصولي في (أدب الكُتّاب) ومنهم من تناول الآداب الثقافية والآداب الأخلاقية جميعاً ، مثل القلقشندي في (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) ، ويصرح القلقشندي في الفصل الذي عقده لآداب الكتاب الخلقية فيقول: (أصل هذه الآداب الذي ترجع إليه، وينبوعها الذي تفجرت منه رسالة عبدالحميد بن يحيى الكاتب التي كتبها إلى الكُتّاب يوصيهم فيها)[1]

---

[1] صبح الأعشى: للقلقشندي ، ج1 ، ص 85.

هذه رسالة جميلة وسر جمالها في روحها العامة ونظامها وأسلوبها . فأما نظامها فقد وجدنا أنها محكمة الترابط والتسلسل وكل فكرة فيها تستدعى مابعدها على نحو منطقي. أما روحها العامة فهي من حيث غايتها دعوة إلى الجماعة والوحدة والتعاون ، ونموذج للتآخي والتآزر. وتبدو النزعة الإنسانية واضحة في كل جزء منها. كما أن التركيز على إيجاد الكاتب النموذجي يتخللها من أولها إلى آخرها وهذه الرسالة تصور مشاعر كاتبها تصويراً دقيقاً لذلك غلب على أسلوبها الإعتدال فلا إسراف في الإزدواج ولا حماسة تمويهية في التكثيف. إنها تمثل الإعتدال الكلاسيكي في الأسلوب والخلق والروح العامة[1].

2- رسالته إلى ولي العهد:

كتبها عبدالحميد عن مروان بن محمد إلى ابنه عبيدالله حين وجهه لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي[2]. وهي تقع في قريب من أربعين صفحة من كتاب صبح الأعشى ولذلك نجد خصائص عبدالحميد تنبسط فيها وتنتشر ، فتظهر واضحة ماثلة.

وعبدالحميد في هذه الرسالة ذو تفكير منظم منطقي ، يقسم كلامه فقرات منفصلة كل منها يؤدي فكرة منفصلة عن الأخرى وإن جمع هذه الأفكار السياق العام.

فنراه يبدأ بمقدمة يبين فيها غرض الرسالة وما يتعلق به. ثم يقسم الرسالة إلى قسمين كبيرين ، يتناول الأول الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها ولي العهد في سيرته عامة، ويتناول الثاني سياسة ولي العهد في الجيش و تنظيمه. ثم يأخذ القسم الأول فيقسمه قسمين: يعالج الأول منهما آداب ولي العهد وعاداته، ويعالج الثاني آدابه في حاشيته ، وآداب الحاشية ذاتها و كذلك يقسم القسم الثاني إلى جزئين: الأول منهما في سياسة الجيش العامة والثاني في تنظيمه الداخلي.

([1])عبدالحميد الكاتب: إحسان عباس ، ص 188.

([2]) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ، ج2 ، المكتبة العلمية بيروت، لبنان ، ص 406. وصبح الأعشى : للقلقشندي ، ج1 ، ص 195. وابن طيفور : إختيار المنظوم والمنثور ، ج12 ، ص 202.

رسالة عبدالحميد إلى ولي العهد ، ذات أهمية كبيرة في تاريخ حركة الكتابة والتأليف في الأدب العربي ، فهي تبين لنا جميع مزايا عبدالحميد الكتابية. وأول ما يظهر فيها عقله المنطقي الذي يقسم الموضوع إلى أفكار جزئية ، ويخص كل فكرة بفقرة خاصة من الكلام . ويظهر فيها تأثر عبدالحميد بالثقافة اليونانية والفارسية. و ربما هذا العقل المنطقي طبيعة فُطر عليها دون أثر من يونان أو فرس ، فقد صار طبيعة صبغت كتابته بخصائص كثيرة مثل النظام والوضوح والدقة. ومن الأمور التي تضفي على هذه الرسالة أهمية زائدة دلالتها على ثقافة مؤلفها الواسعة الشاملة التي توحى إلينا بما كان معروفاً في المجتمع الإسلامي من آداب وثقافات ومصارف فعبد الحميد في هذه الرسالة إمام من أئمة الكتاب، يُعْني بأفكاره فيستجلبها من الثقافات المختلفة ويدقق فيها ويرتبها. ويُعْنيَ بأسلوبه فيوفر له الجمال الموسيقي الذي يثير اللذة في القاريء والإعجاب بالكاتب[1].

وهذه الرسالة لها أهمية أخرى في تاريخ الكتابة الفنية العربية ، إذ تقف وحدها علماً بين العهود التي قبلها والتي بعدها. وإذا نظرنا إلى عهود الصدر الأول من الإسلام نجدها مختصرة وموجزة لا تعدو النصائح الدينية.

3- رسالة الصيد:

هذه رسالة أخرى من رسائل عبدالحميد تكشف لنا عن نواح أخرى فيه. كتب يصف رحلة صيد للخليفة[2]. ويظهر في هذه الرسالة ميزة أخرى، لعلها لا تظهر في رسائله الأخرى بهذا الوضوح ، تلك هي واقعيته ، وتحريه الدقه في وصف الواقع، حتى لتراه يصف رحلة الصيد، ومامر به من أراضي في سيره. وهذه الرسالة مهمة لأنها تكشف لنا عن إحساس مرهف عند عبدالحميد ، فنراه يحس بالطبيعة إحساساً شديداً و يحاول أن يرسمها كما يراها ويحسُ بها فهو رسم واقعي صادق شامل ملم للأطراف والتفاصيل. وقد رأينا أهمية كتاب عبدالحميد السابق دلالته على ثقافته

---

(1) نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: د. حسين نصار ، ط2 ، 1966م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ص 134- 147.

(2) جمهرة رسائل العرب : احمد زكي صفوت ، ج2 ، ص 544.

العامة، ومن العوامل التي تجعل هذه الرسالة الراهنة هامة في نظر دارسي الأدب العربي وعبدالحميد خاصة، دلالتها على ثقافته العربية. فهي تدل دلالة واضحة على اطلاع واسع على الشعر العربي القديم وطردياته خاصة. وهضم لأوصاف هؤلاء الشعراء. ثم مشاركة من عبدالحميد للمطاردين والصيادين. فهذه الرسالة لا يستطيع أن يخرجها إلاّ من أكثر قراءة الطرديات القديمة ، وعانى الصيد ولاقى متاعبه وأهواله وملاذه و متعه.

4- رسالة إلى العصاة:

ولدينا رسالة أخرى لعبدالحميد تظهر فيها خاصة لم تظهر في رسائله الباقية، تلك الرسالة التي كتبها إلى بعض من خرج عن الطاعة[1].

فنجد عبدالحميد في هذه الرسالة يلتزم السجع التزاماً شديداً ، لم نره عنده في رسائله الأخرى، مما قد يجعل شيئاً من الشك يتسرب إلى نفوسنا في صحة نسبه هذه الرسالة إليه ، غير أن هناك بعض الفقرات من الوسائل الأخرى تحد من إزدياد هذا الشك. فإننا نرى هذا السجع الملتزم أو مايقاربه في رسالته إلى العرب حين فاض العجم من خراسات بشعار العباسيين الأسود. ونجد السجع كذلك في رسالته إلى أبي مسلم الخراساني بدأ بها في لو أراد الله بالنملة صلاحاً ، لما أنبت لها جناحاً . فإن هذه القطعة لو كانت صحيحة تدلنا على أن عبدالحميد كان يولع بالسجع أحياناً ، وخاصة في كتبه إلى الثوار والخارجين عن الطاعة[2].

5- رسالة الشطرنج:

من رسائله المفردات رسالته في الشطرنج والتنفير من اللعب به، وعبدالحميد في رسالته هذه أشبه الوعاظ والفقهاء بلهجته، فقد رأيناه يكسو كلامه حله من الزهد ، ويدخل مُدخلاً دينياً يورد فيه البراهين على قضيته ، لينزع من النفوس حب التلهي بلعب يقطع صاحبه عن العمل ، وذكر لهم أن اللاعبين بالشطرنج يذكرون خلال

---

(1) أمراء البيان : محمد كرد علي ، ج1 ، ص 55.

(2) نشأة الكتابة الفنية: حسين نصار ، ص 161- 162.

لعبهم ألفاظاً لا يليق بالألسن ترادها ، ولا بالأسماع أن تنصت إليها ، وعرفنا من رسالته بعد هذا أناساً من المنظور إليهم من الفقهاء وغيرهم من الأئمة ، كانوا مولعين بهذا اللعب منذ أوائل القرن الثاني[1].

6- رسالته في وصف طغيان الفرات:

في هذه الرسالة يبعد الكاتب عن الألفاظ المألوفة، فيعتمد إيراد ألفاظ ذات دلالة تصويرية بصوتها، وهذا واضح من أول جملة في الرسالة. وتكاد كل لفظة في هذه العبارة أن تنقل إلى أسماعنا صورة الفيضان الهائل. وهنا يعتمد الكاتب على ثروة لغوية ليتمكن من التوزيع حتى حين يريد نقل صورة واحدة. بمعنى واحد جعلته يعتمد على ذخيرته اللغوية يستمد منها ما يشاء. هذه رسالة فريدة ، وتقاربها ولكن لا تبلغ مبلغها رسالته ، في وصف الصيد وذلك للفرق الأساسي بين الرسالتين فالأولى تصور الطبيعة الثائرة الغاضبة، والثانية تصور الطبيعة الحانية المواسية. ولكنه كلاً منهما تشير إلى كاتب قدير يضع كل محتوى في الشكل المناسب له[2].

7- رسائله في خلافة مروان بن محمد وعبدالحميد الكاتب الأول في الدولة:

تستأثر هذه المرحلة بأكثر ماوصلنا من رسائل ، تتناول شؤوناً مختلفة ، وفي مقدمتها الرسائل التي تتحدث عن الفتن ، لأنها تتحدث عن ظهور أحد الخوارج ، وهم كثر ثناء خلافة مروان، وهي موجَّهة إلى حرب الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، ثم الرسائل التي كتبت متصلة بثورة أبي مسلم في خراسان. ورسالة إلى عبيدالله بن مروان في خلاف نشب بينه وبين زوجته عائشة بنت هشام ، ورسالة إلى ابن هبيرة لأنه أساء إلى بعض الأمويين ، ورسالة إلى ابن البحتري فيما كان من سخط مروان عليه. ورسالة عبدالحميد إلى أهله وتعد من آخر ما كتب ، إن لم تكن الأخيرة بين جميع ماخطه من رسائل.

وهنالك رسائل لم نستطع أن نضعها في سياقها الزمني على نحو حاسم، فمن ذلك.

---

(1) أمراء البيان: محمد كرد علي : ج1 ، 61.

(2) عبدالحميد ابن يحيى الكاتب: د . إحسان عباس ، ص 173- 175.

رسالة إخوانية ، ورسالة يتحدث فيها عن مولود له ، ورسالة أخرى إلى أخ له يغبطه على أنه رفض الوظيفة . ورسالة له عن مروان إلى أخيه، وكذلك رسالته في التوصية والتعزية ، ورسالة في وصف الإخاء ، وله في السلامة ، وله في عتاب صديق ، وله في التحميدات في الفتوح والانتصارات[1]. ومن نظر إلى تنوع الموضوعات وجد أن نثر عبدالحميد كثير التنوع وأن أسلوبه يتفاوت بحسب المضمون ، وهذا التنوع في الموضوع والأسلوب أحل عبدالحميد منزلة خاصة في نفوس معاصريه ، وفي طبقة الكُتاب بعده على وجه الخصوص، ولهذا ظلّ في نفوسهم مضرب المثل في البلاغة والكتابة.

(1) عبدالحميد بن يحيى الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 68– 69.

الفصل الثالث

الموازنة بين الكاتبين

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول

الموازنة الأدبية

المطلب الأول: تاريخ الموازنة الأدبية

الموازنة بين الأشياء والآراء أصل من أصول البحث العلمي ذي الآثار الهامة في العلوم والفنون ، يعمد إليه علماء النبات مثلاً فيقارنون كل نوع نباتي بأخر لمعرفة أوجه التشابه والتقابل بينهما توصلاً إلى التعرف على كل نوع و تحديد خواصه العنصرية وآثارها. وكذلك يعمل علماء الطبيعية والكيمياء بالعناصر والأحماض والفلاسفة بالآراء والنظريات، والمؤرخون بالحوادث والعصور، والجغرافيون بالبيئات والأقاليم ، والفنيون بالأدب والرسم و التصوير والموسيقى وبالألوان المختلفة والألحان المتباينة والعناصر البيانية والقطع الفنية. وطبيعي أن تدخل الموازنة ، باب الدراسة الأدبية نقداً وتاريخاً للفرق والمقابلة بين عناصر الأدب وفنونه وعصوره ورجاله قصد الإيضاح أو الترجيح[1].

وقد ظهرت الموازنة الأدبية مبكرة في تاريخ الأدب العربي وبقيت تسايره على مرّ العصور إلى اليوم. وستبقى دائماً من وسائله النقدية والتاريخية.

وقد عرف النقد الأدبي الموازنة بين الشعراء من لدن الجاهلية حيث كانت بسيطة و ساذجة[2].

فإذا صح ماروى من قصة أم جندب وموازنتها بين أمرئي القيس وعلقمة الفحل في وصف الفرس، ومن أن النابغة الذبياني كان الحكم الأدبي بين شعراء عكاظ دلنا ذلك على أن الموازنة كانت أساساً للمفاضلة منذ الجاهلية ، وكانت مدرسة الحطيئة وكعب ابن زهير مقابلة لمدرسة الشماخ وأخيه مزرد[3].

ففي صدر الإسلام كانت الموازنة بين القرآن الكريم وكلام العرب ، وكانت بين

([1]) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية 1942م ، ص 280.

([2]) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري:د. مصطفى عليان عبدالرحيم، ط1 ، 1984م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 235.

([3]) طبقات الشعراء الجاهليين: محمد بن سلام الجمحي ، طبعة القاهرة 1965م ، مكتبة الثقافة العربية، ص 22.

شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبائه من ناحية وشعراء الوفود وخطبائهم من ناحية أخرى. ويذخر العصر الأموي بالموازنة بين فحول الشعراء والغزليين والسياسيين وبين الخطباء و الأدباء جميعاً فخلف لنا ذلك ثروة نقدية قيمة على الرغم من تأثرها بالعصبيات والأهواء والأمزجة[1]. وقد لازمت هذه الظاهرة تطور في العصور التي تلت، فأصبحت في العصر الأموي تميل إلى الأغراض التي طرقها الشعراء قله وكثرة ، أو تتناول قصيدتين اتحدتا في الموضوع والوزن والروى ، أو بين بيتين يجمعهما غرض شعري واحد ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى الموازنة بين شعراء المذهب الشعري الواحد[2].

أما في العصر العباسي الأول فقد بدأ هذا الفن نشيطاً بين بشار بن برد ومروان ابن أبي حفصة ، وبين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية وأبي فراس ، ثم البحتري وأبي تمام ، وبين المتنبي وخصومه، وبين ابن المقفع وعبدالحميد الكاتب، وبين البديع والخوارزمي و بين الفلاسفة وعلماء الأدب ورجال الدين والفن وبين الشعر والنثر والكتابة، واللفظ والمعنى وبين الفكرة والفكرة والخيال والخيال وبين الأشياء والأحياء ، وفي كل ماهو صالح لهذا الضرب [3]. والذي أكسبها هذا التطور هو مساهمة علماء اللغة والأدب والنقد، فكان أن اتخذ هؤلاء جودة الشعر وكثرته مقياساً إضافياً لما سبق في الموازنة.

أما في القرن الرابع فقد اتسمت الموازنة بالإحاطة بالنص من جميع جوانبه اللغوية والنحوية والبلاغية والفلسفية والذوقية ، كما تميزت بعرض آراء نقدية في جودة الشعر ورداءته ، كما أكسبها هذا الطابع ناقدان هما: القاضي الجرجاني و الحسن بن بشر الأمدي اللذان التقيا– على الرغم من التباين في المنهج – عند الذوق المثقف ومذهب الأوائل فيما أصدره من أحكام.[4]

([1]) أصول النقد الأدبي : احمد الشايب ، ص 280.

([2]) تيارات النقد الأدبي في الأندلس : مصطفى عليان ، ص 235.

([3]) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب ، ص 281.

([4]) تيارات النقد الأدبي في الأندلس: د. مصطفى عليان، ص 235.

المطلب الثاني

الموازنة عند القدماء والمحدثين

نجدها عند الأمدي في كتابه (الموازنة) فاضل بين البحتري وأبي تمام لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما وذكر خواص كل منهما مع ميله إلى البحتري وإن حاول إخفاء ذلك والبراءة منه، وقد حاول أن يتخذ للموازنة وضعاً أو صورة دقيقة يعقدها بين قصيدتين من شعرهما إذ اتفقتا في الوزن والقافية ولكن هذا لا يكاد يتفق مع المعاني التي يقصدان إليها[1].

أما الجرجاني في كتابه (الوساطة) فقد عزا النبوغ في الشعر إلى الطبع والرواية والدربة – ووازن – على هذا الأساس– بين القدماء والمحدثين فوجد حاجة المحدثين إلى الرواية أمس وإلى كثرة الحفظ أفقر. ووازن بين أساليب الشعر من حيث دلالتها على اختلاف الطبائع والخلق وتنوعها حسب الفنون الشعرية المختلفة (وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبّه فقارب ، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والإستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض)[2].

وابن الأثير في كتابة (المثل السائر) يفضل الموازنة القائمة على مقصد يشتمل على عدة معانٍ فذلك أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد، وبذلك يكون ابن الأثير قد عُنى بمسألتين أوسعتا أفق الموازنة. عدم الوقوف عند المعنى المفرد، وعدم لزوم الوحدة الفنية أو الموضوعية. وينتهي كتابه بمسألتين أخريين: الموازنة بين الكتابة والشعر ، وبين الشعر العربي والفارسي في اشتمال الثاني على فن القصص تمثله شاهنامة الفردوسي[3].

([1]) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: الآمدي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ص 11–384

([2]) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ص 33–34.

([3]) المثل السائر: ابن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين ، ج2 ، المكتبة العصرية ، صيدا بيرون 1990م ، ص 393.

أما الموازنة عند المحدثين ونجد ومن المعاصرين الذين كتبوا في الموازنة الأستاذ: قسطاكي الحمصي الحلبي في كتابه (منهل الورّاد في علم الإنتقاد) وعنده أن النقد السديد على درجات ثلاث: الشرح والتبويب والحكم، وقد وازن بين نصوص شعرية في أشهر فنون الشعر موضحاً آراءه. ولصحة الحكم على الأدب قواعد خمسة: نقد القائل ، والقول والمقول فيه ، والزمان والمكان. وبث الحكم يكون بالترجيح أو بترتيب الشيء وتحديد درجته وتعيين طبقته[1].

ومنهم الأستاذ الدكتور زكي مبارك في كتابه (الموازنة بين الشعراء) فقد ألم في قسمه الأول بأهواء النقاد ودعا إلى وجوب البراءة منها لأن النقد نوع من القضاء، والموازنة عنده نوع من النقد والوصف ، وعلى الموازن أن يعرف حياة من يوازن بينهما ويصل بين نفسه ونفسيهما لأن الأديب يؤدي رسالته في جيل خاص وبيئة خاصة ، وأن يوسع أفق النقد وأن يكون واضحاً ذا ذوق سديد. وعليه في الموازنة بين الشعراء أن يدرس نواحي اشتراكهم وافتراقهم وابتداعهم وأخذهم ، إلى غير ذلك.

ثم عرض في قسمه الثاني أمثلة تطبيقية نافعة[2].

المطلب الثالث

الأصول اللازمة لعقد الموازنات الأدبية

هذا العرض التاريخي السريع ، يعيننا على وضع الأصول اللازمة لعقد

([1]) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب ، ص 286.

([2]) الموازنة بين الشعراء: د. زكي مبارك، ط2 ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1936م ص 3-17.

الموازنات الأدبية بين الكتاب والخطباء والشعراء ، وهي تتراءى في ناحيتين:[1]

الناحية الأولى: شروط الناقد الموازن:

الشروط اللازمة للناقد حين يوازن بين عصرين أو فنيين أو أدبيين أو كتابين أو أسلوبين أو معنيين إلى غير ذلك فإن الدكتور أحمد الشايب يحددها بقوله:

يجب أن يتوافر له من كفاية ، ونزاهة أدبية ، وخطة عملية ونريد هنا ما يتصل بفن الموازنة وأهم ذلك مايلي:

1- أن يكون ملماً بسيرة كل ممن يوازن بينهم من الكتاب والشعراء والمؤلفين وما توارد على كلٍ من أطوار الحياة ، واحداث الزمان والمزاج الغالب عليه وكيف درس و ماذا كان يعمل ، فذلك ينفعه سواء أكانت موازنة تفسيرية يقصد بها الإيضاح أم ترجيحية تنتهي بتفضيل طرف على آخر... ويظهر ذلك حينما توازن بين الأعشى وزهير ، وبين جميل وعمر ابن أبي ربيعة، وبين جرير وصاحبيه، ... فلكل مره هؤلاء حياته الخاصة التي طبعت آثاره طابعاً خاصاً إذا عرفها الناقد استطاع أن يفسر بها ما يميزه من زميله أو يعرف فضله عليه في كل فنونه أو في بعضها.

2- وأن يتبين النواحي التي اشترك فيها الأديبات والآثار الأدبية التي اختلفوا فيها ، ثم ينتقل إلى الأفكار والأخيلة والأساليب وإلى الموضوعات التي تناولتها الكتب ، والأغراض التي ترمى إليها القصص وطرق الأداء لتكون موازنته شاملة فكتاب الأدب الخاص غير كتاب التاريخ ولكل من جرير والفرذدق فخر وهجاء ورثاء ومدح، و مع ذلك فبينهما فروق في هذه الفنون التي اشتركوا فيها، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، يخالف طبقات الشعراء لابن سلام على وحدة موضوعهما، ولكل من الجاحظ وابن خلدون كتاب ولكن بينهما من الفروق كثير. وذلك من شأنه أن يشرح ميزات، كل ويعين على الإيضاح والإنصاف.

3- ولا بد من معرفة مبتكرات كل وسرقاته وكيف أخذها ومقدار مايفرقه من زميله في ذلك ومايصله به، وذلك يظهر أكثر إذا اتحدث الموضوعات والفنون الأدبية شعراً

---

(1) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب ، ص 287.

ونثراً ، وخطابة أو تأليفاً ، فليس من شك أن هناك صلة مابين عمر بن الخطاب وزياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي في الخطاية السياسية ، وبين أبي تمام والبحتري في فنون الشعر ومعانيه، وبين عبدالحميد الكاتب وابن المقفع في الكتابة الأدبية، وكل من تأخر أخذ من سابقه ثم إمتاز بأشياء طريفة كما هو مفصل في كتب النقد التي ذكرت. وهؤلاء الكتاب والعلماء والمعاصرون بينهم من التواصل والتقابل في الأفكار والأساليب والمناهج ماهو معروف. وذلك كله يتضح في الموازنة بين العصور الأدبية والتاريخية ، فكل خواصه التي تميزه وإن كانت كلها قائمة على الأدب وفنونه ورجاله أو على العوامل السياسية والإجتماعية التي تحيل الحياة وتدفع بالشعوب في طريق الحياة أو الممات.[1]

الناحية الثانية: الأوضاع اللازمة لصحة الموازنة:

أما الأوضاع اللازمة لعقد هذه الموازنة فكثيرة متنوعة ولكنها جميعاً تعود إلى أصل واحد هو أن طرف الموازنة لا بد أن يكون بينهما إتفاق من ناحية واختلاف من ناحية أخرى، فالأشياء المتفقة في كل شيء على فرض وجودها لا معنى للموازنة بينهما إذ هي شيء واحد مكرر الصورة والأشياء المختلفة في كل شيء على فرض وجودها، لا معنى للموازنة بينها كذلك إذ لا مناسبة تقرن بين أفرادها ، فالليل والنهار يتفقان في أنهما وحدتا الزمان ومقياس ويختلفان فيما يلابس كلا منهما نور وظلمة وظهور كواكب ومغيب أخرى، ولعل المرجع لذلك كله هو(وحدة الحياة) في أصولها الأولى ثم إختلاف مظاهرها إختلافاً متباين الدرجات والأشكال ويمكن عرض بعض الأوضاع لشرح هذا الأصل العام فيما يلي:

1- توافر الميزة وحده كافٍ لعقد موازنة بين شيئين مهما يختلفا ويتباعدا وذلك يسمح بالموازنة بين العالم والأديب، وبين السياسي والاقتصادي وبين الخيرِ والشرير من كل ذي أثر في الحياة كما يوازن بين عصور الرقى والانحطاط وبين أنواع الثقافات ومختلف الشعوب والبيئات ، وبين الآداب والحضارات.[2]

---

(1) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب ، ص 285-289.

(2) المرجع السابق ، ص 289.

2- يلي ذلك اتحاد الموضوع بين الطرفين، وهذا هو مايجعلنا نقرن عالماً بعالم، و فنياً بفني ، وكاتباً بكاتب، وشاعراً أو خطيباً أو روائياً بنظيره. وهنا تكون جهة الإتحاد أقرب وأوضح ، وتسهل على الناقد مهمته ، كما نوازن بين جرير والفرذدق ، وبين ابن سينا والفارابي، وبين الجاحظ وابن خلدون ، وبين علي ومعاوية ، وبين عبدالحميد الكاتب وابن المقفع ، وبين سيبويه وبن هشام ، وبين الطبري ، وابن الأثير وبين السكاكي والجرجاني.

3- وبعد ذلك كله تكون الوحدة في باب بعينه من أبواب الفن ، كما نوازن بين الغزل الجاهلي والإسلامي أو بين عمرو وجميل في هذا الفن وهكذا.

ونصل أخيراً لعناصر الأدب من خيال وأفكار وعبارات... ونلاحظ أن الموازنة بين هذه العناصر قد غلبت على النقد العربي القديم وكانت الآراء النقدية تدور حولها وإن لم تنس الإشارات العامة إلى الفنون والأشخاص والبيئات و العصور[1].

هل تقع الموازنة بين أهل الأعصر المختلفة أم لا؟

ويجيب على هذا السؤال الدكتور عباس حسن ويدلل عليه بقوله: (وآثار هذه الطريقة أنها تزيل شبهه الذين يزعمون أن الموازنة لا تكون إلا بين أهل العصر الواحد، والبيئة المتشابهة، ولا تقع إلاّ بين من اتحدث أوصافهم زماناً و مكاناً وملابسات ؛ فذلك وهمٌ قائلٌ ، إذ لا ضير من الموازنة بين من اختلفت أحوالهم وبيئاتهم ، مادام المرجع الأخير في الموازنة للأصول العامة التي لا تتغير، والقواعد الثابتة التي لا يكون الأدب أدباً بغيرها ، ولا ينالها على وجه الزمان تغيير. فهل تتغير بتغير العصور خصائص الألفاظ ومزاياها، ومحاسن المعاني وجمالها، وأركان الشعر ودعائمه وصوغ الأسلوب ووسائل اتساقه؟

إن ما يتغير من ذلك لا يصيب الصميم من تلك الدعائم، وإنما يصيب ذيولها وأطرافها خضوعاً لدواعي كل عصر ومقتضياته، وهي لا تعدو المظهر والشكل دون الجوهر واللب ؛ فهذان ثابتان ، ما عداهما لا يثبت على حال. فالقواعد الكلية

---

(1) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، ص 290.

والأصول العامة فيها من المرونة واللين مايساعدها على أن تستجيب لدواعي كل عصر وتتسع لحاجاته البلاغية.

ويعزز هذا الرأي بقوله في موضع آخر: لهذا رأينا الموازنات تقع بين أهل العصر الواحد والعصور المتباينة ، رأيناهم يوازنون بين زهير والنابغة ، أو غيرهما من عصر الجاهلية، وبين جرير والفرذدق والأخطل وغيرهم من العصر الأموي ، وبين البحتري والمتنبي وسواهما من العباسيين ، كما يوازنون بين أبي نواس والنابغة ، أو بين مسلم وزهير أو بين بشار وأمرئ القيس . وهؤلاء مختلفون في عصورهم و بلادهم. إذ يجب علينا أن نوازن بين شوقي والمتنبي[1].

وبعد هذا الطرح الوافي لأجد مشقه في أن أعقد موازنه أدبية بين عبدالحميد الكاتب وابن المقفع ، واتمنى أن أوفق في هذا العمل وأن أكون أهل له. وعند قيامي بهذه الموازنة سوف أجمع بين منهج القدماء والمحدثين، ليخرج العمل على أكمل وجه وأحسن صوره ليشمل كل القضايا المتصلة أو متعلقة بالكاتبين.

([1]) المتنبي وشوقي : عباس حسن ، مطابع دار المعارف القاهرة مصر ، 1964م ، ص11.

المطلب الرابع

أنواع الموازنات الأدبية

الموازنات الأدبية ثلاثة أنواع:

1- الموازنة بين الأدباء 2- الموازنة التاريخية 3- الموازنة الفنية

أولاً: الموازنة بين الأدباء:

وأهم مقاييس الموازنة بين الأدباء أن الأسلوب أساس حيوي في تفضيل الشاعر على غيره. والتصرف بالمعاني ولا يقل التصرف بالمعاني عن الأسلوب. ويرتبط هذان الأساسان بمقدرة الشاعر على التصرف في الأغراض الشعرية. وكان الإبتكار والسبق في المعاني مما يُعُدُ في تفضيل الشاعر وتَمَيُزِهِ ، فامرئ القيس مقدم على غيره لأنه ؛ مؤسس الأساس وبنيانه ، وكانوا يقولون أسيلة الخد حتى قال أمرؤ القيس: اسيلة مجرى الدمع..، ولم يكن قبله من فطن لهذا وبنى من بعده على هذه الإشارات فحسنت بها أشعارهم.

والموازنة بهذه المقاييس معروفة من خلال ماطرحه نقاد القرن الثاني الهجري مثل أبي عمرو ابن العلاء والأصمعى ، وأبي عبيدة والفراء حين اعتمدوا مبدأ القدرة على التصرف في فنون الشعر، وخاصة المدح والهجاء، وأثروا الابتكار والسبق ومتانة البناء اللغوي، في التراكيب في تقديمهم الشعراء[1].

ثانياً: الموازنة التاريخية:

الموازنة التاريخية هي موازنة ترمى إلى تتبع المعاني عند الشعراء، والمفاضلة بينهما بالنص على من زاد فأحسن، أو تناول فأبدع وقد تجاوزت هذه الموازنة جانب التأجيل إلى الحكم النقدي بالإستحسان والتفضيل. والإبانة عن جودة المعنى الأصلى ، والتنبيه على ما ابتذل من المعاني ، والكشف عن اتجاهات الشعراء في تهذيبها ، وتذوق المعاني بالإشارة إلى بدائعها، وتعيين أفرادها والإشادة بمستحسنها.[2]

([1]) تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، ص 239.

([2]) المرجع السابق ، ص244 .

ثالثاً: الموازنة الفنية:

ويمكن تقسيم الموازنة الفنية إلى قسمين:

1- الموازنة بين معنى ومعنى.

2- الموازنة بين شاعر وشاعر.

الموازنة بين معنى ومعنى وقد حدد معالم هذا النوع تياران: الأول طريقة العرب (عمود الشعر) جعل الآمدى عمود الشعر مذهب الأوائل ميزاناً في تفضيل الشعر وإليه ذهب وعدد من أسسه التي كانوا يفضلون بها ، الإلمام بالمعاني وأخذ العفو منها مع جودة السبك وقرب المأتي.[1] وفصل القاضي الجرجاني ذلك بقوله: كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزاله اللفظ واستقامته،....[2]

الثاني مذهب المحدثين (البديع): مع وضوح تيار عمود الشعر في الموازنة بين المعاني فقد جنح بعض النقاد إلى إعتماد بعض الأسس التي قام عليها مذهب المحدثين، والتي جِمَاعُها البديع ، وغرابة المعنى وندرته.[3]

الموازنة بين شاعر وشاعر: وأهم الموازنات التي أجريت في هذا المجال الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ، والموازنة بين المتنبي وأبي العلاء المعرّى للبطليوسي، ويرجع تاريخ هذه الموازنات إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة. أما الموازنات في العصر الحديث فأبرز من قام بهذا النوع من الموازنات الدكتور طه حسين في كتابه (حافظ وشوقي) والدكتور عباس حسن في كتابه (المتنبي وشوقي) والدكتور عبدالمجيد عابدين في كتابه (بين شاعرين مجددين ، إيليا أبوماضي وعلى محمود طه المهندس) الذي قسم كتابه إلى قسمين كبيرين، تناول في الأول حياة الشاعرين والظروف المحيطة بهما- أما القسم الثاني فهو عبارة عن قسم تطبيقي تناول فيه

([1]) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: الآمدي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ص 382.

([2]) الوساطة بين المتنبي وخصوم: عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي، دار القلم بيروت لبنان ، ص 33- 34.

([3]) تيارات النقد الأدبي في الأندلس ، ص 260.

ثلاثة قضايا الموسيقى الشعرية– حيث اتخذ هذه الموازين مقياساً يفاضل به مع ميل واضح إلى إيليا أبوماضي. وقبل هؤلاء يأتي الدكتور طه حسين في كتابه (حافظ وشوقي) لأنه اسبقهم زمناً ، وأكثرهم علماً إلاَّ أن كتابه لم يكن ذا خطة واضحة المعالم في الموازنة الأدبية– بل عبارة عن مقالات صحفية تناول فيها قضايا أدبية متفرقة جمعت بعد وفاة الشاعرين.

المطلب الخامس

معايير الموازنة عند القدماء والمحدثين

عند القدماء:

ليس للنقد الأدبي والمفاضلة بين الشعراء موازيين مضبوطة موحدة يعتمد عليها الباحث، فالقدماء كانوا يُقولون فيهما على مايسمونه: بنية الشعر (يريدون لفظه، ووزنه ومعناه، وقافيته). وبها يُحدد الشعر عندهم ومنها يتركب. ولكل واحد من هذه الأربعة محاسنه ومساوئه. ووظيفة الناقد أن يُفتش عن هذه المحاسن و المساوي ويُقْدُر الشاعر بقدر نصيبه منهما.

عند المحدثين:

والمحدثون من أهل العصور الأخيرة، ومنها عصرنا– كالقدماء في هذا ويفضلونهم بمزيد من العناية يوجهونه إلى بعض أمور أخرى عرفها القدماء ولكن لم يُولُوها نصيبها من العناية وكمال الرعاية ، (كحرص الشاعر على أداء مهمته الأدبية كاملة في أنسب وقت و تدفق الإحساس في الشعر، وصدق العاطفة والخيال اللماح الذي يبدع الصور غير المسبوقة، والموسيقى المنبعثة من الألفاظ المناسبة من الوزن والقافية ، وكالأغراض التي يتناولها الأديب ، والتجديد الذي يدخله في نواحيها المختلفة). وتلك أمور لا يغفلها الناقد اليوم ؛ ليبلغ أثرها في دقة البحث وصواب الرأي وصدق الحكم[1].

ولهذا يرى دكتور عباس حسن أن الموازنات يجب أن تقوم على أساس منها رسالة الشاعر ومبلغ نجاحه في تأديتها ، الألفاظ وما يتصل بها كموسيقى اللفظ والبحر والقافية ، الموضوعات والأغراض وكيفية معالجتها. ومايشتهر به الشاعر في ناحية معينة.

كالحكم أو الفخر أو المدح أو الغزل. وهذه الأسس هي العناصر التي تكون مايسمى بالشاعرية.

([1]) المتنبي وشوقي: عباس حسن ، مطابع دار المعارف القاهرة ، مصر 1964م ، ص 18.

المبحث الثاني

المميزات الفنية عند عبدالحميد وابن المقفع

المطلب الأول: أسلوب عبدالحميد

الأسلوب في اللغة يعني الطريق أو المذهب أو الإتجاه ، في لسان العرب ، ويقال للسطر من النخيل أسلوب، كل طريق ممتد، فهو أسلوب ، والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب والأسلوب: الطريق تأخذ فيه ، والأسلوب الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي افانين منه.[1]

والأسلوب بمعناه الإصطلاحي ، لا يبتعد عن هذا الأصل اللغوي، فهو مايزال يعني الطريق والوجه والمذهب ، ولكنه في هذه المرة ، انحصر في الفن بصورة عامة ، فأصبح يعني طريقة التعبير، ومنحي الرحل في صياغة أدواته ووسائله التعبيرية، فالوسائل تختلف بين الأديب والموسيقى والرسام، فأدوات الموسيقى هي اللحن والنغم ، وأدوات الرسام الألوان والأشكال والظلال ، وأدوات الكاتب يعني طريقة الصياغة وشكل التعبير ، ووجه نظم الألفاظ والجمل على نسق معين ، فهو إذن يتعامل مع الألفاظ والعبارات ويتعامل مع اللغة[2].

فالكاتب يحاول من خلال هذا الأسلوب ، النفاذ إلى قلوب سامعيه وقارئيه والتأثير فيهم، وتلعب ثقافة الكاتب دوراً بارزاً في توجيه هذا الأسلوب، كما أن لثقافة العصر الأثر البارز في ذلك. فنتيجة لامتزاج العرب بالأعاجم، جُدد في الألفاظ والمعاني والأخيلة والأساليب ، وعَمُقت المعاني، ورقت الأساليب ، وذلك كله تهيأ لظهور أعظم كاتبين هما عبدالحميد الكاتب وابن المقفع.

تلقى عبدالحميد مؤثرات ثقافية من عدة روافد منها خطب على رضى الله عنه ورسائل سالم وترجمان ابن المقفع، وحصل على الثقافة الإسلامية التي كانت زاده.

([1]) لسان العرب: ابن منظور ، ج1، دار صادر ، بيروت 1990م ، ص 473.

([2]) دراسات في النقد الأدبي: د. وليد قصاب ، الطبعة الثانية ، دار العلوم للطباعة والنشر ، 1983م ، ص 37.

ونجد القرآن الكريم من أهم الروافد التي ساعدت موهبته الذاتية على تكوين أسلوبه الخاص به. ومع التسليم بوجود التأثير الأسلوبي لدى كل كاتب أو شاعر نشأ في ظل القرآن الكريم فان الكشف عن هذا التأثير أمر غير سهل وقد كان بشر بن أبي كبار البلوي أجرأ المترسلين على تبني الجو القرآني والإشارات القرآنية والأسلوب القرآني في رسائله[1].

وليس كذلك حال عبدالحميد، إذ تقول حين تقرأ رسالة من رسائله، هذا الأسلوب مستمد من القرآن ولكنه لا يُدْخِل بنية الآية القرآنية في نثره إلاّ في رسائل معينة مثل رسالته في الطاعة نجده يورد فيها العبارات القرآنية الآتية: يخافون أن تتخطفهم الناس: (تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ)[2]

وإظهاره على الدين كله ولو كره المشركون (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)[3]

هذا النوع من الإلتفات إلى الرفد يستدعيه الجو العام في الرسالة ، وبعض الرسائل لاتجد فيها هذه الصلة القريبة من الآية القرآنية بمعنى النقل، إلاّ أنها في سياقها العام لا تخرج عن التأثير بالأسلوب القرآني. فطور الرسالة الدينية ليجعل الدولة هي مصدر العطاء الديني، ومنار الهداية والخير، وحارب خصوم الدولة بمثل سلاحهم.

خضع عبدالحميد بحكم وظيفته وطبيعته معاً إلى نزعة تنظيمية في حياته وفكره: إذ خاطب الكتاب أراد منهم أن يكونوا فئة منظمة ، وهذا النظام انعكس على أسلوبه الكتابي وطريقته في التفكير. وقد إختار عبدالحميد لمواجهة تلك النزعة التنظيمية بما يناسب الأسلوب القائم على الأزدواج والتوازن[4].

وهذا الأسلوب قد يبدأ بإيراد عبارتين متقاربتين في المعنى، أو بعدة مزدوجات،

---

(1) انظر كتب بشر ابن أبي كبار البلوي للدكتورة وداد القاضي ، ففيه نماذج لا مثيل لها في الإفادة من الأدب القرآني .

(2) سورة الأنفال ، الآية (26).

(3) التوبة ، آية 33 – الفتح آية 28 – الصف آية 9.

(4) التوازن والإزدواج: ضربان من السجع العاطل أي انهما سجع بلا قافية وشرط التوازن إتحاد الفاصلتين وزناً لا روياً وليس ذلك شرط بلازم في الإزدواج ، كما سنرى ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي: تأليف د. محمد نبيه حجاب ، المطبعة الفنية الحديثة ، مصر ، ط1 ، 1965م ، ص 66.

بحسب حاجة الكاتب إلى إبراز فكرته. ويستطيع الإزدواج أن يحقق مايلي:
التوكيد بالربط بين الجملتين.... (فإن من صغرت رغبته، وقصرت حاجته أراح بدنه ولازم أحبابه وصان وجهه، وسلم دينهُ، وأكرم عن الدنايا نفسه) التوكيد المبالغ فيه بالتكثيف وذلك بتعدد الجمل المترابطة كقوله في وصف السيوف: (هندية الحديد يمانية الطبع ، رقاق المضارب، مسمومة الشحذ، مشطبة الضريبة) ويلاحظ هنا تباعد الدلالة بين كل جملة وأخرى ، ولكنه تباعد ظاهري. تحقيق المفارقة إذ يبدأ بأسلوب مترسل غير مزدوج وفجأة ينتقل إلى أسلوب مزدوج (وكأن قد إحتاج إليك المسلمون، وأنت قد ضعفت عن أمر نفسك أن تستصلح منها تقويم أمرأتك ، ومداراتها، حتى أنتشر عنك وعنها بسوء المدارة من كلّ واحد منكما لصاحبه أمركما: وهن النساء ورقتهن، وضعف نحائزهنّ ، وقله صبرهنّ وغلبه الشيطان عليهنّ).
التلون الموسيقى المتأرجح بين الشدة والضعف وذلك بالإنتقال من مجموعة من المزدوجات إلى مجموعة ثانية إلى مجموعة ثالثة ، ولكل مجموعة محور موسيقي مختلف عن محور الأخرى، في تناسق تصاعدي أو تنازلي كماً وكيفاً:
(ومن ذلك أن تملك أمورك بالقصد ، وتصون سرك بالكتمان ، وتداري جندك بالإحسان وتداوي حقدك بالإنصاف. وأناتَكَ فوقِّها الملال وفوت العمل...، وصمتَكَ فانفِ عنه عيَّ اللفظ وخفْ فيه سوء القالة). ونلاحظ الإزدواج داخل كلّ جملة على حدة.
فأحكمها عارفاً بها، وتقدم في الحفظ لها معتزماً على الأخذ بمراشدها. ونلاحظ أن الإطالة في المزدوجتين الأوليتين كانت تتطلب خاتمة قصيرة.
تعميق المنطقة بين التزيين والترهيب، وذلك في الأصل هو القالب المحبب للرسالة الدينية أو الوعظية ، ونجد ذلك في رسالة تزيين الطاعة: (ففي طاعة الأئمة.... مهم كل نعمة فاضلة ، وكرامة باقية ، وعافية متخللة ، وسلامة ظاهرة وباطنة ، وقوة بأذن الله مانعة) والترهيب من المعصية: (ذهاب كل نعمة ، وتفرق كل كرامة ، ومحق كل غنية ، وهلاك كل سلامة وإلفة ، وموت كل عزو قوة..)

الإنفساح المكاني الذي يسمح للناظر بالتأمل في سياق ممتدٍ ممطوط كما يسمح للأذن بالإصاخة إلى نغمات متفاوتة في الطول والقصر. وهنا قد يقع التعارض بين اعتماد النظر واعتماد الأذن ، إذ في الحالة الأولى يتغلغل الناظر في تضاعيف المزدوجات بحثاً عن تتابع المعاني ، وفي الحالة الثانية يستنيم إلى النغمة الكلية دون أن يحاول الفهم في هذه الحالة الثانية ينطبق عليه قول الباحث درك لا تام Derek Latham (كأنما كان يريد لرسالته أن تقرأ جهراً).[1]

وأسلوب عبدالحميد يتألف من عناصر مختلفة: عنصر التوضيح والتفصيل الذي أدّى إليه أحوال الدولة وتنظيمها السياسي والإداري والمالي، واهتمامه للجزئيات وايراده للأسباب والمسببات ، والمظاهر والمناحي، فهو إذا عرض لقضية الشطرنج عرض لها من جميع وجوهها: في ذاتها ونتائجها، أما في ذاتها فهي نوع من عبادة وثن، وأما في مظاهرها وعواقبها فهي مشغلة عن طلب المعاش والقيام بواجبات الدين والمجتمع ، ومجلبة للمعاصي. أما الإطناب فظاهر في تعاقب الألفاظ والعبارات على المعنى الواحد أو ما يقرب من الواحد ، وهذا كثير في آثار عبدالحميد، فإذا أراد التعبير مثلاً عن إقبال الناس على لعب الشطرنج قال: (ألهجهم الشيطان بها وجمعهم عليها وألف بينهم فيها) ، وإذا أراد التعبير عن تعجب أمير المؤمنين قال: (فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره)

أما الترتيب والتنسيق فظاهرات في تسلسل أفكار عبدالحميد وتساوقها، فهو إذا أراد الكتابة في الشطرنج وتحذير الناس منه ابتدأ برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف أوضح الهداية وزجر عن طريق الضلال وكيف أبان لاتباعه موبقات الأعمال ومفظعات الذنوب ومبهظات الأوزار ، ثم ينتقل عبدالحميد من هذه المقدمات العامة إلى التطبيقات الخاصة ، فيجعل مما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم العكوف على التماثيل ، ويقيم الصلة بين التماثيل الوثنية وتماثيل الشطرنج ، ثم يتعرض لإقبال الناس عليها ونتائج ذلك الإقبال ورأى أمير المؤمنين في ذلك. وهكذا ترى في

([1]) عبدالحميد الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 162– 167.

الفكرة تساوقاً ، وترى الكاتب ينتقل من مادة إلى مادة ومن موضوع إلى موضوع ، مستوفياً في كل مادة موضوع ، رابطاً السابق باللاحق في هدوء ورصانة ووضوح.[1]

(1) الخلاصة في الأدب العربي: حنا الفاخوري ، الطبعة الثالثة، المطبعة البوليسية 1961م ، ص75–76.

المطلب الثاني

أسلوب ابن المقفع

ومن أشهر الكُتَّاب الذين وضعوا أصول النثر الأدبي الفني في الأدب العربي ابن المقفع، وذلك بما تميز به من جمال الأسلوب ، وجودة العبارة واتساع الرؤيا ، فقد آخى في أسلوبه بين التفكير الفارسي والبلاغة العربية، فامتزجت هاتان الثقافتان العربية والفارسية. في أسلوبه واكسبتاه ميزة جعلته يحمل إلى النثر العربي في مؤلفاته أسلوباً جديداً رفع بها مستوى النثر العربي إلى أعلى درجات الفن وأشرفها ، هذا الأسلوب الذي تميز بسرد الحكايات على أفواه البهائم والسباع والطير ، فكانت تبدو في ظاهرها هزلاً وتسلية ، إلاّ أن في باطنها حكمة وجد ومثل وموعظة.[1]

يمتاز أسلوب ابن المقفع بخاصيته الرياضية التي اهتمت بها الفلسفة اليونانية ولا سيما الفلسفة الفيثاغورسية[2] ، وما فيها من عدد وتقسيم ، حتى ظن بعض المستشرقين أن كليلة ودمنة أصلاً يونانياً ، وأن ابن المقفع كان عارفاً بلغة اليونان[3].

ولكن نحن نرجع أن ابن المقفع أطلع على حكمه اليونان في كتب الفرس التي نقلها، فراض عقله على هذا الأسلوب الرياضي وأتحف به لغة العرب ولا تنحصر خاصيته هذه في كليلة و دمنة بل نجده في الأدب الصغير والأدب الكبير.

ويمتاز أسلوبه في كليلة ودمنة باختلاط الأسلوب القصصي بالأسلوب المنطقي ، والأسلوب المنطقي جاف ويميل إلى التعقيد إلاّ أن ابن المقفع عالج هذا الأمر، فصارت العبارة واضحة كل الوضوح، خالية من الغموض، ومن ذلك قوله:

([1]) الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل بيروت 1410هـ- 1990م ، ص 271.

([2]) نسبه إلى فيثاغورس، فيلسوف يوناني ولد بين سنتي (580- 570- ق-م) راجع بطرس البستاني أدباء العرب ، ص 150 ، ولد في الجزيرة الأيوانية ساموس والتي يسميها الشهرستاني ساميا، عرف بالعلم والفضل وبقوة الشخصية شباع عنه أساطير وقصص – راجع الشهرستاني الملل والنحل ، ص 132.

([3]) أدباء العرب في العصر العباسي: بطرس البستاني ، ص 150.

(وأعلم أن الأدب يرفع عن اللبيب السكر، و يزيد الأحمق سكراً ، كالنهار ؛ فإنه ينير لكل ذي بصر من الطير وغيره ، ولا تستطيع الخفافيش الاستقلال فيه)[1].

والأدب هو بمعنى المعارف والعلوم والقيم النبيلة، التي يستهدي بها الإنسان في إصطلاح نفسه. ويتميز أسلوب ابن المقفع بالقصص القائم على السرد والحوار، وهو كسائر الأدباء الأقدمين يكثر من تكرار فعل القول، قال– قالتا– ويستخدم أسلوب الرمز في كليلة ودمنه في نقده الحياة الإجتماعية والسياسية وقد لجأ للرمز ليكون في مأمن من غضب الحكام والقائمين على الأمر. ولذلك أسلوبه التعليمي الذي له أعظم الأثر في النفوس إذ سلك إليه أسلوب القصص الخرافي. وكان ابن المقفع في الأدبين الكبير والصغير ناقلاً جامعاً أكثر منه مؤلفاً واضعاً. ولكنه في رسالة الصحابة مؤلف ناقد ليس غير.[2]

أما إذا نظرنا إلى الأساليب المستحدثة في عصر ابن المقفع، عدم الإيجاز فإذا أراد شخص أن يبلغ صاحبه بلفظ موجزاً كما كان يفعل في العصر الأول، كان يحيط اللفظ بمعانٍ كثيرة، شافعاً مرة ، ومستعطفاً أخرى وذاهباً إلى الإنذار حيناً، وإلى التبشير حيناً آخر، وإلى غير ذلك من المعاني التي تنتهي إلى التأثير في النفس.[3]

وأخص مايميز أسلوب ابن المقفع زهدة في السجع ، قال ابن أبي الأصبع: (ولا تجعل كلامك كله مبنياً على السجع ، فتظهر الكُلفة ويبين فيه أثر المشقة وتتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط، واللفظ النازل، وربما استدعيت كلمة رغبة في السجع فجاءت نافرة من أخواتها، قلقه في مكانها...، فإن جاء الكلام مسجوعاً عفواً من غير قصد ، وإن عزَّ ذلك فاتركه، وإن اختلفت اسجاعه وتباينت في التقفية مقاطعة، فقد كان المتقدمون لا يختلفون بالسجع جملة، ولا يقصدونه إلاّ ما أتت به الفصاحة في اثناء الكلام، واتفق من غير قصد ولا اكتساب ؛ وإنما كانت كلماتهم

([1]) كليلة ودمنة: د. عبدالوهاب عزام ، ص 123.

([2]) ابن المقفع: عبداللطيف حمزه ، ص 165.

([3]) أدباء العرب في الأعصر العباسي: بطرس البستاني، ص 127– 128.

متوازية ، وعباراتهم رائعة وفصولهم متقابلة ، وتلك طريقة الإمام على رضى الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام: كابن المقفع، ويزيد بن هارون وإبراهيم بن العباس ، والحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعده ، وأبي عثمان الجاحظ ، وغيرهم من الفصحاء البلغاء)[1]

لايحرص ابن المقفع في كتابه كليلة ودمنه على السجع في ذاته بل يأخذ ما جاء به عفو الخاطر ومن ذلك قوله: (العلم هو الشجرة، والعمل هو الثمرة)[2]

فنلاحظ أن سجعه جاء موافقاً للنص وليس متكلفاً، إذ لا نجد السجع المستكره ولا الوزن المتكلف، فيقول في ذلك محمد حسين نائل المرصفي: (وإنك لتقرأ الفصل المطول ، والباب المبسوط من كتب ابن المقفع لا تجد سجعه مستكره ولا وزناً متكلفاً)[3]

يمتاز أسلوبه بسهولة الألفاظ، التي لا تعقيد فيها ولاغموض إذ تسهل على العامة من الناس، ولا تخفى على الخاصة ، فهو ما نسميه بالسهل الممتنع.

وأخص ما أمتازت به الأساليب العربية في العصر الأول، أن الرسائل كانت تشتمل في أسلوبها على ما يرجع إلى ربط الأمور بأسبابها ومسبباتها، واستنتاج واستنباط النتائج من مقدماتها ورد الأشباه إلى نظائرها ، والآثار إلى مصادرها، فنرى الكاتب يلتمس العله لكل حكم، والسبب لكل قضية ، ويعرف هذا من قرأ رسائل عبدالحميد وابن المقفع، وكتب الخلفاء، ومشاورة المهدي لأهل بيته. وتلك طريقة فارسية يلحظها كل من قرأ الحكم والرسائل المنقولة عن بزرجمهر والأكاسرة. من أسلوب متفق ، متساو في الجزالة ، تنتقل من سهل إلى أسهل ، و من يسير إلى أيسر ، ترتيب في المعاني وتهذيب في التراكيب.[4] وهذه ميزة عامة لكتابة العربية في ذلك العصر.

([1]) صبح الأعشى: للقلقشندي ، ج2 ، ص 316– 317.

([2]) كليلة ودمنه: د. عبدالوهاب عزام، ص 40.

([3]) كليلة ودمنه: المرصفي ، ص 43– 44.

([4]) المرجع السابق ، ص 41–42.

المطلب الثالث

الإيجاز عند عبدالحميد

هذا النوع أعنى الإيجاز اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيراً فإنهم كانوا إذا قصدوا الإيجاز أتوا بألفاظ استغنوا بواحدها عن ألفاظ كثيرة كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك فقولك أين زيد مغن عن قولك أزيد في الدار أم في المسجد إلى أن تستقري جميع الأماكن وقولك فيها من يقم أقم معه مغن أن يقم زيد أو عمرو أقم معه، فغالب كلام العرب مبنى على الإيجاز والإختصار وأداء المقصود من الكلام بأقل عبارة وهذا النوع على ضربين إيجاز قصر وإيجاز حذف[1].

فقد كتب عبدالحميد رسائله بلغة أدبية رصينة ، متينة على غير خشونة، خالية من الجفاف تنبض بالحياة، وعالج المباحث السياسية والإجتماعية برؤية العاقل و أسلوب الأديب ، يؤثر الإسهاب على الإيجاز، ويميل إلى التفصيل أكثر منه إلى الإجمال ولا يُعْرض عن المجاز، فيكثر من الاستعارات والكنايات ، ولكنها قريبة المدلول لا تجنح إلى الإغراب[2].

ويغلب على أسلوب عبدالحميد الصبغة العربية كما تشيع الحكمة التي يروضُها بعذوبة ألفاظه، وسلامة أسلوبه، وحقاً كان أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني مع وضوح الغرض وسمو الأسلوب وهو أكثر كتاب عصره تأنقاً في صوغ الجملة، فكان يقوم في النثر بما كان يقوم به زهير في الشعر ، وهو أحد الكتاب الذين لم يلتزموا السجع فكان في كلامهم قليلاً ، وقد اهتموا ببسط المعاني ، وتأكيدها وتركوا مذهب الإيجاز الذي كان شائعاً في القرن الأول إلى الإطناب وتنويع العبارة ، وتقطيع الجملة بالمزاوجة بين الكلمات وتوخي الإفهام. وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة ، وقعت في النفس موقع الإستحسان.[3]

([1]) خزانة الأدب وغاية الأرب: الشيخ تقي الدين أبي بكر على المعروف بابن حجّه الحموي ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر بيروت من مكتبة البيان شارع سوريا، بناية جبر، ص 364.

([2]) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: بطرس البستاني ، دار مارون عبود 1979م ، ص 420– 423.

([3]) الأدب العربي وتاريخه: إبراهيم عبدالله رفيد ، طبعة أولى ، مكتبة القاهرة 1966م، ص 224.

وموازنة الجمل لها موقع الصدارة في أُسلوبه ، يؤثر القصيرة منها فإذا طالت لا تسرف في الطول ويمدها بواو العطف ، فتتعاقب موصولة الأطراف ، متعاشقة الأجزاء– وربما وردت مترادفة ، يقلبها على المعاني المتشابهة والمتقاربة ، رغبة في الإسهاب والتبليغ ، واستطراباً لا تتلافها وحسن موقعها. فيقول: (جريئاً على مخاطر التلفِ ، متقدماً على أدّراعِ الموتِ ، مكابراً لمرهوب الهول متقحماً مخشي الحتوف، خائضاً غمرات المهالك). وهذه المتماثلات والمترادفات لم ينهكها التحمل وفساد الذوق فإن له من سلامة الطبع ورهافة الحسن الفني ما يقصيه عن التكلف الممقوت فأتت هذه الأشياء جارية على سجيه النفس ملبية صوت البلاغة.[1]

ومن آثار هذا الترادف ميله للإطناب والإسهاب ، وإن كان ذلك لم ينسه الإيجاز البليغ الذي يظهر في بعض رسائله كرسالته يوصي بشخص (حق موصل كتابي إليك كحقة على ، إذ جعلك موضعاً لأمله، ورأني أهلاً لحاجته ، وقد انجزتُ حاجَتَهُ، فصدَقْ[2] أمله)[3].

وكتب إلى عامل أهدى لمروان غلاماً أسود وتحرى الإيجاز: (لو وجدت لوناً شراً من السواد، و عدداً أقلَّ من الواحد لأهديته).

أما أسلوب عبدالحميد فأسلوب أديب بصير بمحاسن الطريقتين العربية و الفارسية ، يجمع بين السجع الجميل والأزدواج من غير تكلف ومن ذلك قوله في رسالته إلى الكُتاب: (بكم تنتظمُ للخلافة محاسنُها، وتستقيم أمورُها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانَهُم ، وتعمرُ بلادهم. لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كافٍ إلاّ منكم. فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون و ألسنتهم التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبطشون ، فأمتعكم الله بماخصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم). كما تظهر فيها موسيقية

---

(1) أدباء العرب: بطرس البستاني ، ص 420– 423.

(2) فصَدِّقْ: فحقق.

(3) جمهرة رسائل العرب: أحمد صفوت ، ج2 ، ص 554.

أسلوبه وجمال عبارته.

ويستعين عبدالحميد بالإطناب لإيضاح المعنى، والإطناب من دواعي الحضارة. ونجد بلاغة ابن المقفع قائمة على الحكم والأمثال تغذى العقل وتشيع الفكر . أما بلاغة عبدالحميد فتغذى العاطفة وتثير الوجدان، ومن ثم مال إليه الكثيرون وعلى آثاره عزف البرامكة وغيرهم من الكتاب الموالي[1].

(1) بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب: دكتور محمد نبيه حجاب، الطبعة الأولى 1965م، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ص 143– 144.

المطلب الرابع

الإيجاز عند ابن المقفع

يمتاز أسلوب ابن المقفع بحرصه على الإيجاز مع الوفاء بالمعنى، وليس إيجاز ابن المقفع كأيجاز الأحنف بن قيس[1]، أو كأيجاز الحجاج بن يوسف ، بل هو كإطناب على بن ابي طالب كرم الله وجهه. أي أن الأساليب ليس لها حقائق ثابتة في نفسها، إنما تتبدل حسب أحوال العصر. فكلام ابن المقفع موجز مختصر بالنسبة لكلام الجاحظ[2] ومسهب بالقياس إلى كلام الحجاج بن يوسف الثقفي. فأسلوب ابن المقفع هو أسلوب الحديث الممتاز الذي لا يكون إلاّ خطابه أو مناظرة أو جدلاً، ولغة الخطابة أميل إلى الإيجاز ، ولغة المناظرة أقرب إلى الإسهاب ، وأثر الأولى واضح في أسلوب ابن المقفع ، وأثر الثانية واضح في أسلوب الجاحظ ، ولهذا وصف أسلوب الجاحظ بالإطالة والإيضاح. وأما ابن المقفع فكان أدنى إلى الإيجاز، يحتفل بالمعنى ويختار اللفظ لا يتكلف سجعاً ، فيقول: (والإيجاز هو البلاغة). ولهذا أثر كبير في بلاغة الكلام ووضوح المعنى، وبعد الأسلوب عن التكلف والتعقيد [3].

جمع ابن المقفع في أسلوبه عذوبة البداوة ، ولين الفارسية ، وصبغة اليونان العلمية، وأرستقراطية الهنود الكلامية. واهتمامه البالغ بالمعنى يدفعه إلى استخدام الأسلوب المنطقي الذي يوقظ في القاريء فكره وليه، ويُغذى عقله وقلبه. فأفكاره المتسلسلة، لا يلجأ فيها إلى القلو بل يواجه الحقيقة بهدوء ويبرهن عنها بقوَّة. وكذلك يحمله احتفاؤه بالمعنى على إطالة الجملة بهدوء ورصانه فهي تمتد إمتداداً من غير ما توثب أو

---

(1) الأحنف بن قيس: كنيته أبوبحر ، واسمه صخر من بني تميم ، وكان في رجله حنف وهو الميل إلى إنسيها وكانت امه ترقصه وهو صغير، وتقول لولا ضعفه من هزله، وحنف أو دقه في رجله، ماكان في صبيانهم مثله ، وكان حليماً موصوفاً بذلك، حكيماً معترفاً له به . راجع الميداني مجمع الأمثال ، ج1 ، ص 219.

(2) هو عمر بن بحر بن محبوب الكناني، وهو زعيم من زعماء المعتزلة ، صاحب فرقة تعرف بالجاحظية، أديب لنه أسلوب جميل في اللغة ، إلاّ أنه واسع المادة غنى الألفاظ لا يعجزه كثرة الترادف والتوارد، توفى سنة 255هـ، راجع بطرس البستاني ، أدباء العرب ، ص 260.

(3) البيان والتبيين: الجاحظ ، ج1 ، دار صعب ، ص 76.

تقلب أو تلوّن متذرعه بالروابط المختلفة من حروف الجر والأسماء الموصولة وحروف العطف و ما إلى ذلك.

إلاّ أن إطَالَتهُ هذه ليست من قبيل الإسهاب فابن المقفع يميل إلى الإيجاز، ذلك الإيجاز الخاص الذي يقوم بجعل الألفاظ على مقدار المعاني.[1]

وعرف عنه إقلاله من المترادف من اللفظ ، المتشاكل من الجمل وهذه صفة دائمة لمحب الإيجاز الراغب فيه– فبينما نرى الجاحظ محباً برصف المترادفات ، والإغراق في التكرار والترداد يعبر عن المعنى بعدة عبارات كما في رسالة التربيع والتدوير. ونجد ابن المقفع حريصاً ألاّ يلبس المعنى، ثوباً سابقاً ضافي الأذيال ، وألاّ يسرف في اللفظ ، ولا يغلو في الرديف ، إلاّ إذا كان له على الجاحظ فضل الوضوح والزيادة في المعنى، وأسلوب ابن المقفع مع بلاغته وروعته ، نراه في بعض المواضيع يتعثر في أداء مضامينه؛ لأن الترجمة للمعاني الفلسفية الدقيقة لا يكاد يقوم بها أسلوب بليغ مهما دقت بلاغته، وعلت منزلته في الفصاحة. وذلك في باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين (... فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة ، فلا يمكن أن تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض، إلاّ بعد شدة وتعب ومشقة) فالأسلوب هنا مفكك وغير متلاحم الأجزاء مع ضعف نسجه وقله روعته)[2].

وقادته دِقَّته أحياناً إلى ضروب من العنت لم يحسن التخلص منها ولا سيما في ترجماته فوقع في بعض الغموض الذي يتأتى خصوصاً من المخالفة في إرجاع الضمائر. وكذلك يثقل كلامه أحيانا بسبب تقديم كلمة وتأخير أخرى، وحذف ثالثة ، وقد يقع ذلك للجمل أيضاً فتأتي جملة اعتراضية مكان جملة أساسية ، أو جملة أساسية مكان أخرى اعتراضية، أو تأتي جملة يكثر فيها من إستعمال (أن) وما إلى ذلك كما في قوله في الأدب الكبير: (ومن الأخلاق التي أنت جدير بتركها إذا حدث

---

(1) الخلاصة في الأدب العربي: حنا الفاخوري ، الطبعة الثالثة ، المطبعة البوليسية 1961م، ص305– 306.

(2) كليلة ودمنه: د. عبدالوهاب عزام ، ص 64.

الرجل حديثاً تعرفه. أن لا تسابقه إليه وتفتحه عليه، وتشاركه فيه، حتى كأنك تظهر للناس، بأنك تريد أن يعلموا ، أنك تعلم مثل الذي يعلم، وما عليك أن تهنئهُ، بذلك وتفردهُ به) ولو قلنا: تعلم منه مع الضمير لاستقام الأسلوب والمعنى.

أسلوبه في كليلة ودمنه: قال ابن المقفع في الأدب الصغير: (إذا جُعِلَ الكلام مثلاً كان ذلك اوضح للمنطق وأبين في المعنى ، وآنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث). وعلى هذا أتى كتاب كليلة ودمنه، فأدخل على الأدب العربي تفصيل القصص على ألسنته الحيوانات تفصيلاً طويلاً، ووضع الحكم والعظة على ألسنتها ، فاستبطن فنون الحكمة تحت ثوب الفكاهة واللهو. والذي يزيد في روعة أسلوب كليلة ودمنه امتزاج الأسلوب المنطقي بالأسلوب القصص الذي يليّنه، والحوار الذي يبعث فيه الحياة. إلاّ أن هذا التداخل شائن أحياناً ، فقد يطغى المنطق على القصة وتتوافر البراهين المتتابعة حتى يثقل سير الكلام، وقد يقود البرهان برهان آخر يخرج عن موضوع الكلام ، أو استطراد يُجرى في الكلام تشويشاً ، وذلك لاهتمام المؤلف بتأديه الحكمة الكثيرة.[1]

إلاّ أن ذلك كله لا يحطُّ من شأن ابن المقفع الذي يظل أسلوبه رمزاً للكتابة الكلاسيكية القديمة ، في سلاسته وارستقراطية ، وإنسجام عباراته، وحلاوة تراكيبه، ولين ألفاظه، وسهولتها وعذوبتها. ولا عجب أن سُميَّ أسلوبه بالسهل الممتنع ، الذي يحسب الجاهل أنه يستطيع مجاراته حتى إذا حاول ذلك امتنع عليه.[2]

([1]) الخلاصة في الأدب العربي: حنا الفاخوري ، ط3 ، المطبعة البوليسية 1961م ، ص301.

(2) المرجع السابق ، ص 305– 306.

المبحث الثالث

المطلب الأول:

اللغة عند عبدالحميد

تمثل اللغة أرضاً خصبة في ميادين الدراسات الأدبية والعلمية، فأهتم بها علماء العربية وأدباؤهم ، ونقادهم ، وشعرائهم إهتمام كبير. وبلغت صناعة الترسل عند عبدالحميد درجة رفيعة من البلاغة وخرج بها النثر الفني إلى ميزته التي استغل أو كاد يستقل بها عن الشعر، فلم تغلب عليه النغمات والنبرات الصوتية التي نجدها في خطب على رضى الله عنه وزياد والحجاج، ولا تلك الصور الشعرية المتلألئة في التشابه والكنايات والاستعارات ولا ذلك الإيجاز الذي يكثر فيه الحذف والتلويح، ولا يخلو بعض الأحيان عن الإخلال. فقد عُنيَّ بالنعوت عناية كبيرة ، وقد يتوالى بعضها إثر بعض ، فلا تتنافر لما بينها من إضافات فاصلة كقوله: (فليول عليهم رجلاً ركيناً مجرباً ، جريء الإقدام ، ذكى الصرامة، جلد الجوارح، بصيراً بموضع أحراسه، غير مصانع ، ولا مشفّع للناس).

وتتوافر المنصوبات متتابعة في الجمل المقطعة المتوازنة ، فهنا المصادر والمفاعيل، وهناك الحال والتمييز ، تتداعى أصواتها متجاوبة فتحدث في السمع وقعاً جميلاً.[1]

وهنا يأخذ عليه الدكتور طه حسين تأثره بالأسلوب اليوناني أي إكثاره من الحال. ونرى أن عبدالحميد وتنوعه الكثير في الإزدواج لا يحتاج إلى التأثر بالأسلوب اليوناني كما يزعم دكتور طه حسين، لأن الإزدواج يحتم عليه التلوين الموسيقى والإنفساح المكاني و كلاهما يتطلب تفريعاً أو مكملات للإستقصاء ، لا يحققها إلاّ استعمال مايسميه النحويون (الفضلة) كالحال وضروب المفعولات والتمييز ، وهذه يتخذها عبدالحميد وسائل في استقصاء المعنى إلى غايته. فإذا بدأ بالحال في امتداد الجمل قضىَّ على ذلك باستعمال التمييز كما في المثال التالي:

(مستشعراً له بمراقبته ، محتذياً لسنته ، واثقاً بنصره ، متبرئاً من الحول والقوة فيما

([1]) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: بطرس البستاني ، دار ماروت عبود 1979م ، ص420– 423.

نالك من ظفر وتلقَّاك من عزّ).

وفي موضع آخر يتقدم التمييز ثم يجيء الحال أو اسم الفاعل: أعلم أن الظفر ظفران احدهما: (وهو أعم منفعةً وأبلغ في حسن الذكر قالةً، وأحوطه سلامة، وأتمّه عافيةً ، آخذاً بالحجة عليهم، متقدماً بالإنذار لهم، باسطاً أمانك، قابل توبة نازِعِهم، ...).

ثم تعرج على المفعول فيه: (وماهو أمْلَكْ به في الاعتصام عاجلاً ، وانجى له من العقاب أجلاً ، وأحوطُ على دينه ومهجته بداً وعاقبة فإن ذلك مما تستعدي به نصر الله عز وجل عليه). ثم عوده إلى الحال بعد هدأة من المتعاطفات: (متثبتاً في أمرك، متخيِّراً في رؤيّتك، مستشيراً لذوي النصيحة، آخذاً بالحزم في سوء الظنَّ، مُعِدّاً للحذر ، محترساً من الغِرَّة)

وهناك أمثلة كثيرة جداً نكتفى بهذا القدر، وأن التكثيف البالغ من المزدوجات متفاوت فى رسائل عبد الحميد، وكذلك تتابع الصفات مثل: (ولِّ دّراجة عسكرك.... رجلاً محمود الخبرة ، معروف النجدة ، ذا سنّ في التجربة ، ليّنَ الطاعة ، له بصيرة بالحق ونيه صادقة).[1] وأصبح الإزدواج السمة الغالبة على أسلوب عبدالحميد ، ففي بعض اللحظات تحس مثلاً أن الحال غير ضرورية كثيراً في الجملة، ومع ذلك فإن الكاتب لا يستطيع إسقاطها. ومثال ذلك نجد بعض الجمل مزودة والأخرى عارية منها في رسالة الشطرنج:

على حين انطمست الأعلام (مختفيةً)

وتشتت السنبلُ (متفرقةً)

وعفت آثارُ الدين (دارسة)

وسطع رَهَجُ الفتن

واعتلى قَتَامُ الظلم

واستنهد الشرك .

وأَسَدَفَ الكفر، وظهر أولياءُ الشيطان لطموس الأعلام.

([1]) عبدالحميد بن يحيى الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 171.

وإنك تستطيع أن تحذف ما بين القوسين في المجموعة الأولى دون أن تتأثر كثيراً. وقد وجد عبدالحميد في الإزدواج تعويضاً عن الحدة التي تتطلبها بعض المواقف، وعن الإنطلاق غير المقيد الذي تتطلبه مواقف أخرى. ولكن بعض صور الإزدواج تستأثر في نفسه أكثر من سواها، وذلك في شأن الحال لدى عبدالحميد يجد حلاوة وقعه في نفسه جعلته يلجأ إليه دون سآمه أو ملل.[1]

وكذلك استعمل عبدالحميد المفعول المطلق والمفعول لأجله يقول: (فإن أمير المؤمنين– عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجِلُفِ الحافي الأعرابي المتسكع في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوي الهلكة..) وتظهر في هذه الفقرة تلك الموسيقى التي يؤلفها استعمال عبدالحميد للمفعول المطلق والمفعول لأجله: (فساداً واستخفافاً وكفراً ، وجهلاً) في آخر جُمله وتلك الأضواء التي تشع من هذه الألفاظ و تسرع عليها الإشراق والوضوح اللذين يطلبهما عقل عبدالحميد المنطقي.[2]

([1]) عبدالحميد بن يحيى الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 171.

([2]) نشاة الكتابة الفنية في الأدب العربي: د. حسين نصار ، الطبعة الثانية 1966م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ص 134– 147.

المطلب الثاني

اللغة عند ابن المقفع

تمثل اللغة أرضاً خصبة في ميادين الدراسات الأدبية والعلمية ، فأهتم بها علماء العربية وأدباؤهم ، ونقادهم ، ونحويوهم وأدت خلافاتهم إلى التفريق بين مستويين في اللغة ، اللغة العادية واللغة البليغة ، لغة الأدب إذن اللغة هي الظاهرة التي ينبغي التوقف عندها طويلاً ونحن نتحدث عن الأدب؛ لأن الأدب لا يتحقق إلاّ فيها ، فهي مادته الأساسية.[1]

ولعل أهم ما أدخل ابن المقفع على الأدب العربي هو القصص على ألسنة الحيوانات و لما كانت الحيوانات غير العاقلة، عاقلة في كليلة ودمنه ، فابن المقفع يتكلم على ذكورها وإناثها بصيغة المؤنث والمذكر العاقلين. فيقول مثلاً: (زعموا أن جماعة من القردة كن في جبل). (زعموا ان جماعة من الطير لم يكن لهم ملك...).[2] واستطاع ابن المقفع أن يجد لذاته طابعاً خاصاً من الناحيتين الفكرية والتعبيرية.

فمن الناحية الفكرية: هو أول من طلع على العرب بهذا النهج من الأدب الرامي إلى إصلاح مجتمعه بحسن السياسة، وكريم الأخلاق ، على أفواه الحيوانات ، على أن الطرافة وحدها لا تكفي ، لتشق طريقها إلى الجدة والخلود، مالم ترفدها ثقافة عميقة الجذور ، ومعاناة صادقة لتجارب الحياة ، ولولا هذه الإزدواجية بين الطرافة والحقيقة ، لما زلزل ابن المقفع مجتمعه بحكامه وعامة شعبه، تلك الزلزلة التي بدلت وأوجه الحكم والمجتمع.

فابن المقفع في كليلة ودمنه عميق الفكرة، مع دقه الألفاظ التي لا تحتمل غير الموضع الذي أراده لها، ومن ذلك قوله على لسان الجرذ للغراب: (ليس بيني وبينك تواصل ، وإنما ينبغي للعاقل أن يلتمس من الأمور ما يرجو دركه، ويترك طلب مالا يقدر عليه، لئلا يعد جاهلا، كرجل أراد أن يُجري السفن في البر، ويُجرى العجل

([1]) نظرية اللغة في النقد العربي: د. عبدالحكيم راضي، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ،ص20-31.

([2]) كليلة ودمنه: د. عزام ، ص 123.

على الماء ، وليس إلى ذلك سبيل– وكيف يكون بيننا تواصل وإنما أنا لحم وأنت أكل لحم فأنا لك طعم طعم!)[1]

والإدراك والوجدان للأفكار يصل الحقائق بالعواطف الإنسانية، فاستطاع ابن المقفع أن يعطينا فكرة عن التباعد بين الجرذ والغراب، وساق الأمثلة والأدلة على هذا التباعد تواصل، طعم ، دركه، سبيل، وكل هذه الألفاظ تؤدي فكرة ابن المقفع في دعم هذا التباعد ، فالفكرة عميقة والأسلوب جزل ، والألفاظ مواتية للأفكار والمعاني.

أمامن الناحية التعبيرية: فهو أول من غير وجه البلاغة المتبعة حتى عهده، ينقلها من غرابة اللفظ والتركيب إلى السهولة فيهما، غير خافٍ أن التطاول على البلاغة عن طريق السهولة العظيمة ، أعسر وأدق من التطاول إليها عن طريق الوعورة.

فإذا تناولنا الألفاظ في كليلة ودمنة، فنراها عند ابن المقفع تشف عن مدلولها، فأنظر إليه يقول: (ولقد وتَرْتَني أعظم الترة ، فما أدرى هل سلف إليك من سوء استحققت به هذا منك؟ وإلاّ فأعلم أن الفأس يقطع بها الشجر فتنبت وتعود، والسيف يقطع به اللحم والعظم فيندمل ويلتئم ، واللسان لا يندمل جرحه ولا يلتئم ما قطع ، والنصل والتشابه يغيب في الجوف ثم ينزع. وأشباه النصال من القول إذا أوصلت إلى القلب لم تنزع ولم تخرج، ولكل حريق مطفى للنار الماء، وللسم الدواء ، وللعشق الوصال ، وللحزن الصبر ، ونار الحقد لا تخبو)[2]

فإلى جانب التثقيف نرى إختيار الألفاظ وأخضاعها للمعاني ، الفأس يقطع والسيف يقطع ، كما تخلو ألفاظ ابن المقفع من الغريب الموحش المبتذل ، وكان يقول في ذلك: (إياك و التتبع لوحشي الكلام طعماً في نيل البلاغة ، فإن ذلك هو العيء الأكبر)[3]

يمتاز ابن المقفع بقدرته على إخضاع الجمل للطوال حيناً وللقصر حيناً آخر ويشدها

([1]) كليلة ودمنه: د. عبد الوهاب عزام ، ص 126.

([2]) المرجع السابق ، ص 196.

([3]) الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ص 326.

بالروابط الكلامية ويدعمها بحسن إنتقاء أحرف الجر القوية المدلول، ومن ذلك قوله (وأعملوا إن كثيراً من العدو لا يستطيع ضرر عدوه بالمباعدة حتى يلتمسه بالمقاربة والمسامحة)[1]

وقد أخذ الدكتور عبداللطيف حمزة على ابن المقفع مأخذين في كتابه كليلة ودمنه، أولهما:

أنه كان يقدم كلمة ويؤخر الأخرى، ويحذف الثالثة وهكذا. وقد يقع مثل ذلك للجمل فيقول مثلاً: (كان بارض دستابند تاجر مكثر ، وكان له بنون فلما أدركوا، أسرعوا في مال أبيهم ، فلم يحترفوا حرفه ترد عليه وعليهم ، فلامهم أبوهم ووعظهم)[2]

وبذلك يجعل الجملة الإعتراضية وهي (لم يحترفوا حرفه) جملة أساسية توضح السبب في إسراف البنين، وتوضيح السبب في أسرافهم أولى من التماس العذر لهم في الإسراف. وثانيهما: اضطراب الضمائر حينا وإغفال كامل عن ذكرها أحياناً ، وهذا مارأه دكتور عبدالوهاب عزام ، والذي أرجعه إلى الترجمة الحرفية، واستدل على ذلك بقول ابن المقفع في قصة: (الرجل المتواني والسارق) في باب عرض الكتاب (غلب على صاحب البيت النعاس وحمله النوم) ويذكر د. عبدالوهاب عزام أن جملة وحملة النوم ليست في النسخ الأخرى كليلة ودمنه. وهي ترجمة حرفية لعبارة فارسية (خواب أورابرد)[3] ومن ثم يمضي دكتور عبدالوهاب عزام ليؤكد ترجمة ابن المقفع الحرفية. وليست من الضروري أن تكون هذه الترجمة حرفية ؛ وإنما هي من تأثر الكاتب بتراث قومه. والصحيح وغلبه النوم.

وقد تصدت بالرد على الدكتور عبداللطيف حمزه، الأستاذة ليلى حسن قائلة:(ومن خلال المأخذين اللذين يرجعهما دكتور عبداللطيف حمزة إلى الترجمة الحرفية، أقول إننا إذا رأينا في كليلة ودمنه اضطراباً في الضمائر في بعض المواقع ، واختلاط في

---

(1) كليلة ودمنه: د. عبد الوهاب عزام ، ص 112.

(2) كليلة ودمنه: د. عزام ، ص 81.

(3) المرجع السابق ، ص 349.

جمل بعض المواضيع الأخرى؛ فإن ذلك يرجع إما إلى ضعف الناسخين، وإما إلى قصور ترجمة المؤلف في التأليف، بعدما قلنا أنه بدأ به حياته الأدبية بهذا الكتاب فهو باكورة أعماله وقد لاحظنا أن صياغة المؤلف لقصص البنجاتنترا السنسكريتية[1] الأصل كانت صياغة بعيده كل البعد عنها ، مما يقطع بتأليفه، وذلك رأى أقرب إلى واقع الحال فيما يتعلق باضطراب بعض عباراته)[2]. ويبدو أن ابن المقفع كان يترجم ترجمة حرفية وفي ذلك يقول دكتور شوقي ضيف: (على كل حال كان ابن المقفع شغوفاً بالترجمة الحرفية، وهو شغف جعل لغته في كتبه تتعثر في كثير من جوانبها، ولعل ذلك هو السبب في أن من جاءوا بعده حاولوا أن يترجموا هذا الكتاب– كليلة ودمنه– كما حاولوا أن يترجموا كتابه الكبير سير الملوك أو (خداي نامه) إذ ترجم هو الآخر من بعده ، ولعل من الطريف أن الجاحظ في حيوانه، تعرض لما ترجم ابن المقفع عن أرسطاطليس فلم يعجب به ولا بترجماته)[3]

وقد أشار عبدالسلام محمد هارون في كتابه قطوف أدبية إلى بعض الهنات اللغوية في كتاب كليلة ودمنه[4].

1– ومنها قول ابن المقفع: (وإنه كالماء الملح الذي لا يزداد الظمأن منه شرباً إلاّ إزداد به عطشاً، وكالعظم المتعرّق الذي يصيبه الكلب فيجد فيه ربح لحم فلا يزال يلوكه)

المتعرّق بكسر الراء خطأ، وصوابه المتعرَّق بفتح الراء المشددة. ويقال عرق العظم يعرقه عرقاً وتعرقه واعترقه: أكل ماعليه من اللحم.

2– قول ابن المقفع: (ولكن أيش [5]الفائدة فيها وحدها وليس لي غيرها) بكسر الهمزة

([1]) البنجاتنترا: بمعنى خمسةُ فصول أو خمس رسائل.

([2]) كليلة ودمنه في الأدب العربي: ليلى حسن سعد الدين ، ص 268.

([3]) الفن ومذاهبه في النثر العربي: د. شوقي ضيف ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1946م ، ص 50.

([4]) قطوف أدبية: دراسة نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث: عبدالسلام محمد هارون مكتبة السنة: طبعة الدار السلفية لنشر العلم 1988م ، ص 218 ومابعدها.

([5]) أيش: في لغة العامة ماهي.

وهذا ضبط عامي؛ والصواب أيش بفتح الهمزة وتنوين الشين المكسورة وأصلها: أي شيء؟ خففت بحذف الياء الثانية من أي وحذف همزة شيء بعد أن نقلت حركة الهمزة إلى السكون قبلها، ثم أعلت إعلال المنقوص.

3- قول ابن المقفع: (إن الملوك وغيرهم جدر أن يأتوا الخير إلى أهله...)[1]

وقد أفسد هذه العبارة أمران: أولهما: فإن جدر جمع جدار بالكسر، وهو الحائط و الصواب جدراء أو جديرون وهما الجمعان اللذات يجمع عليهما جدير.

وثانيهما: فإن أتي إذا تعدى إلى المفعول، لا يكون بمعنى الإعطاء بل يكون بمعنى آخر ، أما الذي بمعنى الإعطاء ، هو الفعل أتى على وزن (أفعل) ومنه قوله تعالى: (آتِنَا غَدَاءنَا)[2] وقوله: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)[3]

فوجه عبارة ابن المقفع إذن: (جدراء ان يؤتوا الخير إلى أهله).

أما لغته في الأدب الصغير فتختلف بعض الأختلاف عن إنشاء كليلة ودمنه، لأن صاحبنا اتخذ فيه الأسلوب المنطقي الصرف، فظهر عليه بعض الجفاف وتخللته جمل اعتراضية فلم يخل من التعقيد. وإزدحمت فيه المعاني الفلسفية الدقيقة ، فصعب إلتماسُها لأنها أفرغت في قالب إنشائي بحت ، كله تحذير وتحضيض. ولا يخلو الأدب الصغير من ضرب المثل ولكن أمثاله قصيرة لا تشبه أمثال كليلة ودمنه التي ساقها مساق النوادر والأقاصيص وكذلك لغته في الأدب الكبير إنشاء خطابي محض ، كله أمر ونهى ، وقد خلا من الأمثال ولم يغلب عليه الأسلوب المنطقي ، فقلت قياساته، فجاءت عبارته أسهل من عبارة الأدب الصغير وأوضح. وهو كغيره من المتقدمين لا يحفل بتسجيع الألفاظ وتذويقها.[4]

وخلاصة القول إن لغة ابن المقفع تتسم بالإيجاز فلا حشو ولا تعقيد ، فألفاظه سهلة

([1]) كليلة ودمنه: د. عزام ، ص 304.

([2]) سورة الكهف ، الآية 62.

([3]) سورة مريم ، الآية 12.

([4]) أدباء العرب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني، ص 153- 156.

ميسورة الفهم للعامة والخاصة ، أفكاره عميقة الدلالة وتغلب عليه الجمل أو العبارات القصيرة وتطول جملة في مواضع يقتضيها المقام ولكنها لا تخلو من الحشو. فلقد كان كالصائغ الماهر كثرة جواهره فأحسن إختيار فرائِدِها. قال الراغب الأصفهاني: (كان ابن المقفع كثيراً ما يقف إذا كتب. فقيل له في ذلك فقال: إن الكلام يزدحم في صدري فأقف لتخيره).[1]

(1) أدباء العرب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني ، ص 157.

المطلب الثالث

التصوير أو التشبيه في أسلوب عبدالحميد

في هذا العصر استعمل الكتاب النثر الأدبي في أغراض شعرية كالوصف والشوق و الشكوى والاستعطاف وغير ذلك من الأغراض التي هي ميدان الشعر الأصيل. أهتزت نفوس الكتاب بمحاسن الطبيعة ومظاهر الحضارة فتناولوها بالوصف والتصوير. وكان ذلك من أيام عبدالحميد الكاتب، كوصفه لرحلة صيد ووصف طغيان الفرات. ومن ذلك أيضاً وصف ابن المقفع للصديق.

وإذا نظرنا إلى الكلاسيكية التي يحرص عليها عبدالحميد لن نجد إغراب في صورة أو شطحاً بعيداً عن الواقع. وكان النثر الشفوي ، خاصة خطب عليَّ رضى الله عنه، قد ثبتت في البيان ما يمكن أن نسميه التصوير باللفظ، وهذا اللون درج في الشعر وبلغ به ذو الرُمةِ الذِرْوَة.

وهذا اللون من التصوير يصلح في المناظر الوصفية مثل وصف طغيان الفرات، ووصف الصيد. وفي وصف طغيان الفرات يعتمد إيراد ألفاظ ذات دلالة تصويرية بصوتها مثل: (وموّار الفرات يجيش بأرجائه، مطلخمةً أمواجُهُ، متزايلاً في حَجَرائه، آذِيُّهُ[1] صَخِبٌ وغطامِطُهُ[2] لجب وعلوهُ متوال يساور الجبال). وتكاد كل لفظة في هذه العبارة ان تقدم إيحاءاتها الصوتية، فتنقل إلى اسماعنا صورة الفيضان الهائل– وهنا يعتمد الكاتب على ثروة لغوية ليتمكن من التنويع جعله يعتمد على ذخيرته اللغوية يستمد منها مايريده.

فالرسالة تصور الطبيعة الثائرة الغاضبة. ورسالته في وصف الصيد تصور الطبيعة الحانية المواسية التي تفنن في إبراز جمالها والإعلان عن مباهجها يقول: (فلم نزل بأخفض سير وأثقف طلب، وقد امطرتنا السماء مطراً متداركاً فَرَبَتْ منه الأرض ،

---

(1) الآذي: الموج.

(2) الغطامط: صوت اضطراب الموج.

وزهَرَ البقل ، وسكن القتامُ من مثار السنابك[1]... ثم برزت الشمسُ طالعةً ، وانكشفت من السحاب مسفرة ، فتلألأت الأشجار، وضحك النوار، ...)

حتى إذا بدأ الصيد بضواري الطير والكلاب بدأ التصوير باللفظ وهو من التصوير المألوف الذي لم يبتكره عبدالحميد: (فمرت تحفّ الريح عند هبوبها تسفّ الأرض سفاً كاشفة عن آثارها.... خارشة بأظفارها، قد مزقتها تمزيق الريح الجراد....) قد نجد هنا ألفاظاً مصورة مثل (تحف وتسف) والتصوير يعتمد الحركة والحركة قادرة على أن تبعث الحيوية خاصة في الصورة. والرسالة كلها صورة لجوانب من مناظر الصيد، ولكنها تعتمد الواقعية في النقل أكثر مما تعتمد على الإيجاءات الصوتية للألفاظ مجتمعة.

ومن آثاره المصورة استعمال التشبيه والاستعارة والتشخيص وتظهر في رسالته التي يقول فيها: (الناس أصناف مختلفون ، وأطوار متباينون ، منهم عِلق مضنه لا يباع ، ومنهم غلا مظنّهُ لا يبتاع)[2].

ويستخدم عبدالحميد التصوير باستعمال التمثيل والتشبيه خاصة عن طريق التجسيد وصوره من هذا القبيل قليلة منها:

تجسيد الفتنة في صورة امرأة لعوب في أول الصورة: (تتشوَّفُ بآنق منظر، وأزين ملبس، تجرّر لهم أذيالها، وتعدهم تَتَابُعَ لذاتها). ويتلو ذلك أن تصبح الفتنة دآبّةً: (فإذا لزمهم عضاضها، ونفر بهم شماسها تخلَّت عنهم خاذلة).

والدنيا ذات حالين: تُقْبِلُ بِدَرّها وترضُع من تعطفت عليه، ولكنها ذات أنياب وأظفار وثقل باهظ، وهي تتشكل في هذين الحالين: (ثم شمست منا نافرة و أعرضت عنا متنكرة، ورمتنا جامحة).

يصور عبدالحميد الحرب في صورة سحابة: (والله لكأني أنظر إلى شؤبوبها قد همع، وعارضها قد لمع، وإلى الوعيد قد أورى ناراً ، فأقلع عن رؤوس بلاغلاصم ومعاصم

---

(1) السنبك والجمع السنابك: طرف الحافر وجانباه.

(2) عبدالحميد الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 173.

بلا براجم).

ويتضح أن صورة الأنثى: امرأة كانت أو بهيمة هي الأكثر تحكماً في صور عبدالحميد وذلك لأن التأنيث في الأشياء التي يريد تصويرها غالب كالفتنة والدنيا والسحابة. أما صورة المشى في ظلمات الفتنة والوقوع في جهنم فإنها مركبة من عدة صور قرآنية.[1]

وفي رسالته إلى الكتاب نجدها تكشف نواح هامة في شخصية عبدالحميد. فنحن عندما ننظر إليه، وهو يصف سياسة الدآبة الرموح والشبوب والشرود والحرون، رامزاً بذلك إلى سياسة الكاتب للحاكم وندرك تمام الإدارك قوة عبدالحميد في الوصف، وحبه للتصوير ، ومقدرته على إبراز الموصوف في أجمل صورة.[2]

([1]) عبدالحميد بن يحيى الكاتب: د. إحسان عباس ، ص 173– 178.

([2]) المرجع السابق ، ص 188.

المطلب الرابع

التصوير أو التشبيه في أسلوب ابن المقفع

لم يحفل ابن المقفع بالسجع ولابغيره من المحسنات لأن عنايته بتجويد المعنى كانت أكثر من احتفاله بجمال الألفاظ. لهذا كان يصطفى من الألفاظ أدقها تصويراً وأصدقها تعبيراً ولايهمه بعد ذلك أن جاءت قوية جزلة أم سهلة لينه، موجزه أم مطنبة، وهذا سر بلاغته، واستمع إليه يقول في وصف صديق: (إني مخبرك عن صاحب لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ماعظمة في عيني، صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهى مالا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان فرجه ، فلا يدعو إليه ريبه ، ولا يستخف له رأياً ولا بدنا...)[1]

كان ابن المقفع يبتعد ابتعاداً كبيراً عن المبالغات بجمال الصوت أو بجمال التصوير فليس في أساليبه عناية بالأخيلة الدقيقة، كغاية في حد ذاتها إلاّ بعض التشبيهات ، وهو إن عمد إليها كان تشبيهه بعيداً عن الغموض قريباً إلى الأفهام، وكانت غايته منه ايضاحيه لا فنية مجرده. ومن ذلك قوله: (وليس للعاقل أن يغتر بصلح العدو ومصاحبته فإنه يكون كصاحب الحية التي وجدها وقد أصابها البرد، فأخفاها في كمه فلما دفيء النهار عليها ووجدت سخونة الثياب تحركت ونهشته)[2]

فنلاحظ أن ابن المقفع أراد يقدم لنا تشبيه بين الذي يأتمن ويخضع لعدوه وصاحب الحية غن هو أكرمها وأدفأها من بردها في كمه، فلما وجدت الدفء نهشته، وأنكرت فضله. ومن ذلك أيضاً قوله: (فإن الرأي في ذلك أن يجربوا ويختبروا صغار الناس وعظمائهم في شكرهم، وحفظهم الود، وفي غذرهم، وقله شكرهم ، ثم يكون عملهم في ذلك على قدر الذي يبدو لهم، فإن الطبيب الرفيق لا يداوي المرض بالمعاينة لهم

---

(1) بلاغة الكتاب في العصر العباسي: د. محمد نبيه حجاب ، ص 137.

(2) كليلة ودمنه: د. عبدالوهاب عزام ، ص 162– 164.

فقط، ولكنه ينظر إلى البول ويجس العروق....)[1]

يدعو بيد بالملوك والحكام إلى أن لا يصطفوا أحداً إلاّ بعد اخضاعه للتجربة والإختبار، فاستصحب تشبيههم، وماثل بينهم في ذلك ، وبين الطبيب في مداواة المرض. بجامع أن وجه الشبه في كليهما التحسس والإختبار.

واستخدم ابن المقفع التشبيه والإستعارة في الدلالة على مقصوده كقوله: (فإن أخوف مايكون الإنسان لحريق النار أقرب مايكون منه، وكذلك الجاهل إن جاورك أنصبك، وإن ناسبك جنى عليك). كما قال: (قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجتريء عليك عدوك وتذل نفسك ، ويرغب عنك ناصرك، ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس، إن أملته قليلاً زاد ظله، وإن جاوزت الحد في أمالته نقص الظل).

فاستخدم ابن المقفع تشبيه التمثيل لبلوغ غايته، والتعبير عن بغيته وقد بلغ إجادة هذا الفن مبلغاً كان مضرباً للأمثال ، ويقول أبوهلال العسكري في معرفة الحديث عن التشبيه. (والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً وهكذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل مايستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان، فمن ذلك ماقال ابن المقفع: الدنيا كالملح كلما أزددت منه شرباً إزددت عطشاً. وقال: في صحبه الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على الطيب حملت طيباً، وإذا مرت على النتن حملت نتناً. وهكذا يستطرد في الإستشهاد بالحكم والأمثال التي وردت في كتاب كليلة ودمنه تلك التي استخدم فيها ابن المقفع تشبيه التمثيل.

كما استخدم ابن المقفع في كلامه المطابقة في قوله: (الرجال أربعة جواد وبخيل ، ومسرف ومقتصد).

وكذلك استخدام الجناس التام وغير التام ومن أمثله الجناس غير التام قوله: (ياطالب الأدب أعرف الأصول ، ثم أطلب الفصول، فإن كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع

---

[1] كليلة ودمنه: د. عبدالوهاب عزام ، ص 3-4.

إضافة الأصول). فجعل هناك جناس غير تام بين الأصول والفصول. كما جعل بين الفصل والأصل في قوله: (وإن أصاب الفصل بعد إحِراز الأصل فهو أفضل).

والجناس غير التام واضح في أسلوب ابن المقفع أكثر من الجناس التام، وهكذا استخدم أساليب البيان والبديع في تشبيهه وتصويره مما يدل على تمكنه من اللغة العربية ، و آدابها. وقوة منطقه وغوصه في المعنى الفلسفي الدقيق.[1]

(1) ابن المقفع: محمد غفراني الخراساني، ص 477– 478.

المبحث الرابع

الموازنة بين عبدالحميد وابن المقفع

ذاعت طريقة عبدالحميد وابن المقفع في توخي السهولة وسلامة التعبير مع العناية بإجادة المعنى ، بين الكتاب من أهل عصرهما ومن بعدهما، وإنما صعبت عبارة ابن المقفع في الأدبين الصغير والكبير ، لأنه ساقهما مساق الفلسفة، ويغلب على أساليبه فيهما القياس المنطقي وأفكار الفلاسفة الدقيقة التي قلما تظهر للقاريء إلا بعد جهد. ويمتاز عبدالحميد ، وإن لم يكن ابن المقفع دونه في البلاغة– بما تسنى له من وضع الأنظمة للرسائل الديوانية وتنسيق صورها، وقد صرف عبدالحميد الترسل أيضاً من الناحية الإدارية إلى الناحية الإخوانية، فكتب في وصف الإخاء والتهنئة بمولود. واتيح لعبد الحميد مالم يتح لابن المقفع من رياسة الكتابة في دواوين الخلافة ، والتحدث باسم الخليفة والدولة. وامتاز ابن المقفع بعلمه وترجمته لكثير من الكتب الفلسفية والأدبية فأسلوب ابن المقفع أسلوب مترجم حريص على المعنى تعوذه الحيوية ، والروح الأدبية. أما أسلوب عبدالحميد فأسلوب أديب بصير بمحاسن اللغتين الفارسية والعربية ، يجمع بين السجع والإزداوج من غير تكلف، ويستعين بالإطناب لإيضاح المعنى. نجد بلاغة ابن المقفع قائمة على الحكم والأمثال تغذى العقل و تشبع الفكر– أما بلاغة عبدالحميد فتغذى العاطفة وتثير الوجدان ، ومن ثم تبعه الكثيرون من الكتاب الموالي.

تمثل معاني الصداقة في الرسائل أهم المعاني التي تميز بها هذا الجنس الأدبي وتحدث ابن المقفع عن الصداقة باعتبارها معنى مجرد أو قيمة منشودة. واتخذ عبدالحميد الصداقة معنى من معاني الترسل ، يصف لهم أصول الصداقة وكيفية اتخاذ الصديق الأمثل. ونلاحظ أن مقال عبدالحميد في رسائل الإخاء والصداقة درس نظري في معاني الصداقة ، لا ينم عن احساس المتكلم بشخص المخاطب ، وعن وضعه الخاص زمن كتابه الرسالة.[1]

يُعدُّ ابن المقفع من أكبر رواد النثر الفني العربي القديم لايكاد يزاحمه في هذه الريادة سوى

([1]) الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة، لصالح بن رمضان، جامعة منوبة – تونس، مشورات كلية الآداب بمثوبه، ص 351.

معاصره وصديقه عبدالحميد الكاتب، وقد اشتهر ابن المقفع بثقافته الواسعة المتنوعة، وابن المقفع من جهة أخرى صاحب أسلوب جميل ، ويرى بعض دارسيه أنه من أجمل الأساليب التي عرفتها العربية ، على أن طه حسين حين يوازن بين فصاحته وفصاحة عبدالحميد، يرجح لغة عبدالحميد ، إذ يرى أن لغة ابن المقفع جيدة في الأدب الكبير وكليلة ودمنه، ولكنه حين كان يتناول المعاني الدقيقة، كانت لغته تضعف كما يبدو هذا في رسالة الصحابة ، التي كتبها ينصح فيها لأبي جعفر المنصور.

ثم يوازن الدكتور طه حسين بين عبدالحميد الكاتب وابن المقفع ويخرج بالنتائج الآتية:-

1- إن هذين الكاتبين إمتازا امتيازاً ظاهراً في هذا العصر حتى اصبحا رمزاً لهذا النثر الفني وعنواناً للكتابة الفنية.

2- لايوجد كاتب يعدل عبدالحميد فصاحة لفظ وبلاغة معنى واستقامة أسلوب فهو أحسن من كتب العربية ومرّنها وأقدرها على أن تتناول المعاني المختلفة. وتؤديها، وربما كان الأستاذ المباشر للكتَّاب المترسلين.

3- ويرى الدكتور طه حسين أن ابن المقفع كان يكتب في أول عهد النثر الفني بالوجود، فليس غريباً ألاَّ يستقيم له النثر ، كما كان يستقيم لرجل كعبدالحميد ؛ وهذا الرأي يسري أيضاً على عبدالحميد الكاتب ، إذ أنه أسبق زمناً من ابن المقفع بالنسبة إلى نشأة النثر الفني ، فمن الأولى ان يستقيم له النثر ، ومهما كان فإننا نستطيع أن نقول في هذا المقام: إن كاتباً كابن المقفع بإنتاجه الغزير في النواحي الفكرية والأدبية لا يعادله كاتب في اللغة العربية ، وإن كان لعبدالحميد كل الفضل، وما أحسن قول بعض الباحثين: (لوعرفنا أن ابن المقفع قد قتل ولم يتجاوز الأربعين من عمره عرفنا قدر نبوغه وعرفنا أي عقل كبير كان يشغل رأسه)[1]

([1]) حديث الشعر والنثر: للدكتور طه حسين ، ص 40- 49.

نصوص للموازنة بين الكاتبين

نأخذ مثالين من الأسلوبين في غرضين متقاربين:

كتب عبدالحميد إلى أهله وهو مهزوم مع مروان طالباً المعونة: (أما بعد فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، فمن ساعده الحظ فيها يركن إليها، ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً[1] لها ، وقد كانت أذاقتنا أفاويق[2] استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية، فملح عذبها ، وخشن لينها: فأبعدتنا عن الأوطان، وفرقتنا عن الإخوان ، فالدار نازحة ، والطير بارحة. وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم وإليكم وجدا ، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع إليكم بذل الإسار، والذل شر جار . نسأل الله الذي يعز من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة، في دار آمنة ، نجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين.[3]

وكتب ابن المقفع إلى صديق يستعين به على حوادث الدهر:

(إن الناس لم يعدموا أن يطلبوا الحوائج إلى الخواص من الإخوان، وأن يتواصلوا بالحقوق، ويرغبوا إلى أهل المقامات ، ويتوسلوا إلى الأكفاء وأنت بحمد الله ونعمته من أهل الخير، وممن أعان عليه، وبذل لأهل ثقته المصافين ، وإن بذل النفوس فيه ، وإعطاء الرغيب ، ليس منك ببكر ولا طريف ، بل هو تليد أتلده أولكم لآخركم، وأورثه أكابركم أصاغركم.

ومن حاجتي (كذا) وأنت أحق من طلبت إليه، واستعنته على حوادث الدهر، وأنزلت به أمري ، لقرب نسبك ، وكريم حسبك ، ونباهتك وعلو منزلتك ، وجسيم طبائعك ، وعوام أياديك إلى عشيرتك وغيرها فليكن من رأيك ماحملتك من حاجتي على قدر قسم الله لك من فضله وما عودك من مننه، ووسع غيري من نعماتك

---

(1) مستزيداً: أي مستزيداً الشكوى والعتاب.

(2) أفاويق: جمع فيقه بالكسر وهو ماتجمع من اللبن في الضرع بين الحلبة والحلبة.

(3) سرح العيون: جمال الدين بن نباته المصري ، ص 165. (وهنا يعتمد الحذف والإيجاز) .

وإحسانك)[1]

ثانياً: الموازنة

1- أما أسلوب عبدالحميد فمجمل بالسجع الطبيعي والإزدواج العذب. والتوازن القائم على تعادل الفقرات ، تلذ للقاريء باستواء تقاسيمها، والسامع بوزنها ، فالسجع واضح بين الكلمات: إخوان وأوطان، ونازحة وبارحة.

2- كما أنه مجمل أيضاً بالحال، والتكملة المتطابقة بالجار والمجرور وعلى النحو الأول جاءت الكلمات ساقطاً- مستزيداً- ونافرة – وكذلك الجمل: تعالى والأيام تزيدنا، والذل شر جار- وعلى الثاني جاء العبارات: سكن إليها- ساخطاً عليها ، .... الخ .

3- مهد ابن المقفع لطلبه بقياس منطقي صدر به رسالته ، متى تحققت مقدماته، وجب إن تتحقق نتائجه – ألا تراه يقول لصاحبه مخاطباً عقله وفكره- إن الناس يطلبون الحوائج إلى الخواص من الأخوات وأهل المقامات ، وأنت بحمد الله من أهل الخير، فما من المخاطب إلا إجابة طلبه وتحقيق رغبته.

4- إن أسلوب ابن المقفع مرسل موجز خال من السجع والإزدواج فيه بقدر، ومن ثم كان خافت الجرس، فاتر الموسيقى[2].

الأسلوب المزدوج:

وهذا الأسلوب لا يعتمد عليه ابن المقفع كثيراً ولكن عبدالحميد الكاتب مولع به في كل رسائله قال ابن المقفع: (وكذلك الجاهل، إن جاورك أنصبك، وإن ناسبك جنى عليك ، وإن ألفك حمل عليك ، ما لا تطيق ، وإن عاشرك آذاك وأخافك، ومع أنه عند الجوع سبع ضار، وعند الشبع ملك فظ، وعند الموافقة في الدين قائد إلى جهنم، فأنت بالهرب منه أحق بالهرب من سم الأساود والحريق المخوف ، والدين الفادح ، والداء العياء).

---

(1) آثار ابن المقفع: عبدالله بن المقفع ، الطبعة الأولى 1989م ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ص 336- 337.

(2) بلاغة الكتاب في العصر العباسي: محمد نبيه حجاب، المطبعة الفنية الحديثة 1965، ص145- 146.

يقول عبدالحميد الكاتب في كتاب إلى أخ له: (أما بعد، فإن من صغرت رغبته، وقصرت حاجته، أراح بدنهُ ولازم أحبابهُ وصان وجهه، وسَلِمَ دينُهُ ، وأكرم عن الدنايا نفسَهُ.

وقد أصبحت عندي ذا غبطةٍ باقتصارك على القليل ورضاك به، وإقامتك عليه ، بقطعك حبال الأمل ، وردُكَ نَفْسَكَ عن جماحها إذا نازعتك متطلعة إلى شيء من الدنيا ، حتى اعتلقت خَفْضُ الدعةِ والوداعة ، وتمدَّدت في فُسح ، ساحات منازل الراحة، واستقرعت أبواب السلامة ، وتمهّدت وثارة الأمن، وتوسّطْت رباعَ العز، واستخفضت بذلك معاشك فصار قليلُ ما أنت فيه كثيراً ، لمساعدةِ السلامة إياك ، لا تدخلك مشقة البعد ولا ذلّةُ السفر ، ولا كآبة القربة ولا اغترابُ الدار).

الموازنة:

1- أسلوب ابن المقفع يعتمد على المزاوجة وترتيب العبارة ترتيباً متشابهاً، وليس موسيقى النثر رهينة السجع أو رهينة الإزدواج ولكن يعتمد ابن المقفع على التوازن، الذي يعتمد على الحركة النفسية والصوتية.[1]

2- وأسلوب عبدالحميد يعتمد على المزاوجة، والتصوير باللفظ ولكن ليس عن طريق الإيحاءات الصوتية، وإنما عن طريق تتابع الاستعارات الجزئية ، التي إذا اجتمعت في تتابعها كونت صورة كبرى. فكل جملة من هذه الجمل صورة ، وهذا لون من الإزداوج قائم على وحدات من الصور.[2]

نأخذ نموذج آخر للفرق في أسلوبيهما. فابن المقفع يميل في كتابته إلى إرسال الكلام دون أن يتقيد بازدواج أو توازن. أما عبدالحميد فلايخرج بذلك عن الأسلوب العام في القرن الأول. وأما عبدالحميد ففي طريقته يجري مجرى الإزدواج والتبسط و بذلك يخرج عن مجرى الإنشاء العام لعهده. وإليك قطعتين لهما في معنى واحد نعرضهما للموازنة.

---

(1) النقد التطبيقي والموازنات: محمد الصادق عفيفي 1978م ، مؤسسة الخانجي بمصر ، ص 220- 221.

(2) عبدالحميد الكاتب: إحسان عباس ، ص 175- 176.

قال عبدالله: ابن المقفع: (أعرف أهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم أخوانك وأعوانك وبطانتك وثقاتك ، ولا يُقذفنّ في رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك، فإنك لست تريد الرأي الإفتخار به، ولكن تريده للانتفاع به ولو أنك مع ذلك أردت الذكر كان أحسن الذكرين وأفضلهما عند أهل الفضل أن يقال لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوى الرأي.

إنك إن تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لايُدرك ، وما حاجتك إلى رضى من رضاه الجور، وإلى موافقة من موافقته الضلال والجهالة؟ فعليك بالتماس رضى الأخيار منهم، فذوي العقل ، فإنك متى تصب ذلك تضع عنك مؤونة ماسواه.

إذا تراكمت الأعمال عليك فلا تلتمس الروح في مدافعتها والروغان منها فإنه لا راحة لك إلاّ في أصدارها، وإن الصبر عليها هو يخفّها، وإن الضجر منها هو يراكمها عليك. فتعهد من ذلك في نفسك خصلة ، قد رأيتها تعتري بعض أصحاب الأعمال ، أن الرجل يكون في أمر من أمره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره، فيكدّر ذلك بنفسه تكديراً يفسد ماكان فيه وماورد عليه ، حتى لا يحكم واحداً منها، فإن ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذي تختار به الأمور ، ثم اختر أولى الأمرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه، ولا يعظمن عليك فوت مافات ، ولا تأخير ما تأخر، إذا أعملت الرأي معملة، وجعلت شغلك في حقه.

قال عبدالحميد في نفس المعنى: (ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك، ودخلاؤك في سرك، أهل الفقه والورع من خاصة أهل بيتك ، وعامة قوادك، ممن قد حنكتهُ السن بتصاريف الأمور ، وخبطته فصالها بين فراسن البزل منها، وقلّبته الأمور في فنونها ، وركب أطوارها، عارفاً بمحاسن الأمور ، ومواضع الرأي وعين المشورة، مأمون النصيحة ، منطوي الضمير على الطاعة. ثم أحضرهم من نفسك وقاراً يستدعى لك منهم الهيبة، واستئناساً يعطف إليك منهم المودة ، ولا يغلبنّ عليك هواك فيصرفك عن الرأي ، ويقتطعك دون الفكر. وتعلم أنك– وإن خلوت بسّر فالقيت دونه ستورك، وأغلقت عليه أبوابك– فذلك لا محالة مكشوف للعامة، ظاهر عنك ، وإن

استترت بربما ولعل، وما أرى إذاعة ذلك.

إياك وأن يظهر منك تبرم بطول مجلسك، أو تضجر ممن حضرك، وعليك بالتثبت عند ثورة الغضب ، وحمية الأنف ، وملال الصبر في الأمر لتعجل به ، والعمل تأمر بانفاذه ، فان ذلك سخف شائن ، وخفة مردية ، وجهالة بادية، وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرفض لحشو الكلام، والترك لفضوله.

الموازنة:

1- في موازنة هاتين القطعتين يتضح لك أن أسلوب عبدالحميد أكثر ميلاً إلى التوازن. والإزدواج الذي كان موجودا في النثر العربي منذ أقدم أزمانه. فهو كثير في القرآن الكريم وفي ماروى من أقوال الجاهلية وكثير في الأدب الأخلاقي في العصرين الراشدي والأموي.

فعبدالحميد لم ينقل رسمه عن الفارسية ولكنه اتخذه أسلوباً عاماً لرسائله فجعله بذلك طريقة إنشائية مقررة. وأما الذي نقله عن الفارسية مما لم يكن شائعاً في الترسل العربي هو التحميدات الطويلة والتبسط في عرض الفكر.

2- قد عرف ابن المقفع بشدة اتصاله بالأدب الفارسي وكثرة نقله عنه وقد شهد له بذلك ابنُ النديم فقال: (وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة وأحد النقلة في فن اللسان الفارسي إلى العربي، مضطلعاً باللغتين ما جعله فصيحاً بهما)[1] وعليه فقد كان الأولى أن يكون هو صاحب الرسوم الفارسية في الإنشاء العربي ومع ذلك لم يذكر بها كما ذكر عبدالحميد. ونرجح ذلك إلى مارأوه من الفرق في أسلوبيهما. فابن المقفع يميل في كتاباته إلى إرسال الكلام دون أن يتقيد بازدواج أو توازن، فلا يخرج بذلك عن الأسلوب العام في القرن الأول كما بيّنا سابقاً. وأما عبدالحميد ففي طريقته يجري مجرى الإزدواج والتبسط ، وبذلك يخرج عن مجرى الإنشاء العام لعهده.[2]

نكتفي بهذا القدر من طرح نصوص للموازنة ، فقد وضحت الفكرة التي من أجلها تم

---

(1) الفهرست: لابن النديم ، ص 118.

(2) بلاغة الكتاب: محمد نبيه حجاب ، ص 149- 151.

القيام بهذا البحث الذي بذلت فيه جهد المقل للوصول إلى درجة ولو بسيطة من الهدف لإقامة الدراسة موضوع البحث أتمنى أن يلاقي الاستحسان والقبول وخلاصة القول: أن لكل كاتب من هؤلاء شخصيتَهُ وعبقريتَهُ ، الفنية والأدبية فجاءت نُصُوْصُهُم مختلفةً بالرغم من تقارب الموضوع، وليس تشابه الموضوع بمانع من استقلال الأدباء في معالجة، كلٍ على طريقتهِ الخاصةِ.

الخاتمة :

الحمد لله العلى مكانه ، المنير برهانه ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ﷺ .

أما بعد فقد تناولت في هذا البحث موضوع الدراسة (الكتابة الأدبية بين عبد المجيد الكاتب وابن المقفع دراسة أدبية موازنة) وهي من أهم الفنون الأدبية ، التي شهدت

تطوراً في الحياة النثرية لدولة بني أمية ، ودولة بني العباس ، كذلك ودراسة هذا الفن النثري الأدبي لهذه الدولة الإسلامية ، وطبيعة الأمر يقتض يأن نعرف عصر وحياة الكاتبين ، السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية .

مما نستطيع تلخيصه في النقاط الآتية :

1/ تطور الإدارة الحكومية ، مما دعى إلى إنشاء الدواوين ، أهمهما ديوان الإنشاء والرسائل حديثا العهد بالحياة العربية .

2/ ظهور الكاتبين عبد الحميد وابن المقفع رأسين لمدرسة جيل من الكُتَّاب .

3/ تفوق عبد الحميد على ابن المقفع ؛ لاتصاله برأس الدولة – الخليفة – الأمر الذي جعل لرسائله وثائق تاريخية ، إلى جانب قيمتها الأدبية والفنية .

4/ عجز أعداء ابن المقفع عن إثبات زندقته ؛ لأنه اعتصم بالتقية ، فلم يجاهر بكفره ، ولم تثبت بيِّنة تدينه .

5/ ابن المقفع شعوبي ، موجهاً لخطاهم وحادياً لركبهم ومنتهجاً لهم .

6/ النهوض بالنثر الفني ، بشقيه خطابة وكتابة في الأجناس الأدبية مفيدة من الثقافات الوافدة ، يونانية ، هندية ، فارسية .

7/ تطور الكتابة في العصرين الإسلاميين الأموي والعباسي ، بفضل كبار الكتَّاب في العصرين .

8/ تطور النقد الأدبي ، بتطور الموازنة بين القرآن الكريم وكلام العرب ، إلى الموازنة بين الإبداع الفني بين البشر نثراً وشعراً .

9/ الموازنة بين عبد الحميد وابن المقفع ، تقدم الأستاذ على تلميذه بالخصائص الآتية : الإطناب على القصر ، وابن المقفع على الإيجاز وقد مكَّنه هذا الإطناب من القدرة على التصوير والوصف ، ويقابله ابن المقفع بالدقة في إيصال المعنى ، غير مكترث بجمال التصوير إلا ما ندر . وقد وازن بينهما الدكتور طه حسين ، وقدم عبد الحميد لعدم خروجه عن التقاليد العربية .

صعوبات البحث :

عند كتابة هذا البحث واجهتني عدة صعوبات منها :

1/ عدم توافر المصادر والمراجع في جامعات مدينة الأبيض ، مما كلفني مشقة السفر والحضور إلى الخرطوم للاستعانة بمكتباتها العامرة .

2/ تفرق مادة البحث في كتب النثر الفني والنقد مما كلفني مشقة البحث جمع المادة والتصنيف ، وحقاً قمة التعب والمشقة وأحمد الله كثيراً أن وفقت في جمعها وتصنيفها وإخراجها إلى حيز الوجود . بالإضافة إلى التكلفة المادية الباهظة في سبيل ذلك البحث .

التوصيات :

1/ عبد الحميد عذب المورد وحقاً كان أمة في البلاغة ورصانة القول أوصى بتناول رسائله بادراسة العميقة المتفهمة ، وأخص بذلك رسالة ولي العهد.

2/ لا بد من عمل دراسة لابن المقفع وعبد الحميد الكاتب من حيث تأثيرهما في

الكتَّاب والشعراء من بعدهم .

3/ لا بد من عمل موازنة بين ابن المقفع والجاحظ من حيث الأسلوب والكتابة والنقد والفكر والمثالية والواقعية .

4/ لا بد من الاهتمام بدراسة رسالة الصحابة وهي طويلة وجريئة في موضوعها الذي يتصل اتصالاً مباشراً بالسياسة وأصول الحكم ، وتوضح عمق فكر الكاتب وإشراق أسلوبه .

5/ وكذلك أوصى بدراسة الرسالة اليتمية جديرة بالدراسة الطويلة والتأمل والوقوف أمامها طويلاً والتفكير في كنه هذه الرسالة البديعة الفريدة ، فالكاتب البليغ المفكر يبدؤها بالحديث عن الناس وأخلاقهم .

6/ أوصى بتناول كتاب كليلة ودمنة بوصفة مادة لأفلام الكرتون ، وسينما الدمى المتحركة ، لما فيه من الحكم والمواعظ تتناسب مع تربية النشء ، على القيم والمُثل الأخلاقية الفاضلة .

فهرس الايات القرانية

الرقم	الاية	رقم الاية	رقم الصفحة
	البقرة		
1.	(ياأيها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل	282	91

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الكتابة الأدبية بين عبد الحميد الكاتب وابن المقفع (دراسة أدبية موازنة)	
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
المقدمة	1
أسباب إختيار الموضوع	2
أهمية البحث	2
أهداف البحث	3
مشكلة البحث	3
الدراسات السابقة	3
حدود البحث	4
منهج البحث	4
هيكل البحث	4
تمهيد	7
الفصل الأول : عصر وحياة الكاتبين	
المبحث الأول : عصرهما	19-9
المبحث الثاني : عبد الحميد الكاتب	31-20
المبحث الثالث	39-32

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع	75-40
الفصل الثاني : الكتابة الأدبية	
المبحث الأول : مفهوم الكتابة الأدبية	86-76
المبحث الثاني : تاريخ الكتابة	89-87
المبحث الثالث : الكتابة عبر العصور	102-90
الفصل الثالث : الموازنة بين الكاتبين	
المبحث الأول : الموازنة الأدبية	114-103
المبحث الثاني : المميزات الفنية عند عبدالحميد وابن المقفع	128-115
المبحث الثالث	143-129
المبحث الرابع : الموازنة بين عبدالحميد وابن المقفع	151-144
الخاتمة	15-152
صعوبات البحث	153
التوصيات	154
فهرست الآيات	155
فهرس الأبيات الشعرية	156
فهرست الحكم والامثال والاقوال	157
فهرس الأعلام	162-158
فهرس الموضوعات	164-163
المصادر والمراجع	177-165

أهم المصادر والمراجع

1. ابن المقنع : عباس اقبال .
2. ابن المقنع : عبد اللطيف حمزة ، ط3 ، 1965م ، دار الفكر العربي .
3. آثار ابن المقفع ، عبد الله بن المقفع ، الطبعة الأولى 1989م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
4. آثار بن المقنع : عمر ابو النصر ، ط1، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1966م.
5. الادب الصغير ، تحقيق احمد زكي باشا ، ط1، جمعية العروة الوثقى الاسلامية 1911م ، مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية .
6. الادب العربي في ظلال الامويين والعباسيين : عبد الحميد محمد المسلوت ، حسن جاد حسن ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة دار التأليف مصر 1952م.
7. الادب العربي وتاريخة في عصري صدر الاسلام والدولة الاموية : تأليف الاستاذ محمود مصطفي ، ج1،ط2، مطبعة مصطفي البابي الحلبي ولأولادة بمصر 1937م.
8. الأدب العربي وتاريخه ، د. إبراهيم عبد الله رفيدة ، طبعة أولى ، مكتبة القاهرة 1966م .
9. الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل بيروت ، 1410هـ – 1990م .
10. الادب الكبير ، احمد زكي باشا ، طبعة جمعية العروة الوثقى ، 1911م.
11. الأدب الوجيز للولد الصغير ، لمحمد غفراني الخراساني عضو البعثة الإيرانية ، اختير لإيفاده لجامعة مصر وكتاب الأدب الوجيز ، طبعة عالم الكتب بالقاهرة 1963م .

12. أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني ، دار الجيل ، بيروت ، دار مارون عبود ، 1979م .
13. أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار ماروت عبود ، 1979م .
14. أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الطبعة الأولى 1992م ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
15. أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1942م .
16. إعجاز القرآن ، للباقلاني وهو أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة القاهرة ، دار المعارف ، 1963م .
17. الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ج4 ، دار العلم للملايين .
18. الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ج5 ، ط4 ، 1979م ، دار العلم للملايين .
19. الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ج7 ، دار العلم للملايين .
20. الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ج8 ، دار العلم للملايين .
21. الأغاني ، أبي فرج الأصفهاني ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج15 ، ط1 ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1959م .
22. الأغاني ، أبي فرج الأصفهاني ، ج1 ، مطابع كوستاتسوماسي وشركاؤه.
23. الأغاني ، للأصفهاني ، ج21 ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق ، سمير جابر .
24. أمراء البيان ، محمد كرد علي ، ج1 ، ط2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1948م .
25. أنساب الأشراف ، للبلاذري ، تحقيق د. محمد حميد الله ، يخرجه

معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر .

26. إيران في عهد الساسانيين: كريستنسن آرثر ، طبعة لجنة ، التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1957م، ترجمة الدكتور يحي الخشاب .

27. البخلاء : الجاحظ ، طبعة دار الكتب المصري تحقيق طه الحاجري .

28. البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج10 ، ط3 ، 1980م ، مكتبة المعارف ، بيروت.

29. البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، المجلد الثاني ، رقم (1) ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ، دمشق .

30. بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب ، د. محمد نبيه حجاب ، الطبعة الأولى ، 1965م ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة .

31. البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج1 ، ط1 ، تحقيق المحامي فوزي عطوى ، دار صعب ، بيروت ، 1968م .

32. البيان والتبيين ، للجاحظ ، ج1 ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط3 ، 1968م ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة الهلال بيروت ، المكتب العربي بالكويت .

33. تاريخ الأدب العربي ، د. عمر فروخ ، ج1 ، ط7 ، مطبعة دار العلم للملايين ، بيروت 1997م .

34. تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ج1 ، ط2 ، ترجمة د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة .

35. تاريخ الادب العربي : حنا الفاخوري ، ط6 ، المطبعة البولسية ، بيروت ، لبنان 1958م.

36. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ، د. شوقي ضيف ، ط15 ،

دار المعارف القاهرة .
37. تاريخ الادب الفارسي : د. رضا زاده شفق ، دار الفكر العربي 1366هـ – 1947م ، ترجمة محمد موسي هنداوي .
38. تاريخ الإسلام السياسي ، د. حسن إبراهيم ، ج2 ، ط7 ، 1964م .
39. تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، حسن إبراهيم ، ج1 ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
40. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للحافظ المؤرخ شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (حوادث ووفيات 121–140هـ) تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، ط3 ، 1997م .
41. تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك : لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (224–310هـ) المجلد السابع ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار سويدان بيروت .
42. تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، ج3 ، طبعة دار صادر ، بيروت 1960م .
43. تراثنا كيف نعرفه : حسين مروة ، مؤسسة الابحاث العربية ، ط2، 1986م .
44. التنبيه والإشراف ، للمسعودي ، دار صعب بيروت ، وطبعة لندن ، 1893م .
45. تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، للمؤرخ ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر ، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران ، ج6 ، ط3 ، 1987م ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت .
46. التيارات الاجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي وحتي نهاية

القرن الثالث الهجري : د. عثمان موافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية .

47. تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، د. مصطفى عليان عبد الرحيم ، ط1 ، 1984م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

48. ثلاثة رسائل للجاحظ ، نشر يوشع فينكل الأولى في الرد على النصارى، والثانية في ذم أخلاق الكتَّاب ، والثالثة في القيان ، طبعة السلفية بمصر.

49. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : لابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة .

50. جمهرة رسائل العرب ، زكي صفوت ، ج2 ، طبعة البابي الحلبي ، 1937م .

51. جمهرة رسائل العرب ، زكي صفوت ، رسالة الصحابة ، ج3 ، طبعة البابي الحلبي ، 1937م .

52. جواهر الادب في ادبيات وانشاء العرب : تاليف المرحوم السيد احمد الهاشمي ، طبعة جديدة محققة ومنقحة اشرفت على تحقيقه وتصحية لجنة من الجامعيين ، ج1، طبعة مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت .

53. الحيوان : للجاحظ ، ج1، ط3، 1969م، دار الكتاب العربي بيروت ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .

54. خزانة الأدب وغاية الأرب ، الشيخ تقي أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، بيروت من مكتبة البيان ، شارع سوريا ، بناية جبر .

55. الخفاجي – مجلة المنهل ، مجلة شهرية للآداب والفنون ، رئيس التحرير عبد القدوس الانصاري ، مقال بعنوان : هل وضع ابن المقنع كتاب

كليلة ودمنة او ترجمة .
56. الخلاصة في الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، الطبعة الثالثة ، المطبعة البوليسية ، 1961م .
57. دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول ترجمة محمد ثابت أفندي ، أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خروشيد وعبد الحميد يونس .
58. دراسات في النقد الأدبي ، د. وليد قصاب ، الطبعة الثانية ، دار العلوم للطباعة والنشر ، 1983م .
59. دراسة عن الحسن البصري ، احسان عباس ، دار الفكر العربي القاهرة 1952م .
60. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تصنيف الإمام محمود بن عامر الزمخشري ، تحقيق د. سليم النعيمي ، ج3 ، العراق ، إحساء التراث الإسلامي ، الكتاب الثالث عشر ، طبعة ديسمبر 1980م .
61. الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة ، صالح بن رمضان ، جامعة منوبة ، تونس ، منشورات كلية الآداب بمتوبة .
62. رسائل البلغاء : محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ، مطبعة دار الكتب العربية الكبري ، مصطفي البابي واخوية بكري وعيسي بمصر 1913م.
63. زهر الآداب وثمر الالباب : لابي اسحق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني : تحقيق علي محمد البيجاوي ،ج1،ط1، 1953م ، دار احياء الكتب العربية ، عيسي البابي الحلبي وشركاة .
64. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تأليف جمال الدين بن نباتة المصري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، مطبعة الميداني ، القاهرة 1964م .
65. سير اعلام النبلاء : تصنيف الامام شمس الدين محمد بن احمد بن

عثمان الذهبي ، ج9 ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، ط7، 1990م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

66. السيرة النبوية : لابي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق جمال ثابت ومحمد محمود وسيد ابراهيم ، المجلد الاول ،ط2، 1998م .، دار الحديث القاهرة .

67. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج2 .

68. الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، ج1، ط2، القاهرة ، دار المعارف 1967م، تحقيق احمد شاكر .

69. شوقي شاعر العصر الحديث : د. شوقي ضيف ، دار المعارف .

70. صبح الأعشى ، للقلقشندي ، ج2 ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1978م .

71. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، للقلقشندي ، ج3 ، نسخة مصورة من المطبعة الأميرية ، المؤسسة المصرية العامة ، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه ، سنة 1914م .

72. صناعة الكتابة ، دكتور فكتور الكك ودكتور أسعد أحمد علي ، الطبعة الرابعة ، 19891م ، دار السؤال بدمشق .

73. ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، ج1 ، ط7 ، مطبعة القاهرة ، 1964م.

74. ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، ج2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

75. ضحى الإسلام ، د. أحمد أمين ، ج1 ، ط10 ، مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1993م .

76. ضحى الإسلام ، د. أحمد أمين ، ج1 ، مطبعة النهضة المصرية .

77. طبقات الشعراء الجاهليين ، محمد بن سلام الجمحي ، طبعة القاهرة ،

1965م ، مكتبة الثقافة العربية .
78. الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، تحقيق زياد محمد منصور ، الطبعة الأولى ، 1983م ، المجلس العلمي إحساء التراث الإسلامي .
79. طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، طبعة دار المعارف ، 1952م ، شرح وتحقيق محمود محمد شاكر .
80. عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، دراسة وتحقيق زكريا إحسان عباس ، ط1 ، 1988م ، الناشر دار الشروق ، عمان ، الأردن .
81. عبد الله بن المقفع ، محمد غفراني الخراساني ، ملتزم الطبع والنشر الدار القومية للطباعة والنشر .
82. العصر العباسي ، د. شوقي ضيف ، ط9 ، طبعة دار المعارف بمصر ، 1966م .
83. العصر العباسي : نمازج نثرية محللة : جورج غريب ، دار الثقافة بيروت .
84. العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، ج3 ، ج4 ، ج1 .
85. العقد الفريد ، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، شرح وضبط أحمد أمين ، أحمد الزين إبراهيم الأبياري ، ط3 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1965م .
86. عيون الأخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، طبعة ستراسبورج ، 1903م ، تحقيق كارل بروكلمان .
87. عيون الأخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ج1 ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت .
88. غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة ، للإمام العلامة أبي إسحاق برهان الدين الكتبي المعروف بالوطواط ، دار صعب ، بيروت .
89. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، لجرجي زيدان ، ط2 ، دار الهلال ،

القاهرة 1904م .
90. فن التحرير العربي وضوابطة وانماطة : محمد صالح الشنطي ، مطابع الفرزدق التجارية الرياض 1989م .
91. الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دكتور شوقي ضيف ، ط5 ، طبعة دار المعارف بمصر .
92. الفهرست ، ابن النديم هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بأبي يعقوب الوراق ، تحقيق الشيخ رمضان ، دار الفتوى ، بيروت ، دار المعرفة ، ط2 ، 1997م .
93. الفهرست ، ابن النديم هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بأبي يعقوب الوراق ، طبعة الرحمانية ، 1348هـ .
94. الفهرست ، ابن النديم هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بأبي يعقوب الوراق ، المجلد الأول ، تحقيق د. شعبان خليفة ووليد العوزة ، طبعة العربي للنشر والتوزيع ، 1991م .
95. الفهرست ، لابن النديم ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى شارع محمد علي بمصر .
96. القاموس المحيط : الفيروزابادي – فصل النون باب الراء ، مؤسسة الرسالة دمشق ، ط6، 1998م، تحقيق محمد نعيم العرقسوس
97. القصة في الأدب الفارسي ، أمين عبد المجيد بدوي ، دار المعارف ، 1964م . نشأة الكتابة في الأدب العربي ، دكتور حسين نصار ، الطبعة الثانية 1966م ، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمود وأولاده القاهرة .
98. قطوف أدبية ، دراسة نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة السنة ، طبعة الدار السلفية لنشر العلم ، 1988م .

99. كتاب الامالي : ابي علي اسماعيل بن القاسم الغالي البغدادي ، ج1،ط2، 1987م ، دار الجيل بيروت ، دار الآفاق الجديدة بيروت .
100. كتاب الصناعتين : لابي هلال العسكري .ط1، دار احياء الكتب العربية ، 1371هـ 1952م .
101. كتاب بشر بن أبي كبار البلوي ، د. وداد القاضي .
102. كتاب فتوح البلدان ، تأليف أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري ، القسم الثاني تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مطبعة البيان العربي .
103. كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة : ابو حامد الغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ، ط1، 1961م ، دار احياء الكتب العربية ،عيسي البابي الحلبي وشركاه .
104. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، للعالم المؤرخ الكامل الأديب مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، وبكتاب جلي غفر الله له آمين ، صححه ورتبه محمد شريف الدين بالتقايا والمعلم رفعت رفعت بيلكة الكليسي أعادت طبعه بالأوفست ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد .
105. كليلة ودمنة ، المرصفي هو محمد حسن نائل المرصفي ، ط5 ، مطبعة محمد مطر في الحمزاوي ، القاهرة 1913م .
106. كليلة ودمنة ، تحقيق إلياس زكريا ، طبعة دار الأندلس ، بيروت 1964م.
107. كليلة ودمنة ، تحقيق دكتور عبد الوهاب عزام ، دار الشروق بيروت ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1973م .
108. كليلة ودمنة : تحقيق مصطفي لطفي المنفلوطي ، طبعة دار الكتاب العربي . 1948م .
109. كليلة ودمنة : شرح مصطفي لطفي المنفلوطي ، دار الكتاب العربي ،

بيروت ، 2005م ، مراجعة وتنقيح د. محمد الاسكندلاني .
110. كليلة ودمنة في الأدب العربي ، ليلي حسن سعد الدين ، مكتبة الرسالة ، عمان .
111. لسان العرب ، لابن منظور ، ج4 ، طبعة أولى ، 1990م ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
112. المتنبي وشوقي ، عباس حسن ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، مصر 1964م .
113. المثل السائر ، بن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين ، ج2 ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1990م .
114. مجمع الامثال : ابو الفضل احمد محمد النيسابوري (الميداني)،ج1،ط2، منشورات مكتبة الحياة بيروت .
115. محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني ، المجلد الاول ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .
116. مختصر كتاب تاريخ البلدان : لابي بكر الهمزاني ، المعروف بابن الفقية ، طبعة مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل سنة 1302هـ ، دار صادر بيروت.
117. المرجع ، عبد الله العلايلي ، ج1 ، بيروت دار المعجم العربي ، الطبعة الأولى ، 1963م .
118. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ، ج3 ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1997م .
119. المزهر في علوم اللغة وانواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، ج1،ط4,1958م ، شرح محمد احمد جاد المولي بك ، محمد ابو الفضل

ابراهيم ، علي محمد البيجاوي ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسي البابي الحلبي وشركاه .
120. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، للحافظ محب الدين بن النجار البغدادي ، تحقيق محمد مولود خلف ، إشراف د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1986م .
121. مظاهر الشعوبية في الادب العربي حتي نهاية الثالث الهجري : محمد نبيه حجاب ، ط1، 1961م ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .
122. معلقة لبيد بن ربيعة العامري ، د. يحيى الجبوري ، الناشر مكتبة الأندلس ، بغداد ، طبعة في مطابع التعاونية اللبنانية ، بيروت .
123. المفضليات : المفضل بن محمد العتبي ، ج1، بيروت اكسفورد ، 1920م.
124. الملل والنحل : للشهرستاني ،ج2، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي القاهرة 1378هـ – 1968.
125. من حديث الشعر والنثر ، للدكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .
126. المنجد ، للويس معلوف ، ط17 ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية .
127. الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، الآمدي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
128. الموازنة بين الشعراء ، د. زكي مبارك ، ط2 ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1936م .
129. نشرة مجلة المستشرقين Rivista المجلد الثالث عشر ، سنة 1932م، وترجم هذا البحث الدكتور عبد الرحمن بدوي ونشره في كتاب الالحاد في الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية 1945م.
130. نظرية اللغة في النقد القديم ، د. عبد الكريم راضي ، الناشر مكتبة

الخانجي بمصر .
131. النقد الأدبي الحديث أصوله ومفاهيمه ، سيد محمد قطب ، الطبعة الخامسة 1983م دار الشروق ، القاهرة .
132. النقد التطبيقي والموازنات : محمد الصادق عفيفي 1978م ، مؤسسة الخانجي بمصر .
133. الوزراء والكتاب : للجهشياري هو ابو عبد الله محمد بن عبدوس ، ط1، حققه مصطفي السقا ، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي 1938م.
134. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .
135. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، ج3 ، دار الثقافة بيروت ، بدون تاريخ ، حققه د. إحسان عباس .
136. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. إحسان عباس ، ج2 ، طبعة دار صادر بيروت .